المكي والمدني في القرآن الكريم دراسة نقدية لنزول السور والآيات المستثناة من كل سورة من أول سورة الأنعام حتى آخر سورة التوبة

الدكتور
محمد حسن محمد حسن أبوالنجا
مدرس التفسير وعلوم القرآن بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق

المكي والمدني في القرآن الكريم دراسة نقدية لنزول السور والآيات المستثناة من كل سورة من أول سورة الأنعام حتى آخر سورة التوبة

الدكتور/ محمد حسن محمد حسن أبوالنجا

مدرس التفسير وعلوم القرآن بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق

ملخص البحث

هذا البحث بعنوان :"المكي والمدني في القرآن الكريم دراسة نقدية لنزول السور والآيات المستثناة من كل سورة من أول سورة الأنعام حتى آخر سورة التوبة":، وهو الجزء الثاني لبحث لي نُشِر في مجلة (الدراية) التي تصدرها كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق، العدد السابع عشر سنة ٢٠١٧م، المجلد الثالث من ص ٤٨٥ إلى ص ٧٥٧، وكان الجزء الأول بعنوان :"المكي والمدني في القرآن دراسة تأصيلية ودراسة نقدية لنزول السور والآيات المستثناة من كل سورة من أول سورة الفاتحة حتى آخر سورة المائدة":

والغرض الأصلي من هذا البحث هو دراسة مكان وزمان نزول كل سورة، لتتمكن بعد ذلك من وصفها بأنها مكية أو مدنية، وإذا كانت هناك آيات اسْتُثْنِيَت من السورة أقوم بدراسة كل آية من هذه الآيات،

لنتمكن بهذا من الحكم على هذه الآية : هل هي كسورتها ـ مكية أو مدنية ـ أم لا؟

والله هو الموفق والهادي إلى سواء السبيل

الباحث

د : محمد حسن محمد حسن أبوالنجا

مدرس التفسير وعلوم القرآن بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق

Research Summary

*This research is entitled: "**Al-Makki and Al-Madani in the Holy Qur'an, a critical study of the descending of the surahs and verses excluded from each surah from the beginning of Surat Al-Anam to the end of Surat Al-Tawbah**:" which is the second part of a research published in the magazine "Al-Deraya" published by the College of Islamic and Arab Studies for Boys in Desouk. The seventeenth issue in the year 2017 AD, the third volume from p. 485 to p. 757, and the first part was entitled: "**Al-Makki and Al-Madani in the Qur'an, an authentic study and a critical study of the descending of the surahs and verses excluded from each surah from the beginning of Surat al-Fatihah until the end of Surat al-Ma'idah**":*

The original purpose of this research is to study the place and time of the descent of each surah, so that we can then describe it as Meccan or civil, and if there are verses that are excluded from the surah, I study every verse of these verses, so that we can judge this verse: is it broken Meccan or civil - or not?

God is the conciliator and guide to the right path

researcher

Dr.: Mohamed Hassan Mohamed Hassan Abu El Naga

Teacher of interpretation and Quranic sciences at the Faculty of Islamic and Arab Studies for Boys in Desouk

المقدمة

الحمد لله الذي شرفنا على الأمم بالقرآن المجيد، ودعانا بتوفيقه إلى الأمر الرشيد، وقوم به نفوسنا بين الوعد والوعيد، وحفظه من تغيير الجهول وتحريف العنيد، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

أحمده على التوفيق للتحميد، وأشكره على التحقيق في التوحيد، وأشهد أن لا إِله إِلا الله وحده لا شريك له، شهادة يبقى ذخرها على التأبيد، وأن محمدًا عبده ورسوله أرسله إلى القريب والبعيد، بشيرًا للخلائق ونذيرًا، وسراجًا في الأكوان منيرًا، ووهب له من فضله خيرًا كثيرًا، وجعله مقدمًا على الكل كبيرًا، ولم يجعل له من أرباب جنسه نظيرًا، ونهى أن يُدْعَى باسمه تعظيمًا له وتوقيرًا، وأنزل عليه كلامًا قرر صدق قوله بالتحدي بمثله تقريرًا، فقال: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾[1] . فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأزواجه وأشياعه، وسلم تسليمًا كثيرًا..

وبعد.....، فمن الجدير بالإنسان أن ينفق ساعات عمره ـ بل أنفاسه ـ فيما ينال به المطالب العالية، ويَخْلُص به من الخسران المبين، وليس ذلك إلا بالإقبالِ على القرآن وتفهمه وتدبره، واستخراجِ كنوزه وإثارةِ

---

(١) سورة الإسراء (٨٨) .

مكنوناته، وصرفِ العناية إليه، والعكوفِ بالهمة عليه ؛ فإنه الكفيل بمصالح العباد في المعاش والمعاد، والموصل لهم إلى سبيل الرشاد، فالحقيقة والطريقة والأذواق والمواجيد الصحيحة كلها لا تُقْتَبَس إلا من مشكاته، ولا تُسْتَثْمَر إلا من شجراته .

وقد اقتضت حكمة الله ـ تعالى ـ أن يصطفي لهذه المهمة الخطيرة أكرم خلقه محمداً ـ ﷺ ـ، الذي كان القرآن الكريم لسان حاله ومقاله، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وربى الأئمة، آتاهم الله حُكْماً وعلماً ؛ لِمَا انطوت عليه من الإخلاص سرائرهم، ولَمَّا استجابوا لله ـ تعالى ـ وللرسول ـ ﷺ ـ لما فيه حياتهم، فكانوا بحق منارات يَهْتَدِي بها من قصد الهداية، وابتغى الرشاد .

وكانت مدة تلك الرسالة الخاتمة على فترتين :

الفترة الأولى : ـ في مكة، نزلت فيها سور وآيات من القرآن الكريم على النبي ـ ﷺ ـ بما يتناسب مع أحداث هذه الفترة، عُرِفت هذه السور والآيات بالقرآن المكي .

والفترة الثانية : ـ في المدينة النبوية، نزلت فيها سور وآيات من القرآن الكريم على النبي ـ ﷺ ـ بما يتناسب مع أحداث هذه الفترة، عُرِفت هذه السور والآيات بالقرآن المدني .

ومن ثم أصبح من علوم القرآن التي عُنِي بها العلماء قديماً وحديثاً علم "المكي والمدني" .

ولما كنت أقرأ القرآن الكريم وأحفظه لفت نظري ـ كما لفت نظر كثير من القارئين ـ أن كثيراً من المصاحف طُبِعَت وقد صُدِّرَت كل سورة من سور القرآن بعنوان كُتِب فيه اسم السورة، ثم وصفها بمكية، أو مدنية، ثم استثناء بعض آيات بعض السور من مكيتها أو مدنيتها . فيُكْتَب ـ مثلاً ـ :"سورة كذا مكية إلا الآيات رقم كذا وكذا". أو :"سورة كذا مدنية إلا الآيات رقم كذا وكذا".

ولما شرفني الله ـ تعالى ـ بأن أكون واحداً من الباحثين في التفسير وعلوم القرآن وَقَرَ في قلبي أن أقوم بدراسة هذه الظاهرة، أعني ظاهرة المكي والمدني من سور القرآن وآياته، مع التركيز وشدة العناية بالآيات المستثناة من كل سورة .

وكان غرضي من هذا أن أُبْرِز وجهاً من وجوه إعجاز القرآن الكريم، مبناه على التناسب التام والتآلف البَيِّن بين آيات القرآن الكريم المتتالية، مع أن بعض هذه الآيات مكي والآيات التي تليها مدنية، أو العكس .

ورتبت للقيام بهذا أن أسير على الخطوات الآتية :

أولاً : إثبات مكية أو مدنية السورة .

ثانياً : دراسة كل آية من الآيات المستثناة وإثبات مكيتها أو مدنيتها .

ثالثاً : إذا ثبت أن السورة مكية ـ مثلاً ـ وفيها آيات مستثناة وثبت أن تلك الآيات مدنية أجتهد في إبراز وجوه الترابط والتناسب والتآلف بين

تلك الآيات المستثناة وبين السياق الذي وردت فيه، وكذلك أفعل إن كانت السورة مدنية وفيها آيات مكية .

لكن لما بدأت البحث والدراسة، واتبعت الضوابط العلمية للبحث العلمي، فوجئت بشيء عجيب لم أكن أتوقعه،..... هذا الشيء لن أظهره الآن، لكن أَدَعُ القاريء الكريم يستظهره بنفسه .

وكان باكورةُ هذا العمل والجزءُ الأول منه بحثاً لي نُشِر في مجلة (الدراية) التي تصدرها كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق، العدد السابع عشر سنة ٢٠١٧م، المجلد الثالث من ص ٤٨٥ إلى ص ٧٥٧، وكان هذا الجزء الأول بعنوان :**"المكي والمدني في القرآن دراسة تأصيلية ودراسة نقدية لنزول السور والآيات المستثناة من كل سورة من أول سورة الفاتحة حتى آخر سورة المائدة"**:

حاولت فيه إقامة دراسة تأصيلية لعلم المكي والمدني في القرآن الكريم، ودراسة مكان وزمان نزول كل سورة من السور محل البحث، وإذا كانت هناك آيات اسْتُثْنِيَت من السورة قمت بدراسة كل آية من هذه الآيات، ونتج عن هذا كله نتائج متعددة، بعض هذه النتائج ليس بجديد، بل تقرر منذ زمن بعيد على أيدي كثير من العلماء، ولكن كان لابد من تقريرها في هذا البحث لتكون أسساً وقواعد يُبْنَى عليها بقية مسائل البحث ونتائجه . وهذه النتائج هي :

١ ـ الراجح والأقرب إلى القبول أن المكي من القرآن هو : ما نزل من القرآن قبل هجرة الرسول ـ ﷺ ـ إلى المدينة، حتى ولو نزل بغير مكة .

والمدني : ما نزل من القرآن بعد الهجرة، وإن كان نزوله بمكة عام الفتح، أو عام حجة الوداع، أو بسفر من الأسفار.

أما ما نزل على النبي ـ ﷺ ـ في طريق هجرته من مكة إلى المدينة فهو من القرآن المكي .

والمُعْتَبَر في وصف السورة بأنها مكية أو بأنها مدنية بفاتحتها، فإذا نزلت فاتحة سورة قبل الهجرة فهي مكية، وإذا نزلت فاتحة سورة بعد الهجرة فهي مدنية[1].

٢ ـ العلم بالمكي والمدني يفيد في تفسير آيات القرآن الكريم، ومعرفة مدلولاتها، وما يراد فيها، وتمييز الناسخ من المنسوخ، ومعرفة تاريخ التشريع، واستخراج سيرة الرسول ـ ﷺ ـ وذلك بمتابعة أحواله بمكة ومواقفه في الدعوة، ثم أحواله في المدينة وسيرته في الدعوة إلى الله فيها، وبيان عناية المسلمين بالقرآن الكريم واهتمامهم به، حيث إنهم لم يكتفوا بحفظ النص القرآني فحسب، بل تتبعوا أماكن نزوله[2].

---

(١) انظر المكي والمدني في القرآن الكريم دراسة تأصيلية ودراسة نقدية لنزول السور والآيات المستثناة من كل سورة من أول سورة الفاتحة حتى آخر سورة المائدة، وهو بحث لي نُشِر في مجلة الدراية التي تصدرها كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق، العدد السابع عشر سنة ٢٠١٧م، المجلد الثالث ص ٤٩٧ ـ ٥١٣.

(٢) انظر المصدر السابق ص ٥١٤ ـ ٥١٨.

٣ ـ يُعْرَف المكي والمدني بطريق السماع المعتمد على النقل والرواية عمن شاهدوا الوحي والتنزيل، أو بطريق القياس والاجتهاد الذي يستند إلى خصائص المكي وخصائص المدني[١].

٤ ـ وردت تسع روايات عن الصحابة والتابعين حددت السور المكية والمدنية، اتفقت هذه الروايات في مجموعها على عشرين سورة أنها سور مدنية، وهذه السور المتفق على مدنيتها هي : البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، والتوبة، والنور، والأحزاب، ومحمد، والفتح، والحجرات، والحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والجمعة، والمنافقون، والطلاق، والتحريم، والنصر.

واختلفت هذه الروايات في سبع عشرة سورة وهي : الرعد، والنحل، والحج، والرحمن، والصف، والتغابن، والإنسان، والمطففين، والفجر، والليل، والقدر، والبينة، والزلزلة، والمسد، والإخلاص، والفلق، والناس .

واتفقت الروايات التسع في مجموعها على سبع وسبعين سورة أنها سور مكية وهي ما تبقى من سور القرآن[٢].

---

(١) انظر المصدر السابق ص ٥١٩ ـ ٥٢٢.

(٢) انظر المصدر السابق ص ٥٢٣ ـ ٥٤٦.

٥ ـ استقرأ العلماء السور المكية، والسور المدنية، واستنبطوا ضوابط قياسية لكل من المكي والمدني، واستنبطوا ـ كذلك ـ خصائص تميزت بها السور المكية، وخصائص تميزت بها السور المدنية[1].

٦ ـ ذهب بعض العلماء إلى أن من القرآن ما تكرر نزوله، ومنه ما نزل مرة بمكة قبل الهجرة ثم نزل مرة أخرى بالمدينة بعد الهجرة .

والصحيح أنه لم يتكرر نزول شيء من القرآن، ولا معنى للإنزال إلا أن جبريل كان ينزل على رسول الله ـ ﷺ ـ بقرآن لم يكن نزل به من قبل فيُقْرِئُه إياه، لأن تكرر النزول خلاف الأصل، ومن خالف الأصل طولب بالدليل، ثم إنه لا توجد فائدة حقيقية من تكرار نزول شيء من القرآن، لأن نزول القرآن معناه ظهوره من عالم الغيب إلى الشهادة، والظهور به لا يقبل التكرر، بل هو تحصيل أمر حاصل موجود، ثم إن القول بتكرار النزول يلزم منه أن يكون كل ما نزل بمكة تكرر نزوله بالمدينة مرة أخرى، فإن جبريل كان يعارض النبي ـ ﷺ ـ القرآن كل عام مرة، وعارضه القرآن في العام الذي مات فيه مرتين .

٧ ـ إذا تعدَّدَت الروايات في سبب نزول الآية أو السورة، وكانت كلها صحيحة صريحة في ذكر السبب، وذكرت تلك الروايات أحداثاً متباعدة في الزمان، أو دلت على أنها نزلت في مكة ثم نزلت في المدينة، فالقرائن المتعلقة بهذه الروايات هي التي تحدونا إلى أحد وجوه ثلاثة :

---

(١) انظر المصدر السابق ص ٥٤٧ ـ ٥٦٢.

إما ترجيح بعض هذه الروايات على بعض .

وإما أن يكون في بعض طرق هذه الروايات : «فتلا كذا» أو «فقرأ كذا» فلا تكون الآية نزلت حينئذ، ويكون ذكرها عقب القصة إما للاستشهاد أو للرد .

وإما أن تكون الآية قد نزلت في زمن ماض، ثم تحدث واقعة تشتمل الآية على حكمها، فينزل جبريل فيقرأ الآية على النبي ـ ﷺ ـ ليعلم أن الآية تدل على حكم هذه الواقعة .

أما القول بتكرار النزول مما ينتج عنه في بعض الصور أن تكون الآية أو السورة نزلت مرة بمكة ثم نزلت مرة أخرى بالمدينة فهو أمر لم يثبت وقوعه[1].

٨ ـ ثم انتقلت إلى الغرض الأصلي من هذا البحث وهو دراسة مكان وزمان نزول كل سورة من السور محل البحث، لنتمكن بعد ذلك من وصفها بأنها مكية أو مدنية، وإذا كانت هناك آيات اسْتُثْنِيَت من السورة أقوم بدراسة كل آية من هذه الآيات، لنتمكن بهذا من الحكم على هذه الآية : هل هي كسورتها ـ مكية أو مدنية ـ أم لا؟[2].

٩ ـ الأصل في السورة المكية أن تكون كل آياتها مكية، والأصل في السورة المدنية أن تكون كل آياتها مدنية، ومن ثم فلا يُقْبَل استثناء آيات

---

(١) انظر المصدر السابق ص ٥٦٧ ـ ٥٨٤.

(٢) انظر المصدر السابق ص ٥٨٥ ـ ٧١٣.

من سورها دون دليل صحيح يدل على ذلك الاستثناء، لأن الاستثناء خلاف الأصل، ولما كان وجود آيات مدنية في سورة مكية أو آيات مكية في سورة مدنية خلاف الأصل فالمختار عدم قبول القول به إلا إذا ثبت برواية صحيحة السند صريحة المتن سالمة من المعارضة والاحتمال .

ثم استخرت الله في تثنية الجزء الأول بالجزء الثاني الذي سميته :"**المكي والمدني في القرآن الكريم دراسة نقدية لنزول السور والآيات المستثناة من كل سورة من أول سورة الأنعام حتى آخر سورة التوبة**":

وأسير في هذا البحث على وفق الخطوات الآتية :

أولاً : أدرس مكان وزمان نزول كل سورة من السور محل البحث، لنتمكن ـ بعد ذلك ـ من وصفها بأنها مكية أو مدنية .

ثانياً : إذا كانت هناك آيات اسْتُثْنِيَت من السورة أقوم بدراسة كل آية من هذه الآيات، لنتمكن بهذا من الحكم على هذه الآية : هل هي كسورتها ـ مكية أو مدنية ـ أم لا؟

وعملي في هذا أن أنشيء لكل سورة فصلاً أجعله باسم السورة، ثم أقسم هذا الفصل إلى مبحثين :

المبحث الأول : في نزول السورة .

المبحث الثاني : الآيات المستثناة من السورة .

ثم أبحث كل آية في مطلب مستقل .

وبناء عليه تَكَوَّن هذا البحث من : مقدمة، وأربعة فصول، وخاتمة :

أما المقدمة : فأذكر فيها الدافع لهذا البحث، والمنهج المتبع فيه، وخطة العمل .

الفصل الأول : ـ سورة الأنعام . وفيه مبحثان :

المبحث الأول : نزول سورة الأنعام .

المبحث الثاني : الآيات المستثناة من سورة الأنعام .

الفصل الثاني : ـ سورة الأعراف . وفيه مبحثان :

المبحث الأول : ـ نزول سورة الأعراف .

المبحث الثاني : الآيات المستثناة من سورة الأعراف .

الفصل الثالث : ـ سورة الأنفال . وفيه مبحثان :

المبحث الأول : ـ نزول سورة الأنفال .

المبحث الثاني : الآيات المستثناة من سورة الأنفال .

الفصل الرابع : ـ سورة التوبة . وفيه مبحثان :

المبحث الأول : ـ نزول سورة التوبة .

المبحث الثاني : ـ الآيات المستثناة من سورة التوبة .

الخاتمة : وفيها النتائج والتوصيات .

ثم الفهارس العلمية .

وبعد، فإني أسأل الله ـ تعالى ـ أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه، وأن ييسر لي إتمامه، وإتمام سائر الأبحاث المكملة له، وأن ينفعني بكل هذا في الدنيا والآخرة، وينفع به كل من رآه، أو طالعه، أو نظر فيه .

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وآخر دعوانا : أن الحمد لله رب العالمين .

الفصل الأول
سورة الأنعام

وفيه مبحثان :

المبحث الأول
نزول سورة الأنعام

سورة الأنعام سورة مكية، نزلت على رسول الله ـ ﷺ ـ قبل الهجرة[١].

---

(١) انظر بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي ١/ ٤٣٣، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٣م، والكشف والبيان عن تفسير القرآن لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ٤/ ١٣١، ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ الأولى ١٤٢٢هـ ـ٢٠٠٢م، والوسيط في تفسير القرآن المجيد لعلي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي ٢/ ٢٥، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٤م، وتفسير القرآن لأبي المظفر منصور بن محمد السمعاني ٢/ ٨٥، ط دار الوطن ـ الرياض ـ الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٧م، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن للحسين بن مسعود بن محمد البغوي ٢/ ١٠٧، ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ الأولى ١٤٢٠هـ، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي ٢/ ٢٦٥، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤٢٢هـ، ومفاتيح الغيب وهو التفسير الكبير لأبي عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي فخر الدين الرازي ١٢/ ٤٧١، ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ الثالثة ١٤٢٠هـ، والجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ٦/ ٣٨٢، ط دار الكتب المصرية

والروايات التسع التي ذكرتها في الجزء الأول من هذه الرسالة، في مبحث "الروايات التي عددت المكي والمدني" أجمعت على أن سورة الأنعام مكية[1].

ـ القاهرة ـ الثانية ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م، وتفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ٣/ ٢٣٧، ط دار طيبة للنشر والتوزيع، الثانية ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م، بتحقيق : سامي محمد سلامة، والسراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير لمحمد بن أحمد الخطيب الشربيني ١/ ٤٠٨، ط مطبعة بولاق الأميرية ـ القاهرة ـ ١٣٨٥هـ، والناسخ والمنسوخ لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس النحاس ص٤١٥، ط مكتبة الفلاح ـ الكويت ـ الأولى ١٤٠٨هـ، والبيان في عد آي القرآن لأبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر الداني ص ١٥١، ط مركز المخطوطات والتراث ـ الكويت ـ الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٤م، والبرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي ١/ ١٩٣، ط دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه (ثم صورته دار المعرفة ـ بيروت ـ وبنفس ترقيم الصفحات) الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م، بتحقيق : محمد أبوالفضل إبراهيم .

(١) انظر المكي والمدني في القرآن الكريم دراسة تأصيلية ودراسة نقدية لنزول السور والآيات المستثناة من كل سورة من أول سورة الفاتحة حتى آخر سورة المائدة، وهو بحث لي نُشِر في مجلة الدراية التي تصدرها كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق، العدد السابع عشر سنة ٢٠١٧م، المجلد الثالث ص ٥٢٣ ـ ٥٤٤.

ويمكن أن نستدل على مكية سورة الأنعام بأربعة أدلة :

الدليل الأول : ـ عدة أحاديث نصت على أن سورة الأنعام مكية نزلت في مكة قبل الهجرة، ونزلت جملة واحدة، وسأذكر هذه الأحاديث لاحقاً في مسألة نزول سورة الأنعام جملة واحدة ـ إن شاء الله ـ .

الدليل الثاني : ـ ما صح من أسباب نزول كثير من آيات سورة الأنعام واضح الدلالة على أن هذه الآيات نزلت بسبب أسئلة أو حوادث حدثت بمكة قبل هجرة النبي ـ ﷺ ـ[1].

الدليل الثالث : ـ إجماع العلماء على أن سورة الأنعام مكية نزلت قبل الهجرة، ولم يخالف في هذا أحد[2].

---

(١) انظر أسباب نزول كثير من آيات سورة الأنعام في أسباب نزول القرآن لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي ص ٢١٦ ـ ٢٢٧، ط دار الإصلاح ـ الدمام ـ الثانية ١٤١٢هـ ١٩٩٢م، ولباب النقول في أسباب النزول لعبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ص ٨٨ ـ ٩٢، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ، والصحيح المسند من أسباب النزول لمقبل بن هادي الوادعي ص ٩٣ و ٩٤، ط مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة ـ الرابعة ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م .

(٢) كل ما بحثت فيه من كتب التفسير وكتب علوم القرآن نصت على مكية سورة الأنعام . وانظر نَقْلَ الإجماع على أن سورة الأنعام مكية في تنزيل القرآن وعدد آياته واختلاف الناس فيه لأبي زرعة عبدالرحمن بن محمد بن زَنْجَلَة ص ٢٦٢، ط مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية ـ العراق ـ، والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لأبي عمر يوسف بن عبدالله بن

الدليل الرابع : ـ القضايا التي تحدثت عنها سورة الأنعام هي قضايا خصائص السور المكية، فالسورة كلها في حجاج المشركين وغيرهم من أهل الملل الزائغة، وعليها مبنى أصول الدين لاشتمالها على التوحيد والعدل والنبوة والمعاد وإبطال مذاهب الملحدين(١).

عبدالبر ١/ ١٤٦، ط وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ المغرب ـ ١٣٨٧هـ، وتحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد(التحرير والتنوير) لمحمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي ٧/ ١٢١، ط الدار التونسية للنشر ـ تونس ـ ١٩٨٤م .

لكن الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ بعد أن نقل اتفاق العلماء على مكية سورة الأنعام قال :"وقال ابن عطية في تفسير قوله ـ تعالى ـ : ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ الآية (٩١) من هذه السورة : إن النقاش حكى أن سورة الأنعام كلها مدنية . ولكن قال ابن الحصار : لا يصح نقل في شيء نزل من الأنعام في المدينة . وهذا هو الأظهر":اهـ التحرير والتنوير ٧/ ١٢٢ .

قلت : هذا سهو من ابن عاشور ـ رحمه الله ـ، فنص كلام ابن عطية في المحرر الوجيز ٢/ ٣٢٠ :"والآية على قول من قال : نزلت في قول بني إسرائيل تلزم أن تكون مدنية، وكذلك حكى النقاش أنها مدنية":اهـ

فالذي حكاه ابن عطية عن النقاش أن آية : ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ هي المدنية وليس سورة الأنعام كلها .

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٣٨٣، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي ٧/ ٢، ط دار الكتاب الإسلامي

ويمكن أن نستخلص أن الأغراض الرئيسة التي استهدفتها السورة الكريمة تتركز فيما يلي:

أولاً : إقامة الأدلة على وحدانية الله وقدرته، وأنه ـ سبحانه ـ هو المستحق للعبادة والخضوع، وأن شريعته وحدها هي التي يجب أن تكون مرجعاً في كل ما يتعلق بعباداتنا ومعاملاتنا وسائر شئوننا .

ثانياً : إقامة الأدلة على صدق النبي ـ ﷺ ـ في دعوته، مع بيان وظيفته، وتسليته عما يلاقيه من أعدائه .

ثالثاً : إقامة الأدلة على أن يوم القيامة حق، وعلى أن الناس سيحاسبون فيه على أعمالهم، إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

رابعاً : تفنيد الشبهات التي أثارها المشركون حول هذه الأمور الثلاثة السابقة : (وحدانية الله، وصدق الرسول، وثبوت يوم القيامة) بأسلوب يقنع العقول، ويهدي القلوب، ويرضي العواطف، ويحمل العقلاء على المسارعة إلى الدخول في هذا الدين عن طواعية واختيار[1].

ـ القاهرة ـ، وعناية القاضي وكفاية الراضي وهي حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي ٣/ ٣٠٧، ط دار صادر ـ بيروت ـ .

(١) انظر مفاتيح الغيب ١٢/ ٤٧١، والتحرير والتنوير ٧/ ١٢٣، وزهرة لمحمد بن أحمد بن مصطفى المعروف بأبي زهرة ٥/ ٢٤١٦، ط دار الفكر العربي، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم للإمام الأكبر محمد سيد طنطاوي ٥/ ١٢، ط دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ الأولى

مسألة : ـ هل نزلت سورة الأنعام بمكة جملة واحدة ؟

وللجواب عن هذا نقول : إن العلماء في هذه المسألة على اتجاهات ثلاثة :

الاتجاه الأول : ـ أن سورة الأنعام نزلت بمكة كاملة جملة واحدة دون استثناء أي آية منها[1]. واستدلوا على هذا بأدلة :

الدليل الأول : ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ : نَزَلَتْ سُورَةُ الْأَنْعَامِ وَمَعَهَا مَوْكِبٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ سَدَّ مَا بَيْنَ

١٩٩٧م، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للدكتور : وهبة مصطفى الزحيلي ٧/ ١٢٧، ط دار الفكر المعاصر ـ دمشق ـ الثانية ١٤١٨هـ .

(١) انظر مفاتيح الغيب ١٢/ ٤٧١، وتفسير القرآن لعز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام ١/ ٤٢٧، ط دار ابن حزم ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م، واللباب في علوم الكتاب لسراج الدين عمر بن علي بن عادل ٨/ ٣، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٧/ ١، والسراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للخطيب الشربيني ١/ ٤٠٩، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ٢/ ١١٢، ط دار ابن كثير ـ دمشق ـ الأولى ١٤١٤هـ، ومحاسن التأويل لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد القاسمي ٤/ ٣٠٧، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٨هـ، وتفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) لمحمد رشيد رضا ٧/ ٢٣٨، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م، والتحرير والتنوير ٧/ ١٢٢، والتفسير الوسيط للطنطاوي ٥/ ٧ .

الْخَافِقَيْنِ(١) لَهُمْ زَجَلٌ(٢) بِالتَّسْبِيحِ، وَالْأَرْضُ بِهِمْ تَرْتَجُّ، وَرَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ يَقُولُ : «سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ(٣)».

(١) الْخَافِقَانِ : هما طرفا السماء والأرض . وقيل : المغرب والمشرق . انظر غريب الحديث لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي ١/ ٢٩١، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، والنهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين المبارك بن محمد بن الأثير ٢/ ٥٦، ط المكتبة العلمية ـ بيروت ـ ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م .

(٢) الزَجَلُ : صوتٌ رفيعٌ عالٍ . انظر العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ٦/ ٦٧، ط دار ومكتبة الهلال، والنهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٢٩٧ .

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٦/ ٢٩٢، برقم (٦٤٤٧)، والبيهقي في كتاب السنن الصغير ١/ ٣٤١، وفي شعب الإيمان ٤/ ٧٩، برقم (٢٢١٠)، وأبوبكر الإسماعيلي في معجمه ٢/ ٥٥١، برقم (١٨٧)، كلهم من طريق أَحْمَد بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ السَّالِمِيَّ، نا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنُ أَبِي فُدَيْكٍ، حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ طَلْحَةَ، حَدَّثَنِي أَبُو سُهَيْلٍ نَافِعُ بْنُ مَالِكٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ.....

وذكره أبو الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٧/ ٢٠، ط مكتبة القدسي ـ القاهرة ـ ١٤١٤هـ ١٩٩٤م، وقال :"رواه الطبراني عن أحمد بن محمد بن أبي بكر السالمي، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات":اهـ

قلت : أحمد بن محمد السالمي قد صرحت رواية البيهقي باسمه الكامل، وهو أبوبكر أحمد بن محمد بن أبي بكر بن سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب . وهكذا نسبه الحافظ يوسف بن عبدالرحمن بن يوسف المزي لما ذكره فيمن

الدليل الثاني : ـ عَنِ عَبْدِالله بْنِ عُمَرَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ـ ﷺ ـ : «نَزَلَتْ عَلَيَّ سُورَةُ الْأَنْعَامِ جُمْلَةً وَاحِدَةً، يُشَيِّعُهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، لَهُمْ زَجَلٌ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ(١)» .

روى عن إسماعيل بن أبي فُدَيْك في تهذيب الكمال في أسماء الرجال ٢٤/ ٤٨٦، ط مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ الأولى ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م .

وقد وثقه الهيثمي نفسه في مجمع الزوائد ٩/ ٤٦، حديث رقم (١٤٣٣١) فقال :"رواه الطبراني في الكبير والأوسط، ورجاله رجال الصحيح، غير أحمد بن أبي بكر السالمي، وهو ثقة":اهـ

انظر الفرائد على مجمع الزوائد «ترجمة الرواة الذين لم يعرفهم الحافظ الهيثمي» لخليل بن محمد العربي ص ٣٩، ط دار الإمام البخاري ـ الدوحة، قطر ـ، ومصباح الأريب في تقريب الرواة الذين ليسوا في تقريب التهذيب لأبي عبد الله محمد بن أحمد المصنعي العنسي ٤/ ٣٠، ط مكتبة صنعاء الأثرية ـ اليمن ـ والفاروق الحديثة للطباعة والنشر ـ مصر ـ الأولى ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م .

ومن ثم فالحديث صحيح، وهو شاهد يقوي الأحاديث التي بعده، وهي تقويه .

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير ١/ ١٤٥، برقم (٢٢٠)، وأبونعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ٣/ ٤٤، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/ ٢٤٣، وزاد نسبته لابن مردويه . وفي سنده يوسف بن عطية بن ثابت الصفار، وهو ضعيف كما في التاريخ الكبير للبخاري ٨/ ٣٨٧، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٩/ ٢٢٦ . والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٢٠، وقال :" رواه الطبراني في الصغير، وفيه يوسف بن عطية الصفار وهو ضعيف":اهـ

قلت : إن كان يوسف بن عطية الصفار ضعيفاً فقد توبع من رواة آخرين في الشواهد الأخرى للحديث .

الدليل الثالث : ـ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ : «أُنْزِلَتْ عَلَيَّ سُورَةُ الأَنْعَامِ جُمْلَةً وَاحِدَةً، وَتَبِعَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَهُمْ زَجَلٌ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّهْلِيلِ[١].

الدليل الرابع : ـ عَنْ أَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَلَاءِ[٢]قَالَ : سَأَلْتُ مُجَاهِدًا عَنْ تَلْخِيصِ آيِ الْقُرْآنِ الْمَدَنِيِّ مِنَ الْمَكِّيِّ، فَقَالَ : سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ :"سُورَةُ الْأَنْعَامِ نَزَلَتْ بِمَكَّةَ جُمْلَةً وَاحِدَةً فَهِيَ مَكِّيَّةٌ.....[٣].

---

(١) أخرجه الواحدي في التفسير الوسيط ٢/ ٢٥٠، من طريق سَلَّام بْن سُلَيْم الْمَدَائِنِيُّ، حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ كَثِيرٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ.....

وسلَّام بن سليم المدائني ضعيف كما في التاريخ الأوسط للبخاري ٢/ ٢١٤، والكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي ٤/ ٣٠٦.

وهارون بن كثير قال عنه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٩/ ٩٤ :"هارون بن كثير، سمع زيد بن أسلم، روى عنه سلام بن سليم المدائني، سمعت أبي يقول ذلك ويقول : هو مجهول":اهـ وانظر الضعفاء والمتروكون لابن الجوزي ٣/ ١٧١ .

قلت : إن كان الأول ضعيفاً، والثاني مجهولاً فقد تابعهما رواة آخرون في الشواهد الأخرى للحديث .

(٢) هو أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العُريان المازني النحوي، اختلفوا في اسمه، والأشهر أن اسمه زَبَّان، هو أحد القراء السبعة، ومُوَثَّق في الحديث، ومن علماء العربية، مات سنة سبع وخمسين ومائة . انظر الجرح والتعديل لأبي محمد عبدالرحمن بن محمد بن إدريس بن أبي حاتم الرازي ١/ ١٤٢، ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ الأولى ١٢٧١هـ ١٩٥٢م، ومعرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي ص ٥٨، ط دار الكتب العلمية، الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م .

(٣) أخرجه أبو جعفر النحاس في كتابه الناسخ والمنسوخ ص ٤١٥، بسنده إلى يونس بن حبيب قال : سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : سألت مجاهداً عن

الدليل الخامس : ـ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «نَزَلَتْ سُورَةُ الْأَنْعَامِ بِمَكَّةَ لَيْلًا جُمْلَةً، وَنَزَلَ مَعَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْأَرُونَ(١) حَوْلَهَا بِالتَّسْبِيحِ(٢)» .

تلخيص آي القرآن المدني من المكي، فقال : سألت ابن عباس عن ذلك فقال.....إلى آخره .

وهو سند موصول، كل رجاله ثقات إلا يونس بن حبيب أبا عبدالرحمن الضَّبِّي البصري النحوي، ترجم له ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٩/ ٢٣٧، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، وله ترجمة في غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ٢/ ٤٠٦ دون جرح أو تعديل . وتابع يونسَ بنَ حبيب حمادُ بنُ سلمة ـ كما في الحديث الذي بعده ـ، وحماد بن سلمة بن دينار البصري أبو سلمة ثقه عابد كما في الجرح والتعديل ٣/ ١٤٠، والثقات لابن حبان ٦/ ٢١٦ .

(١) يقال : جَأَرَ يَجْأَرُ جَأْراً وجُؤَاراً : رفع صوته مع تضرع واستغاثة . انظر النهاية في غريب الحديث والأثر ١/ ٢٣٢، ولسان العرب لأبي الفضل محمد بن مكرم بن على بن منظور ٤/ ١١٢، ط دار صادر ـ بيروت ـ الثالثة ١٤١٤هـ .

(٢) أخرجه القاسم بن سلام في فضائل القرآن ص ٢٤٠، وأبو عمرو الداني في البيان في عد آي القرآن ص ١٥١، والطبراني في المعجم الكبير ١٢/ ٢١٥، برقم (١٢٩٣)، كلهم من طريق حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدِ بْنِ جُدْعَانَ، عَنْ يُوسُفَ بْنِ مِهْرَانَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.....

وعلي بن زيد بن جدعان ضعيف كما في الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ١٨٧، والتاريخ الكبير للبخاري ٦/ ٢٧٥ . لكن تابعه أبو عمرو بن العلاء كما في

الدليل السادس : ـ عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ :"أُنْزِلَتْ سُورَةُ الْأَنْعَامِ جَمِيعًا بِمَكَّةَ، فَتَبِعَهَا مَوْكِبٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يُشَيِّعُونَهَا، قَدْ طَبَقُوا(١) مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، لَهُمْ زَجَلٌ بِالتَّسْبِيحِ حَتَّى كَادَتِ الْأَرْضُ أَنْ تَرْتَجَّ مِنْ زَجَلِهِمِ بِالتَّسْبِيحِ ارْتِجَاجًا، قَالَ : فَلَمَّا سَمِعَ النَّبِيُّ ـ ﷺ ـ زَجَلَهُمْ بِالتَّسْبِيحِ رَهِبَ مِنْ ذَلِكَ فَخَرَّ سَاجِدًا حَتَّى أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ(٢)".

الحديث الذي قبله، وأبو عمرو بن العلاء ثقة كما في الجرح والتعديل ٣/ ٦١٦، وتقريب التهذيب ص ٦٦٠ .

(١) طَبَقُوا : ملأوا . انظر العين للخليل بن أحمد ٥/ ١٠٨ .

(٢) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن ص ٩٥، برقم (٢٠١) . وكل رجاله ثقات إلا شهر بن حوشب، وهو ضعيف كما في المجروحين لابن حبان ١/ ٣٦١، والكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي ٥/ ٥٧ . لكن تابع شهرَ بنَ حوشب مجاهدٌ في حديث ابن عباس الأول، ويوسف بن مهران في حديث ابن عباس الثاني .

ومجاهد بن جبر ثقة كما في التاريخ الكبير للبخاري ٧/ ٤١١، والجرح والتعديل ٨/ ٣١٩ .

ويوسف بن مهران وثقه أبو زرعة وابن سعد كما في الطبقات الكبرى ٧/ ١٦٥، وتهذيب الكمال ٣٢/ ٤٦٣ .

فالحديث ـ إذاً ـ جاء عن ابن عباس من ثلاثة طرق، في كل طريق علة، لكن علة كل طريق ترتفع في الطريق الآخر، ومن ثم فأقل درجات حديث ابن عباس

وقد ذكر العلماء لإنزال سورة الأنعام جملة واحدة سببين :

السبب الأول : ما ذكره الرازي ـ رحمه الله ـ حين قال :"هذه السورة اختصت بنوعين من الفضيلة :

أحدهما : أنها نزلت دفعة واحدة .

والثاني : أنها شيعها سبعون ألفاً من الملائكة .

والسبب فيه أنها مشتملة على دلائل التوحيد والعدل والنبوة والمعاد، وإبطال مذاهب المبطلين والملحدين، وذلك يدل على أن علم الأصول في غاية الجلالة والرفعة، وـ أيضاً ـ فإنزال ما يدل على الأحكام قد تكون المصلحة أن ينزله الله ـ تعالى ـ قدر حاجتهم، وبحسب الحوادث والنوازل، وأما ما يدل على علم الأصول فقد أنزله الله ـ تعالى ـ جملة واحدة، وذلك يدل على أن تعلم علم الأصول واجب على الفور لا على التراخي[1]":اهـ

وقال طنطاوي ـ رحمه الله ـ :"الذي يقرأ سورة الأنعام بتدبر يجد فيها سمات القرآن المكي واضحة جلية، فهي تتحدث باستفاضة عن وحدانية الله، وعن مظاهر قدرته، وعن صدق النبي ـ ﷺ ـ في دعوته،

أنه حسن، فإذا انضم حديث ابن عباس إلى الأحاديث الأخرى كان الحديث في أعلى درجات الصحة .

(١) مفاتيح الغيب ١٢/ ٤٧١، وانظر نظم الدرر ٧/ ٢، ومحاسن التأويل ٤/ ٣٠٧، والتفسير المنير للزحيلي ٧/ ١٢٦ .

وعن الأدلة الدامغة التي تؤيد صحة البعث والثواب والعقاب يوم القيامة، إلى غير ذلك من المقاصد التي كثر الحديث عنها في القرآن المكي.

ومن هنا كانت سورة الأنعام بين السور المكية ذات شأن كبير في تركيز الدعوة الإسلامية، تقرر حقائقها، وتفند شبه المعارضين لها، واقتضت لذلك الحكمة الإلهية أن تنزل ـ مع طولها وتنوع آياتها ـ جملة واحدة، وأن تكون ذات امتياز خاص لا يُعْرَف لسواها كما قرره جمهور العلماء[١]":اهـ

السبب الثاني : ـ قال الطاهر بن عاشور :"لعل حكمة إنزالها جملة واحدة قطع تعلل المشركين في قولهم : لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة[٢]، توهماً منهم أن تنجيم نزوله يناكد[٣] كونه كتاباً، فأنزل الله سورة الأنعام ليعلموا أن الله قادر على ذلك، إلا أن حكمة تنجيم النزول أولى بالمراعاة[٤]، وـ أيضاً ـ ليحصل الإعجاز بمختلف أساليب

(١) التفسير الوسيط للإمام الأكبر محمد سيد طنطاوي ٥/ ٨ .

(٢) قال الله ـ تعالى ـ : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ سورة الفرقان (٣٢) .

(٣) يقال نَاكَد الشيءُ شيئاً آخر . أي : ناقضه وتعارض معه . انظر العين ٥/ ٣٣١، ولسان العرب ٣/ ٤٢٨ .

(٤) انظر الحكمة من تنجيم القرآن ـ أي : نزوله مفرقاً ـ في البرهان في علوم القرآن للزركشي ١/ ٢٣١، والإتقان في علوم القرآن لجلال الدين

الكلام من قصر وطول وتوسط، فإن طول الكلام قد يقتضيه المقام[١]":اهـ

ونزول سورة الأنعام جملة واحدة لا يعارض ما يُذْكَر من حوادث حدثت قبل الهجرة كانت أسباباً لنزول بعض الآيات المتفرقة منها، لأن أسباب نزول تلك الآيات قد تتجمع في مدة قصيرة قبل نزول هذه السورة، فيكون نزول تلك الآيات مسبباً على تلك الحوادث[٢].

الاتجاه الثاني : ـ أن سورة الأنعام نزلت بمكة جملة واحدة بدليل الأحاديث الماضية في الاتجاه الأول، لكنهم استثنوا عدة آيات قالوا : إنها نزلت بعد الهجرة في المدينة[٣].

عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ١/ ١٥١، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م، بتحقيق / محمد أبوالفضل إبراهيم، ومناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبدالعظيم الزرقاني ١/ ٥٣، ط مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة .

(١) التحرير والتنوير ٧/ ١٢٢ .

(٢) انظر التحرير والتنوير ٧/ ١٢٣ .

(٣) انظر تفسير مقاتل بن سليمان ١/ ٥٤٨، ط دار إحياء التراث ـ بيروت ـ الأولى ١٤٢٣هـ، وبحر العلوم للسمرقندي ١/ ٤٣٣، والكشف والبيان للثعلبي ٤/ ١٣١، وتفسير القرآن للسمعاني ٢/ ٨٥، ومعالم التنزيل للبغوي ٢/ ١٠٧، والمحرر الوجيز ٢/ ٢٦٥، وزاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ٢/ ٧، ط دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ

قلت : أما الآيات المستثناة من سورة الأنعام فسوف نناقشها في مبحث مستقل ـ إن شاء الله ـ .

الاتجاه الثالث : ـ أن سورة الأنعام لم تنزل جملة واحدة، بل نزلت مُفَرَّقَة مُنَجَّمَة، وقد ذهب إلى هذا العلامة ابن الصلاح(١) ـ رحمه الله ـ كما جاء في فتاويه .

الأولى ١٤٢٢هـ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ٢/ ١٥٣، ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٨هـ، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي ٣/ ١٠٤، ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ، والبيان في عد آي القرآن لأبي عمرو الداني ص ١٥١ .

(١) هو عثمان بن عبد الرحمن (صلاح الدين) بن عثمان بن موسى بن أبي النصر، المعروف بابن الصلاح : أحد الفضلاء المقَدَّمين في التفسير والحديث والفقه . ولد في بلاد ما وراء النهر، وانتقل إلى الموصل ثم إلى بيت المقدس حيث ولي التدريس . وانتقل إلى دمشق، فولاه الملك الأشرف تدريس دار الحديث، وتوفي فيها سنة ثلاث وأربعين وستمائة . له كتاب : معرفة أنواع علم الحديث، يعرف بمقدمة ابن الصلاح، والفتاوى، جمعه تلمبذه إسحاق بن أحمد بن عثمان المغربي . انظر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لشمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان ٣/ ٢٤٣، ط دار صادر ـ بيروت ـ الأولى ١٩٧١م، وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ١٤/ ٤٥٥، ط دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى ٢٠٠٣م .

"**مسألة** : الذي تفعله الأئمة في هذا الزمان من قراءة سورة الأنعام في قيام رمضان جملة واحدة بناء منهم على أنه ـ ﷺ ـ قال : أُنْزِلَت عَلَيَّ سورة الأنعام جملة واحدة، معها سبعون ألف ملك..... إلى آخر الحديث . فهل لهذا صحة أو لا؟ وهل نُقِل عن أحد من الصحابة والتابعين والعلماء المعتبرين ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ ذلك؟

أجاب ـ رضي الله عنه ـ : فعلهم هذا بدعة ولا أصل صحيح لذلك فيما علمناه، والابتداع إنما هو في تخصيص الأنعام بذلك على الوجه الذي يتعارفونه، لا في مطلق قراءة سورة كاملة بالأنعام أو غيرها في ركعة واحدة . والخبر المذكور في ذلك قد رُوِيَ من حديث أبي بن كعب عن النبي ـ ﷺ ـ، وفي إسناده ضعف، ولم نر له إسناداً صحيحاً، وقد رُوِى ما يخالفه، فرُوِى أنها لم تنزل جملة واحدة، بل نزلت آيات منها بالمدينة، وسائرها نزل بمكة[1]":اهـ

ومال إلى هذا ـ أيضاً ـ الإمام الآلوسي[2]ـ رحمه الله ـ حيث ذكر بعض أحاديث فضائل سورة الأنعام، ثم قال :"إلى غير ذلك من الأخبار،

---

(١) فتاوى ابن الصلاح عثمان بن عبد الرحمن(صلاح الدين) بن عثمان بن موسى بن أبي النصر ص ٢٤٨، ط مكتبة العلوم والحكم ـ بيروت ـ الأولى ١٤٠٧هـ.

(٢) هو محمود بن عبد الله بن محمود بن درويش الحسيني الآلوسي، شهاب الدين، أبو الثناء، شيخ علماء العراق في عصره، مفسر، فقيه، أديب، لغوي، نسبته إلى جزيرة آلوس في وسط نهر الفرات، ولد ببغداد، وتقلد الإفتاء فيها

وغالبها في هذا المطلب ضعيف وبعضها موضوع . ولعل الأخبار بنزول هذه السورة جملة ـ أيضاً ـ كذلك.....، ويؤيد ما أشرنا إليه من ضعف الأخبار بالنزول جملة ما قاله ابن الصلاح في فتاويه : الحديث الوارد في أنها نزلت جملة رُوِي من طريق أبي بن كعب، ولم نر له سنداً صحيحاً، وقد رُوِي ما يخالفه . انتهى[1]":اهـ

والحجة المأخوذة من قولهما تتلخص في أمرين :

الأول: ضعف الأحاديث الدالة على نزول سورة الأنعام جملة واحدة.

الثاني:كيف يثبت أنها نزلت جملة واحدة بمكة مع أن بعض آياتها نزلت بالمدينة فاسْتُثْنِيَتْ من مكية السورة؟

قلت : الصحيح في هذه المسألة أن سورة الأنعام نزلت كلها جملة واحدة في مكة، ويشهد لهذا عدة وجوه تقويه وتضعف ما خالفه :

سنة ١٢٤٨ هـ، ثم عُزِل، فانقطع للعلم . ثم سافر إلى عدة بلاد، وعاد إلى بغداد، وعكف على التأليف إلى أن توفي سنة ألف ومائتين وسبعين من الهجرة . له تصانيف أشهرها : روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، وله ـ أيضاً ـ الأجوبة العراقية عن الأسئلة الإيرانية . انظر الأعلام لخير الدين محمود بن محمد الزركلي ٧/ ١٧٦، ط دار العلم للملايين، الخامسة عشر ٢٠٠٢م، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١٢/ ١٧٥، ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ .

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي ٤/ ٧٢، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٥هـ .

الوجه الأول : أن الأخبار التي تدل على نزول سورة الأنعام في مكة جملة واحدة قد بلغت درجة الصحة، فهي لم تأت من طريق أبي بن كعب فقط، بل جاءت ـ أيضاً ـ من طريق أنس بن مالك، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن عباس .

فحديث أنس بن مالك سنده موصول، وكل رجاله ثقات، فتتوفر فيه كل شروط الحديث الصحيح .

وحديث ابن عمر ـ مع ضعف سنده ـ فإنه يشهد له الأحاديث الأخرى .

وحديث أبي بن كعب ـ مع ضعف سنده ـ فإنه يشهد له الأحاديث الأخرى .

وحديث عبدالله بن عباس جاء من ثلاثة طرق، في كل طريق علة، لكن علة كل طريق ترتفع في الطريق الآخر، ومن ثم فأقل درجات حديث ابن عباس أنه حسن، فإذا انضم حديث ابن عباس إلى الأحاديث الأخرى كان الحديث في أعلى درجات الصحة . وما سبق من تخريج وتحقيق لهذه الأحاديث يدل على هذا كله .

ومما استقر عند علماء الحديث أن كثرة الطرق للحديث الواحد يقوي بعضها بعضاً، وترتفع بالحديث من الضعف إلى الحُسْن أو الصحة[1].

---

(١) انظر نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ص ٢١١، ط مطبعة سفير ـ الرياض ـ الأولى ١٤٢٢هـ،

ومسألة نزول سورة الأنعام جملة واحدة لا مجال للرأي ولا للهوى فيها، والرواة إن خف الضبط عند بعضهم فقد تأكدنا من حفظهم لهذا الحديث بشهادة الطرق الأخرى .

قال محمد رشيد رضا في شأن نزول سورة الأنعام جملة واحدة:"فكثرة الروايات في مسألة لا مجال فيها للرأي فتكون اجتهادية، ولا للهوى فتكون موضوعة، ولا لغلط الرواة فتكون معلولة، لا بد أن يكون لها أصل صحيح[1]":اهـ

الوجه الثاني : ـ دعوى استبعاد نزولها جملة واحدة لأن بعض آياتها نزلت بالمدينة فاسْتُثْنِيَتْ من مكية السورة، أُجِيْبَ عن هذا بجوابين :

الجواب الأول : ـ المحققون من المفسرين عندما بدءوا في تفسير سورة الأنعام صرحوا بأنها جميعها مكية، وأنها قد نزلت جملة واحدة، وتجاهلوا قول القائل : إن فيها آيات مدنية .

فهذا ـ مثلاً ـ الإمام ابن كثير ـ رحمه الله ـ ساق في مطلع تفسيره لهذه السورة الروايات التي تثبت أنها مكية، ولم يذكر رواية واحدة تثبت أن فيها آية أو آيات قد نزلت بالمدينة[2].

وتدريب الراوي في شرح تقريب النواوي لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ١/ ١٧٩، ط دار طيبة، ومقدمة في أصول الحديث لعبدالحق بن سيف الدين الحنفي ص ٥٩، ط دار البشائر الإسلامية ـ بيروت ـ الثانية ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .

(١) تفسير المنار ٧/ ٢٣٨ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٢٢٧ و ٢٢٨ .

وابن كثير- كما نعرف - من الحفاظ النقاد الذين يعرفون كيف يتخيرون الروايات، وكيف يميزون بين صحيحها وضعيفها[١].

فما قيل في أسباب نزول تلك الآيات بعضه لا يصح والبعض الآخر لا يدل على نزول تلك الآيات متفرقة، وإنما قالوا إن آية كذا نزلت في كذا، أو في قول المشركين كذا، وهذا هو الأكثر، فإذا صح كان معناه أن تلك الآيات نزلت بعد تلك الوقائع والأقوال مبينة حكم الله فيها، وهذا لا ينافي نزولها دالة على ذلك في ضمن السورة[٢].

وسياق هذه الآيات وفحواها وانسجامها مع ما قبلها وبعدها يسوغ الشك في هذه الروايات وترجيح مكية الآيات[٣].

والجواب الثاني : - لو سلمنا بصحة ما يدل على استثناء بعض الآيات من سورة الأنعام فقصاراه أن السورة بعد أن أُنْزِلَت جملة واحدة أُلْحِقَ بها آياتٌ مما نزل بالمدينة[٤].

---

(١) انظر التفسير الوسيط للطنطاوي ٥/ ٧ .

(٢) انظر تفسر المنار ٧/ ٢٣٩ .

(٣) انظر التفسير الحديث لمحمد عزت دروزة ٤/ ٦٣، ط دار إحياء الكتب العربية - القاهرة - ١٣٨٣هـ .

(٤) انظر تفسير المنار ٧/ ٢٣٩، والتفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم يونس الخطيب ٤/ ١١٦، ط دار الفكر العربي - القاهرة -، والتحرير والتنوير ٧/ ١٢٣ .

لكن القول الفصل في هذه الآيات المستثناة من سورة الأنعام يأتي بالتفصيل والمناقشة المتأنية في مبحث خاص بإذن الله ـ .

خلاصة القول : أن سورة الأنعام سورة مكية باتفاق العلماء، بدليل عدة أحاديث نصت على أن سورة الأنعام مكية نزلت في مكة قبل الهجرة، وما صح من أسباب نزول كثير من آيات سورة الأنعام واضح الدلالة على أن هذه الآيات نزلت بسبب أسئلة أو حوادث حدثت بمكة قبل هجرة النبي ـ ﷺ ـ، والقضايا التي تحدثت عنها سورة الأنعام هي قضايا خصائص السور المكية، ففي السورة : الأدلة على وحدانية الله وقدرته، والأدلة على صدق النبي ـ ﷺ ـ في دعوته، والأدلة على أن يوم القيامة حق، وتفنيد الشبهات التي أثارها المشركون حول هذه الأمور الثلاثة .

والصحيح أن سورة الأنعام نزلت بمكة جملة واحدة دون استثناء أي آية منها، بدليل الأحاديث التي جاءت من عدة طرق وصرحت بهذا . أما الآيات المستثناة من سورة الأنعام فسوف يأتي مناقشتها بالتفصيل في مبحث خاص ـ بإذن الله ـ .

المبحث الثاني
الآيات المستثناة من سورة الأنعام
المطلب الأول

قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾[1]﴾ .

صرح الإمام مقاتل بن سليمان[2]ـ رحمه الله ـ أن هذه الآية نزلت في المدينة بعد الهجرة فهي مدنية حينما قال :"سورة الأنعام مكية كلها إلا هذه الآيات نزلت بالمدينة.....، والآيات المدنية هي :.....، وقوله : ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ[3]﴾، هذه الآيات مدنيات، وسائرها مكي[4]":اهـ

---

(١) سورة الأنعام (٢٠) .

(٢) هو مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، أبو الحسن : من أعلام المفسرين، أصله من بلخ، انتقل إلى البصرة، ودخل بغداد فحدث بها . وتوفي بالبصرة سنة خمسين ومائة . كان متروك الحديث . من كتبه : التفسير الكبير، والرد على القدرية، ومتشابه القرآن . انظر تاريخ بغداد للخطيب أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي ١٥/ ٢٠٧، ط دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م، وطبقات المفسرين لشمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي ٢/ ٣٣٠، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ .

(٣) ذكر الإمام مقاتل بن سليمان عدة آيات استثناها من سورة الأنعام وقال : إنها مدنية . اقتصرتُ في النقل عنه على ذكر الآية محل البحث فقط .

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان أبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى ١/ ٥٤٧ و ٥٤٨، ط دار إحياء التراث ـ بيروت ـ الأولى ١٤٢٣هـ .

ثم استثنى هذه الآية من بعد مقاتل بن سليمان غير واحد من أهل العلم[١].

وقصارى ما يمكن أن يُسْتَدَل به على مدنية هذه الآية دليلان :

الدليل الأول : ـ قول ابن جريج[٢]ـ رحمه الله ـ :﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ يعني النبي ـ ﷺ ـ، ثم قال : زعم أهل المدينة من أهل الكتاب ممن أسلم أنهم قالوا : والله لنحن أعرف به من أبنائنا،

---

(١) استثناها الإمام أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي في تفسيره تأويلات أهل السنة ٤/ ٤٢، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م، وابن عطية في المحرر الوجيز ٢/ ٢٦٥، وعلي بن محمد بن عمر الشيحي المعروف بالخازن في لباب التأويل في معاني التنزيل ٢/ ٩٧، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٥هـ والسيوطي في الإتقان ١/ ٥٧ .

وطُبِعَت بعض المصاحف ونُص فيها على مدنية هذه الآية واستثنائها من مكية سورة الأنعام، كالمصحف المطبوع في شركة الشمرلي للطبع والنشر ـ مصر ـ بتصريح من مشيخة الأزهر رقم (٥٤٩) في ١٢/ ١٢/ ١٩٨٨م .

(٢) هو عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج، أبو الوليد وأبو خالد : فقيه الحرم المكي، كان إمام أهل الحجاز في عصره، وهو أول من صنف التصانيف في العلم بمكة، رومي الأصل، من موالي قريش، مكي المولد والوفاة، مات سنة خمسين ومائة من الهجرة . انظر وفيات الأعيان ٣/ ١٦٣، وطبقات المفسرين للداوودي ١/ ٣٥٨ .

من أجل الصفة والنعت الذي نجده في الكتاب، وأما أبناؤنا فلا ندري ما أحدث النساء[١].[٢].

الدليل الثاني:- قال الإمام الأكبر محمد سيد طنطاوي - رحمه الله -:"يظهر أنهم - أي : القائلين بأن الآية مدنية - لما وجدوا الحديث في هذه الآية عن أهل الكتاب، ووجدوا أن هذه الآية نظيرةٌ لآية أخرى مدنية تبدأ بما بدأت به، وهي قوله - تعالى - في سورة البقرة : ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦[٣]﴾، ومن المعروف أن صلة الإسلام بأهل الكتاب إنما كانت بعد الهجرة، وفي المدينة دون مكة، لما وجدوا هذا قرروا أن الآية مدنية، فالمسألة ليست إلا اجتهاداً، وليست حسب رواية مسندة[٤]":اهـ

ويمكن أن نناقش القول بمدنية هذه الآية من عدة وجوه :

---

(١) قال أحمد محمد شاكر في تحقيقه لجامع البيان في تعليقه على جملة : وأما أبناؤنا فلا ندري ما أحدث النساء . :"يعني : لا يدرون أَسَلِم لهم أبناؤهم من أصلابهم، أم خالطهم سفاح من سفاحهن":اهـ حاشية التحقيق لجامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري ١١/ ٢٩٦، ط مؤسسة الرسالة الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م .

(٢) أخرجه ابن جرير في جامع البيان ١١/ ٢٩٥، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١/ ٣٥٦، وزاد نسبته لابن المنذر .

(٣) سورة البقرة (١٤٦) .

(٤) التفسير الوسيط للإمام الأكبر محمد سيد طنطاوي ٥/ ٥٥ .

الوجه الأول : ـ أثر ابن جريج ليس فيه أي دلالة من قريب أو من بعيد على أن الآية محل البحث نزلت بسبب ما كان يقوله المسلمون من أهل الكتاب في المدينة، بل الآية نزلت في مكة، ولما هاجر الرسول ـ ﷺ ـ إلى المدينة وأسلموا قالوا : والله لنحن أعرف به من أبنائنا، من أجل الصفة والنعت الذي نجده في الكتاب، وأما أبناؤنا فلا ندري ما أحدث النساء . فكان قولهم الذي قالوه بالمدينة تصديقاً للآية التي نزلت بمكة .

الوجه الثاني : ـ إذا كانت آية سورة الأنعام محل البحث نظيرة لآية أخرى مدنية تبدأ بما بدأت به، وهي قوله ـ تعالى ـ في سورة البقرة : ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ فليس في هذا دلالة على أن آية الأنعام مدنية، فكم من آيات مكية باتفاق العلماء ولها نظير من آيات أخرى مدنية، خذ ـ مثلاً قوله ـ تعالى ـ : ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿٦٢﴾[1]﴾ . قال ابن كثير عند تفسيرها :"تقدم تفسير هذا كله في سورة البقرة، وهي مدنية، وهذا السياق مكي، ونبهنا على الفرق بين هذا السياق وذاك بما أغنى عن إعادته[2]":اهـ

---

(١) سورة الأعراف (١٦٠ ـ ١٦٢) .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٤٩٢ .

وهو ـ رحمه الله ـ يشير إلى قوله ـ تعالى ـ : ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾(١)﴾، وفي تفسيرها قال ابن كثير :"هذه القصة شبيهة بالقصة المذكورة في سورة الأعراف، ولكن تلك مكية، فلذلك كان الإخبار عنهم بضمير الغائب ؛ لأن الله ـ تعالى ـ يقص ذلك على رسوله ـ ﷺ ـ عما فعل بهم . وأما في هذه السورة، وهي البقرة فهي مدنية؛ فلهذا كان الخطاب فيها متوجهاً إليهم(٢)":اهـ

الوجه الثالث : ـ يتبين مما سبق أنه لا مانع أبداً أن يأتي في القرآن المكي حديث عن أهل الكتاب كما قال محمد الغزالي ـ رحمه الله ـ :"هناك آيات مكية تعرضت لأهل الكتاب، فجاء الرواة وعدوها مدنية، كأن الكلام عن أهل الكتاب في مكة لا محل له، والواقع أن هذه الروايات ينقصها التمحيص العلمي والتحقيق التاريخي، والغريب أن هذه الروايات الواهية هي التي أثبتها ـ دون غيرها ـ نفر من الحفاظ أشرفوا على طبع هذا المصحف أخيراً في دار الكتب المصرية(٣)":اهـ

---

(١) سورة البقرة (٥٨ ـ ٦٠) .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٢٧٩ .

(٣) نظرات في القرآن للشيخ محمد الغزالي ص ٢٦١، ط دار الكتب الحديثة ـ القاهرة ـ الرابعة ١٣٨٣هـ ١٩٦٣م .

الوجه الرابع : ـ إذا ثبت أنه لا مانع أبداً أن يأتي في القرآن المكي حديث عن أهل الكتاب فهذه الآية محل البحث من هذا القبيل، فقد ذُكِر أهل الكتاب في هذه الآية للاستدلال بما عندهم من العلم، وأن ما جاء به النبي ـ ﷺ ـ موافق لما عندهم، والغرض في ذلك هو إدخال الطمأنينة إلى قلوب المؤمنين بالدعوة الجديدة، ومحاجة المشركين من أهل مكة الذين أنكرو نبوة النبي ـ ﷺ ـ .

قال الزمخشري[1]في تفسير الآية محل البحث :"هذا استشهاد لأهل مكة بمعرفة أهل الكتاب به ـ ﷺ ـ وبصحة نبوّته[2]":اهـ

---

(١) هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم، من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب . وُلِد في زمخشر (من قرى خوارزم)، وسافر إلى مكة فجاور بها زمناً فلُقِّب بجار الله، وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) فتوفي فيها سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة، أشهر كتبه : الكشاف في تفسير القرآن، وأساس البلاغة . انظر تاريخ بغداد ٢١/ ١٧٢، وسير أعلام النبلاء لشمس الدين محمد بن أحمد بن قايماز الذهبي ١٥/ ١٧، ط دار الحديث ـ القاهرة ـ ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م .

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لمحمود بن عمرو الزمخشري ٢/ ١٢، ط دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ الثالثة ١٤٠٧هـ، ومثله في المحرر الوجيز ٢/ ٢٧٦، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات عبدالله بن أحمد النسفي ١/ ٤٩٦، ط دار الكلم الطيب ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م، ومحاسن التأويل للقاسمي ٤/ ٣٣١، والتفسير المنير للزحيلي ٧/ ١٦٣ .

فقد تكرر في القرآن الكريم ذكر معرفة أهل الكتاب لهذا القرآن، أو لصحة رسالة النبي ـ ﷺ ـ وتنزيل هذا القرآن عليه من عند الله، تكرر ذكر هذه الحقيقة سواء في مواجهة أهل الكتاب أنفسهم، عند ما كانوا يقفون من النبي ـ ﷺ ـ ومن هذا الدين وقفة المعارضة والإنكار والحرب والعداء، وكان هذا ـ غالباً ـ في المدينة، أو في مواجهة المشركين من العرب لتعريفهم أن أهل الكتاب الذين يعرفون طبيعة الوحي والكتب السماوية يعرفون هذا القرآن، ويعرفون صدق رسول الله ـ ﷺ ـ في أنه وحي أوحى به ربه إليه كما أوحى إلى الرسل من قبله.

وأهل الكتاب كان لهم شأن كبير عند مشركي مكة؛ لما عند أهل الكتاب من بقايا العلم الذي ورثوه عن أسلافهم، فكانوا يسألونهم ـ أحياناً ـ مستعينين بهم على مواجهة النبي ـ ﷺ ـ .

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ـ قَالَ :"قَالَتْ قُرَيْشٌ لِليَهُودِ : أَعْطُونَا شَيْئًا نَسْأَلُ عَنْهُ هَذَا الرَّجُلَ، فَقَالُوا : سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ . فَسَأَلُوهُ، فَنَزَلَتْ : ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾[1]، قَالُوا : أُوتِينَا عِلْمًا كَثِيرًا، أُوتِينَا التَّوْرَاةَ، وَمَنْ أُوتِيَ التَّوْرَاةَ، فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا . قَالَ : فَأَنْزَلَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ : ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾[2]".

---

(١) سورة الإسراء (٨٥) .

(٢) سورة الكهف (١٠٩) .

فلما صار لهم عهد باليهود كان مما رَدَّ الله ـ تعالى ـ به عليهم في هذه السورة قوله ـ بعد ما تقدم من الحجج ـ : ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾، أي : يعرفون محمداً النبي الأمي خاتم الرسل ـ ﷺ ـ كما يعرفون أبناءهم، لأن نعته في كتبهم واضح ظاهر(٢).

والوجه الخامس : ـ الآية محل البحث مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالسياق الذي جاءت فيه، فالسياق قبلها وبعدها كله عن المشركين، وبخاصة الآية السابقة لها مباشرة، حيث يقول الله ـ تعالى ـ : ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ.....(٣)﴾، فهذه الآية رد على المشركين الذين قالوا لرسول الله ـ ﷺ ـ : إنا سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أنه ليس لك عندهم ذكر ولا صفة، فأرنا من يشهد لك أنك رسول كما تزعم(٤)، فبين

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ٥/ ٣٠٤، كتاب : تفسير القرآن، باب : ومن سورة بني إسرائيل، برقم (٣١٤٠)، وصححه محققه أحمد محمد شاكر، وأخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٥٤، برقم (٢٣٠٩)، وصححه محققه شعيب الأرنؤوط، وأخرجه ابن حبان في صحيحه ١/ ٣٠١، برقم (٩٩)، وصححه محققه شعيب الأرنؤوط .

(٢) انظر تفسير المنار ٧/ ٢٦٨ .

(٣) سورة الأنعام (١٩) .

(٤) قال الكلبي : إِنَّ رُؤَسَاءَ مَكَّةَ قَالُوا : يَا مُحَمَّدُ، مَا نَرَى أَحَدًا يُصَدِّقُكَ بِمَا تَقُولُ مِنْ أَمْرِ الرِّسَالَةِ، وَلَقَدْ سَأَلْنَا عَنْكَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى فَزَعَمُوا أَنْ لَيْسَ لَكَ عِنْدَهُمْ ذِكْرٌ وَلَا صِفَةٌ، فَأَرِنَا مَنْ يَشْهَدُ لَكَ أَنَّكَ رَسُولٌ كَمَا تَزْعُمُ . فَأَنْزَلَ اللهُ ـ

الله ـ تعالى ـ في الآية الأولى أن شهادة الله على صحة نبوته كافية في ثبوتها وتحققها، ثم بين في الآية محل البحث أنهم كَذَبوا في قولهم : إنا لا نعرف محمداً ـ ﷺ ـ . لأنهم يعرفونه بالنبوة والرسالة كما يعرفون أبناءهم[1].

فالآية مستأنفة انتقل بها أسلوب الكلام من مخاطبة الله المشركين على لسان الرسول ـ ﷺ ـ إلى إخبار عام كسائر أخبار القرآن . أظهر الله دليلاً على صدق الرسول فيما جاء به بعد شهادة الله ـ تعالى ـ التي في قوله : ﴿قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾، فإنه لما جاء ذكر القرآن هنالك وقع هذا الانتقال للاستشهاد على صدق القرآن المتضمن صدق من جاء به، لأنه هو الآية المعجزة العامة الدائمة . وقد علمنا أن المشركين سألوا أهل الكتاب عن النبي ـ ﷺ ـ فزعموا أن ليس عندهم ذكره ولا صفته، فإذا كان كذلك كان التعرض لأهل الكتاب

تَعَالَى ـ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ . ذكره بدون سند الواحدي في أسباب النزول ص ٢١٦ و ٢١٧، والثعلبي في الكشف والبيان ٤/ ١٤٠، والبغوي في معالم التنزيل ٢/ ١١٥، وابن الجوزي في زاد المسير ٢/ ١٥.

(١) انظر مفاتيح الغيب ١٢/ ٥٠٠، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٢٤٥، واللباب في علوم الكتاب ٨/ ٦٨، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٧/ ٧٨، وإرشاد العقل السليم ٣/ ١١٨، والتفسير الحديث ٤/ ٧٥، والتفسير الوسيط للطنطاوي ٥/ ٥٥، والتفسير المنير ٧/ ١٦٢ .

هنا إبطالاً لما قالوه : إنه ليس عندهم ذكر النبي ولا صفته، أي فهم وأنتم سواء في جحد الحق .

وإن لم نجعل الآية مشيرة إلى ما ذُكِر في أسباب النزول تعين أن تجعل المراد بـ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ بعض أهل الكتاب، وهم المنصفون منهم مثل عبدالله بن سلام، فقد كان المشركون يقدرون أهل الكتاب ويثقون بعلمهم، وربما اتبع بعضُ المشركين دينَ أهل الكتاب وأقلعوا عن الشرك، مثل ورقة بن نوفل[1]، فلذلك كانت شهادتهم في معرفة صحة الدين موثوقاً بها عندهم إذا أدوها ولم يكتموها . وفيه تسجيل على أهل الكتاب بوجوب أداء هذه الشهادة إلى الناس[2].

---

(١) هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، حكيم جاهلي من قريش، اعتزل الأوثان قبل الإسلام، وامتنع من أكل ذبائحها، وتنصر، وقرأ كتب الأديان . وكان يكتب اللغة العربية بالحرف العبراني . أدرك أوائل عصر النبوة، ولم يدرك الدعوة . وهو ابن عم خديجة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ . انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم، المعروف بابن الأثير ٥/ ٤١٦، ط دار الكتب العلمية، الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٤م، والإصابة في تمييز الصحابة لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٦/ ٤٧٤، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٥هـ.

(٢) انظر التحرير والتنوير ٧/ ١٧٠ .

خلاصة القول : أن الآية محل البحث اسْتُثْنِيَتْ من سورة الأنعام المكية، فقيل : إنها مدنية بحجة أنها تتحدث عن أهل الكتاب، وأن لها نظيراً في سورة البقرة المدنية .

والصحيح أن الآية مكية كسورتها، فكم من آيات مكية ـ باتفاق العلماء ـ ولها نظير من آيات أخرى مدنية، ولا مانع أبداً أن يأتي في القرآن المكي حديث عن أهل الكتاب، وقد ذُكِر أهل الكتاب في هذه الآية للاستدلال بما عندهم من العلم، وأن ما جاء به النبي ـ ﷺ ـ موافق لما عندهم .

ويؤكد كونها مكية ـ أيضاً ـ سياق الآيات قبلها، : (قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ) وهذه شهادة من الله لنبيه ـ ﷺ ـ بأنه صادق فيما يبلغه عن ربه، والآية التي معنا فيها شهادة من أهل الكتاب بأنهم يعرفون صدق النبي ـ ﷺ ـ كما يعرفون أبناءهم، ومن المعروف أن أهل مكة كانوا يسألون أهل الكتاب عن النبي ـ ﷺ ـ، وفضلاً عن ذلك لم يرد نص صحيح يثبت أن هذه الآية الكريمة قد نزلت بالمدينة .

المطلب الثاني

قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾[1].

صرح غير واحد من المفسرين باستثناء هذه الآية من مكية سورة الأنعام، وهذا يقضي بأنها آية مدنية[2].

ولم أر ما يمكن أن يُسْتَدَل به على مدنية هذه الآية إلا ما جاء عَنِ الضَّحَّاكِ عَنِ عَبْدِالله بْنِ عَبَّاسٍ ، فِي قَوْلِهِ : ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ يَعْنِي : الْمُنَافِقِينَ ، وَإِنَّمَا سَمَّاهُمُ اللهُ مُنَافِقِينَ ، لِأَنَّهُمْ كَتَمُوا الشِّرْكَ ، وَأَظْهَرُوا الْإِيمَانَ ، فَقَالُوا وَهُمْ فِي النَّارِ : هَلُمُّوا فَلْنَكْذِبْ هَاهُنَا ، فَلَعَلَّهُ أَنْ يَنْفَعَنَا كَمَا نَفَعَنَا فِي الدُّنْيَا ، فَإِنَّا كَذَبْنَا فِي الدُّنْيَا فَنَفَعَنَا ، حَقَنَّا دِمَاءَنَا وَأَمْوَالَنَا ، فَقَالُوا : يَا رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ[3].

---

(١) سورة الأنعام (٢٣) .

(٢) انظر تأويلات أهل السنة لأبي منصور الماتريدي ٤/ ٤٤، ودرج الدرر في تفسير الآي والسور لعبد القاهر بن عبدالرحمن الجرجاني ٢/ ٧٠٣، ط سلسلة إصدارات مجلة الحكمة ـ بريطانيا ـ الأولى ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م، والبحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي ٤/ ٤٦٥، ط دار الفكر ـ بيروت ـ ١٤٢٠هـ .

وطُبِعَت بعض المصاحف ونُص فيها على مدنية هذه الآية واستثنائها من مكية سورة الأنعام، كالمصحف المطبوع في شركة الشمرلي للطبع والنشر ـ مصر ـ بتصريح من مشيخة الأزهر رقم (٥٤٩) في ١٢/ ١٢/ ١٩٨٨م .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٢٧٤، برقم (٧١٨١)، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/ ٢٥٨، وزاد نسبته لأبي الشيخ، ولم أعثر عليه في كل كتب أبي الشيخ التي تحت يدي .

فما دامت الآية في شأن المنافقين فهي مدنية، إذ لم يُعْرَف النفاق إلا بعد الهجرة في المدينة .

ويمكن أن نناقش القول بمدنية هذه الآية من عدة وجوه :

الوجه الأول : ـ أن أثر ابن عباس شديد الضعف كما بان في تخريجه، ومثل هذا الأثر لا يمكن أن يحتج به .

الوجه الثاني : ـ ثبت عن ابن عباس ما يدل على أن الآية ليست في المنافقين، بل هي في شأن المشركين عبدة الأوثان، فعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ لِابْنِ عَبَّاسٍ : إِنِّي أَجِدُ فِي الْقُرْآنِ أَشْيَاءَ تَخْتَلِفُ عَلَيَّ، وَقَدْ وَقَعَ ذَلِكَ فِي صَدْرِي، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : «أَتَكْذِيبٌ؟» قَالَ : لَا، وَلَكِنِ اخْتِلَافٌ، قَالَ : فَهَلُمَّ مَا وَقَعَ فِي نَفْسِكَ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ : أَسْمَعُ اللهَ ـ عَزَّ

وسند ابن أبي حاتم : حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ ، حَدَّثَنَا مِنْجَابٌ ، أنا بِشْرُ بْنُ عُمَارَةَ ، عَنْ أَبِي رَوْقٍ ، عَنِ الضَّحَّاكِ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ..... وهذا السند فيه علتان :

العلة الأولى : بشر بن عمارة الخثعمي المُكْتِب . وهو ضعيف، وقال الدارقطني : متروك . انظر الجرح والتعديل ٢/ ٣٦٢، وتقريب التهذيب ص ١٢٣ .

والعلة الثانية : الضحاك بن مُزَاحِم الهلالي أبو القاسم أو أبو محمد الخراساني . وثقه أحمد وابن معين وأبو زرعة، وضعفه يحيى القطان وشعبة . وهو كثير الإرسال، لقي جماعة من التابعين ولم يشافه أحداً من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ، ومن زعم أنه لقي ابن عباس فقد وهم . انظر الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي ٥/ ١٤٩، والمغني في الضعفاء للذهبي ١/ ٣١٢ .

وَجَلَّ - يَقُولُ : ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ۝٤٢﴾[1]، وَقَوْلُهِ : ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، فَقَدْ كَتَمُوا فِي هَذِهِ الْآيَةِ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَمَّا قَوْلُهُ : ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾، وَقَوْلُهُ : ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ . فَإِنَّ اللهَّ - تَعَالَى - يَغْفِرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ والْإِخْلَاصِ ذُنُوبَهُمْ ، وَلَا يَتَعَاظَمُ ذَلِكَ عَلَيْهِ أَنْ يَغْفِرَهُ، فَلَمَّا رَأَى الْمُشْرِكُونَ ذَلِكَ قَالُوا : إِنَّ رَبَّنَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ وَلَا يَغْفِرُ الشِّرْكَ فَتَعَالَوْا حَتَّى نَقُولَ : إِنَّمَا كُنَّا أَهْلَ ذُنُوبٍ وَلَمْ نَكُنْ أَهْلَ شِرْكٍ ، فَسَأَلَهُمُ اللهَّ - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ۝٢٢﴾[2] قَالُوا : ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، وَإِنَّمَا كُنَّا أَهْلَ ذُنُوبٍ ، فَقَالَ اللهَّ - عَزَّ وَجَلَّ - : أَمَا إِذْ كَتَمْتُمُ الشِّرْكَ فَاخْتِمُوا عَلَى أَفْوَاهِهِمْ ، فَخَتَمَ اللهَّ - عَزَّ وَجَلَّ - عَلَى أَفْوَاهِهِمْ ؛ فَنَطَقَتْ أَيْدِيهِمْ ، وَشَهِدَتْ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ عَرَفَ الْمُشْرِكُونَ أَنَّ اللهَّ - عَزَّ وَجَلَّ - لَا يُكْتَمُ حَدِيثًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ - تَعَالَى - : ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾[3].

---

(١) سورة النساء (٤٢) .

(٢) جزء من الآية (٢٢) من سورة الأنعام وهي الآية التي تسبق الآية محل البحث حيث يقول الله - تعالى - : ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ۝٢٢ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ۝٢٣﴾ .

(٣) أخرجه البخاري تعليقاً في صحيحه ٦/ ١٢٧، كتاب : تفسير القرآن، باب : قوله : ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن

فهذا واضح الدلالة على أن الجرم الذي حاولوا كتمانه هو الشرك وليس النفاق .

صحيح أن المنافقين مشركون، وأهل الكتاب مشركون، وعبدة الأصنام من العرب وأهل مكة مشركون، لكن جرت العادة في النصوص الشرعية ـ قرآناً وسنة ـ وفي كلام الصحابة أن الأمر إذا تعلق بالمنافقين عُبِّر بالمنافقين، وإذا تعلق بأهل الكتاب عُبِّر بأهل الكتاب أو اليهود أو النصارى، وإذا تعلق بعبدة الأصنام من العرب وأهل مكة عُبِّر بالمشركين كما في سياق الآية محل البحث وكما في أثر ابن عباس من طريق ابن جبير.

الوجه الثالث : ـ سياق الآية يقطع بأن الآية ليست في المنافقين، بل هي في شأن المشركين من العرب، فالآية السابقة : ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾(١)﴾، ويتلفت القوم إلى

شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ سورة الزمر (٦٨)، والطبراني في المعجم الكبير ١٠/ ٢٤٥، برقم (١٠٥٩٤)، وأبو الشيخ في العظمة ٣/ ١٠٣٩، برقم (٥٥٩)، ومحمد بن إسحاق بن محمد بن مَنْدَه في كتابه التوحيد ومعرفة أسماء الله ـ عز وجل ـ وصفاته ١/ ١٠٤، برقم (١٧)، والبيهقي في الأسماء والصفات ٢/ ٢٤٥، برقم (٨٠٩)، وعبدالرزاق في تفسيره ١/ ٤٥٧، برقم (٥٨٨)، والحديث في أعلى درجات الصحة، وقد صححه الحافظ ابن حجر في تغليق التعليق على صحيح البخاري ٤/ ٣٠١، ط المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ ودار عمار ـ عمان الأردن ـ الأولى ١٤٠٥هـ .

(١) سورة الأنعام (٢٢) .

هؤلاء الشركاء الذين يسألهم الحق ـ جل وعلا ـ عنهم، فلا يجدون لهم أثراً، ويُخَيَّل إليهم من ضلالهم أن جسم الجريمة قد اختفى، وأنهم لن يؤخذوا بهذا الجرم الذي لا يقوم شاهد على وجوده، فيقولون كذباً وبهتاناً : ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، يقسمون بالله ويؤمنون به، ويدعونه ربهم، إمعاناً فى الكذب، وتعلقاً بالوهم، للفرار من هذا الموقف الرهيب.

وفى قوله ـ تعالى ـ : ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ إشارة إلى أن هذا القول الذي قالوه هو فتنة أخرى، إذ ما زالوا على ضلالهم القديم، وتصورهم الفاسد، وأنه ـ تعالى ـ لا يعلم ما قدموا وما أخروا، وما أسروا وما أعلنوا، فسمى ـ سبحانه وتعالى ـ هذا القول منهم فتنة، ولم يقل ـ سبحانه ـ : ثم لم يكن قولهم، أو جوابهم، إذ كان قولهم هذا هو فتنة لهم وضلال مبين، ولهذا قال بعدها : ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾[1][2].

قال ابن جرير :"يقول ـ تعالى ذكره ـ لنبيه محمد ـ ﷺ ـ : انظر، يا محمد، فاعلم، كيف كذَب هؤلاء المشركون العادلون بربهم الأوثانَ والأصنامَ في الآخرة عند لقاء الله على أنفسهم بقيلهم : ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾،

(١) سورة الأنعام (٢٤) .

(٢) انظر جامع البيان للطبري ١١/ ٢٩٧، ومعالم التنزيل للبغوي ٢/ ١١٧، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٢٤٦، والتفسير القرآني للقرآن ٤/ ١٤٨، والتحرير والتنوير ٧/ ١٧٣، وزهرة التفاسير ٥/ ٢٤٦٨ .

واستعملوا هنالك الأخلاق التي كانوا بها يتخلقون في الدنيا من الكذب والفرية[١]."اهـ

فالكلام متصل بما قبله وما بعده حيث يصف الموقف المحرج الذي يقفه المشركون يوم يحشرهم الله ـ تعالى ـ يوم القيامة، حيث يسألهم عن شركائهم فيحلفون الأيمان على أنهم لم يكونوا مشركين . وهكذا يكذبون أنفسهم ويتنصلون من جريمتهم عبثاً، ويغيب عنهم الشركاء الذين أفتروهم ولا يجدون لهم منهم أولياء ولا نصراء[٢].

وخلاصة القول : أنه لا يوجد حديث ولا أثر صحيح يؤيد القول بمدنية الآية محل البحث، وهي متصلة اتصالاً تاماً بسياق الآيات التي قبلها وبعدها وبموضوعها، حتى إن الآيات الثلاث تبدو وحدة تامة، مما يسوغ الشك في أثر الضحاك عن ابن عباس بقوة، بل ينفيه، لا سيما وقد صح عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن الآية ليست في المنافقين بل في أهل الشرك من العرب وأهل مكة.

المطلب الثالث

قول الله ـ تعالى ـ : ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾[٣] .

---

(١) جامع البيان ١١/ ٣٠١ .

(٢) انظر التفسير الحديث لمحمد عزت دروزة ٤/ ٧٨ .

(٣) سورة الأنعام (٥٢) .

أخرج ابن ماجة وغيره عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِ[١]ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ فِي قَوْلِهِ ـ تَعَالَى ـ : ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ قَالَ : جَاءَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ[٢]وَعُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ الْفَزَارِيُّ[٣]فَوَجَدَا رَسُولَ اللهِ ـ ﷺ ـ

(١) هو خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد التميمي، أبويحيى أو أبو عبد الله : صحابي من السابقين، أسلم سادس ستة، وهو أول من أظهر إسلامه . ولما أسلم استضعفه المشركون فعذبوه ليرجع عن دينه، فصبر، إلى أن كانت الهجرة . ثم شهد المشاهد كلها، ونزل الكوفة فمات فيها سنة سبع وثلاثين من الهجرة وهو ابن ثلاث وسبعين سنة . ولما رجع علي بن أبي طالب من معركة صِفِّين مر بقبره فقال : رحم الله خباباً، أسلم راغباً، وهاجر طائعاً، وعاش مجاهداً . انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ١/ ١٤٧، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٢/ ٢٢١ .

(٢) هو الأقرع بن حابس بن عقال المجاشعي الدارمي التميمي : اسمه فِرَاس، والأقرع لقب له، لقرع كان برأسه، صحابي من سادات العرب وحكمائهم في الجاهلية . قدم في السنة الخامسة من الهجرة على رسول الله ـ ﷺ ـ في وفد من بني تميم فأسلموا . وقد حسن إسلامه، وشهد حُنَيْناً وفتح مكة والطائف . وسكن المدينة . وكان من المؤلفة قلوبهم، ورحل إلى دومة الجندل في خلافة أبي بكر. وكان مع خالد بن الوليد في أكثر وقائعه حتى اليمامة . واستشهد بالجوزجان سنة ثلاث عشرة من الهجرة . انظر أسد الغابة ١/ ٢٦٤، والإصابة ١/ ٢٥٢ .

(٣) هو عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري أبو مالك، من الأعراب الجفاة المؤلفة قلوبهم، أسلم بعد الفتح، وقيل : أسلم قبل الفتح، وشهد

مَعَ صُهَيْبٍ، وَبِلَالٍ، وَعَمَّارٍ، وَخَبَّابٍ، قَاعِدًا فِي نَاسٍ مِنَ الضُّعَفَاءِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَمَّا رَأَوْهُمْ حَوْلَ النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ حَقَرُوهُمْ، فَأَتَوْهُ فَخَلَوْا بِهِ، وَقَالُوا : إِنَّا نُرِيدُ أَنْ تَجْعَلَ لَنَا مِنْكَ مَجْلِسًا، تَعْرِفُ لَنَا بِهِ الْعَرَبُ فَضْلَنَا، فَإِنَّ وُفُودَ الْعَرَبِ تَأْتِيكَ فَنَسْتَحْيِي أَنْ تَرَانَا الْعَرَبُ مَعَ هَذِهِ الْأَعْبُدِ، فَإِذَا نَحْنُ جِئْنَاكَ فَأَقِمْهُمْ عَنْكَ، فَإِذَا نَحْنُ فَرَغْنَا فَاقْعُدْ مَعَهُمْ إِنْ شِئْتَ، قَالَ : «نَعَمْ»، قَالُوا : فَاكْتُبْ لَنَا عَلَيْكَ كِتَابًا، قَالَ : فَدَعَا بِصَحِيفَةٍ، وَدَعَا عَلِيًّا لِيَكْتُبَ، وَنَحْنُ قُعُودٌ فِي نَاحِيَةٍ، فَنَزَلَ جِبْرَائِيلُ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ فَقَالَ : ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ثُمَّ ذَكَرَ الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ، وَعُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ، فَقَالَ : ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾[1]، ثُمَّ قَالَ : ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[2]، قَالَ : فَدَنَوْنَا مِنْهُ حَتَّى وَضَعْنَا رُكَبَنَا عَلَى رُكْبَتِهِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ يَجْلِسُ

حُنَيْناً والطائف، وارتد وتبع طليحة الأسدي، وقاتل معه، وأُسِر وحُمِل إلى أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ فأسلم وتُرِك فعاش إلى خلافة عثمان ـ رضي الله عنه ـ . انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب ليوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر٣/ ١٢٤٩، ط دار الجيل ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م، والإصابة ٤/ ٦٣٨ .

(١) سورة الأنعام (٥٣) .

(٢) سورة الأنعام (٥٤) .

مَعَنَا، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ قَامَ وَتَرَكَنَا، فَأَنْزَلَ اللهُ : ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ[1]﴾ وَلَا تُجَالِسِ الْأَشْرَافَ : ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا[2]﴾ يَعْنِي عُيَيْنَةَ وَالْأَقْرَعَ : ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨[3]﴾ قَالَ : هَلَاكًا، قَالَ : أَمْرُ عُيَيْنَةَ وَالْأَقْرَعِ، قَالَ خَبَّابٌ : «فَكُنَّا نَقْعُدُ مَعَ النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ فَإِذَا بَلَغْنَا السَّاعَةَ الَّتِي يَقُومُ فِيهَا قُمْنَا وَتَرَكْنَاهُ حَتَّى يَقُومَ[4]».

---

(١) سورة الكهف (٢٨) .

(٢) سورة الكهف (٢٨) .

(٣) سورة الكهف (٢٨) .

(٤) أخرجه ابن ماجة في سننه ٥/ ٢٤١، كتاب : الزهد، باب : مجالسة الفقراء، برقم (٤١٢٧)، وابن أبي شيبة في مسنده ١/ ٣١٨، برقم (٤٧٧)، وفي مصنفه ٦/ ٤١٥، برقم (٣٢٥١٨)، والطبراني في المعجم الكبير ٤/ ٧٥، برقم (٣٦٩٣)، والطبري في تفسيره ١١/ ٣٧٦، وابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٢٩٧، برقم (٧٣٣١)، والواحدي في الوسيط ٢/ ٢٧٤، وفي أسباب النزول ص ٢٢٠ .

وضعفه شعيب الأرنؤوط في تخريجه لأحاديث سنن ابن ماجة .

قلت : سبب ضعفه أن مداره على : أَسْبَاط بْنِ نَصْرٍ عَنْ السُّدِّيِّ، عَنْ أَبِي سَعْدٍ الْأَزْدِيِّ ـ وَكَانَ قَارِئَ الْأَزْدِ ـ عَنْ أَبِي الْكَنُودِ عَنْ خَبَّابٍ.....، وفي هذا السند أربع علل :

العلة الأولى : أسباط بن نصر الهمداني ـ بسكون الميم ـ ضعفه أبونعيم وقال : احاديثه سَقْط . وقال النسائي : ليس بالقوي . وتوقف فيه احمد بن حنبل،

حيث قال حرب بن إسماعيل : قلت لأحمد : أسباط بن نصر الكوفي الذي يروى عن السدي كيف حديثه؟ قال : ما أدري ـ وكأنه ضعفه ـ . انظر الجرح والتعديل ٢/ ٣٣٢، والمتروكون لابن الجوزي ١/ ٩٦، والمغني في الضعفاء للذهبي ١/ ٦٦ .

العلة الثانية : السدي، وهو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة، قال ابن أبي حاتم : يُكْتَب حديثه ولا يحتج به . وسئل أبو زرعة عن إسماعيل السدي فقال : لين . وعن صالح بن مسلم قال : مررت مع الشعبي على السدي وحوله شباب يفسر لهم القرآن فقام عليه الشعبي فقال : ويحك، لو كنت نشواناً يُضْرَب على استك بالطبل كان خيراً لك مما أنت فيه، وقيل للشعبي : إن إسماعيل السدي قد أُعْطِي حظاً من علم القرآن، قال : إن إسماعيل قد أُعْطِي حظاً من الجهل بالقرآن . انظر الكامل في ضعفاء الرجال ١/ ٤٤٦، وتهذيب الكمال ٣/ ١٣٢، والتكميل في الجرح والتعديل ومعرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ٤/ ١٢، ط مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة ـ اليمن ـ الأولى ١٤٣٢هـ ٢٠١١م .

العلة الثالثة : أبوسعد الأزدي الكوفي قارىء الأزد، ويقال : أبو سعيد، ضعيف، كما في تهذيب الكمال ٣٣/ ٣٤٤، والتكميل في الجرح والتعديل لابن كثير ٣/ ٢٠٤، وتقريب التهذيب لابن حجر ص ٦٤٣ .

والعلة الرابعة : أبو الكنود الأزدي الكوفي، وهو عبد الله ابن عامر أو ابن عمران أو ابن عويمر، وقيل : ابن سعيد . وقيل : عمرو ابن حبشي، وهو ضعيف،

هذا الحديث يفيد أن آية : ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ نزلت بسبب طلب الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن طرد الضعفاء من المؤمنين، وهذا يقضي بأن الآية مدنية نزلت بالمدينة بعد الهجرة؛ لأن الأقرع وعيينة لم يلتقيا بالنبي ـ ﷺ ـ إلا بعد الهجرة، فالأقرع أسلم في السنة الخامسة من الهجرة(١)، وعيينة لم يسلم إلا قبل الفتح بقليل، وقيل بعده(٢).

وهذا ما جعل الإمام السمعاني(٣)ـ رحمه الله ـ يقرر أن القول بمدنية هذه الآية أحد القولين المحتملين فيها، فقال :"وفيه قول آخر: أن الآية

كما في تهذيب الكمال ٣٤/ ٢٣٩، والتكميل لابن كثير ٣/ ٣٩٩، والتقريب ص ٦٦٩ .

(١) انظر السيرة النبوية لعبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري ٢/ ٤٩٠، ط شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الثانية ١٣٧٥هـ ١٩٥٥م، ودلائل النبوة لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي ٤/ ٣٠٦، ط دار الكتب العلمية، الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، والسيرة النبوية لإسماعيل بن عمر بن كثير ٣/ ١٧٧، ط دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ ١٣٩٥هـ ١٩٧٦م .

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٤٩٦، ودلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٣٩٨، والسيرة النبوية لابن كثير ٣/ ٤٠٠ .

(٣) هو منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، أبو المظفر : مفسر، من العلماء بالحديث . من أهل مرو

نزلت بالمدينة، ورُوِيَ أن الأقرع بن حابس التميمي، وعيينة بن حصن الفزاري أتيا رسول الله، وكانا من أكابر الكفار؛ فقالا : إنا نستنكف[١]من الجلوس مع هؤلاء، فنزلت الآية . فعلى هذا تكون الآية من الآيات التي نزلت بالمدينة[٢]":اهـ

وهذا ما جعل ـ أيضاً ـ الإمام ابن عطية[٣]ـ رحمه الله ـ يتشكك في مدنية الآية، فقال بعد أن ذكر حديث خباب :"هذا تأويل بعيد في نزول الآية،

مولداً ووفاة، كان مفتي خراسان، من كتبه (تفسير السمعاني واسمه (تفسير القرآن)، والانتصار لأصحاب الحديث، والقواطع ـ في أصول الفقه ـ تُوُفِّي سنة تسع وثمانين وأربعمائة . انظر سير أعلام النبلاء ١٤/ ١٥٥، وطبقات المفسرين للداوودي ٢/ ٣٣٩ .

(١) يقال استنكف . أي : كره واشمأز وسئم . انظر العين ٥/ ٣٨٣، ولسان العرب ٩/ ٣٤٠ .

(٢) تفسير القرآن للسمعاني ٢/ ١٠٧ .

(٣) هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي الغرناطي، ابو محمد: مفسر فقيه، أندلسي، من أهل غرناطة . عارف بالأحكام والحديث، له شعر. ولي قضاء المرية، وكان يكثر الغزوات . توفي سنة خمسمائة وإحدى وأربعين. صنف "برنامجاً" ضمنه مروياته، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . انظر تاريخ الإسلام للذهبي ١١/ ٧٨٧، وطبقات المفسرين لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ص ٦٠، ط مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ الأولى ١٣٩٦هـ.

لأن الآية مكية، وهؤلاء الأشراف لم يفدوا إلا في المدينة، وقد يمكن أن يقع هذا القول منهم ولكنه إن كان وقع فبعد نزول الآية بمدة، اللهم إلا تكون الآية مدنية[١]":اهـ

قلت : الصحيح أن الآية مكية كسورتها، ويمكن أن نستدل على هذا وندفع القول بمدنيتها من وجهين :

الوجه الأول : ـ أن حديث خباب بن الأرت في نزولها بسبب الأقرع وعيينة حديث معلول سنداً ومتناً، أما سنداً فقد ظهر في تخريجه ما فيه من شدة ضعف أربعة من رواته، وأما متناً فهو يخالف ما ثبت أن الآية مكية[٢]، والأقرع وعيينة لم يثبت لقاؤهما بالنبي ـ ﷺ ـ ولا إسلامهما إلا بالمدينة، وبهذا رد جملة من العلماء هذا الحديث وما ترتب عليه من مدنية الآية[٣].

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٢/ ٢٩٥ .

(٢) سيأتي قريباً ما يدل على مكية الآية .

(٣) انظر لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ٢/ ١١٥، والبحر المحيط لأبي حيان ٤/ ٥٢٠، ومحاسن التأويل للقاسمي ٤/ ٣٦٨ .

قال ابن كثير بعد أن ذكر حديث خباب :"هذا حديث غريب، فإن هذه الآية مكية، والأقرع بن حابس وعيينة إنما أسلما بعد الهجرة بدهر[١]":اهـ

الوجه الثاني : ـ أنه قد ثبت أن الآية محل البحث قد نزلت في مكة قبل الهجرة، ففي صحيح مسلم وغيره عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ :"كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ سِتَّةَ نَفَرٍ، فَقَالَتْ قُرَيْشٌ لِلنَّبِيِّ ـ ﷺ ـ : اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا . قَالَ وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَرَجُلٌ مِنْ هُذَيْلٍ، وَبِلَالٌ، وَرَجُلَانِ لَسْتُ أُسَمِّيهِمَا[٢]، فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللهِ ـ ﷺ

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٢٦٠، وانظر فتح القدير للشوكاني ٢/ ١٣٨، وتفسير المنار ٧/ ٣٦٧، ولباب النقول للسيوطي ص ٨٩، والمحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة لخالد بن سليمان المزيني ١/ ٧٤، ط دار ابن الجوزي ـ الدمام، السعودية ـ الأولى ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م .

(٢) لَسْتُ أُسَمِّيهِمَا، لمصلحة في ذلك عند المتكلم، وقيل : للنسيان، ومن لم يذكر اسمه في هذا الحديث فقد ذكر في حديث آخر وهم : سعد، وابن مسعود، وبلال، وصهيب، وعمار، والمقداد بن الأسود . انظر الإفصاح عن معاني الصحاح لأبي المظفر يحيى بن هُبَيْرَة بن محمد الذهلي الشيباني ١/ ٣٦٤، ط دار الوطن ـ الرياض ـ الأولى، ١٤١٧هـ .

ـ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقَعَ، فَحَدَّثَ نَفْسَهُ[١]، فَأَنْزَلَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ : ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾"[٢].

---

(١) الذي وقع في نفس النبي ـ ﷺ ـ والذي حدث به نفسه أن المشركين لما قالوا لرسول الله ـ ﷺ ـ : لو طردت هؤلاء جالسناك وحادثناك . فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : ما أنا بطارد المؤمنين . فقالوا : فأقمهم عنا إذا جئنا، قال : نعم . طمعاً في إيمانهم، فحدث نفسه للتآلف بهم أن يطردهم صورة بأن لا يأتوه حال وجود الأكابر عنده، أو يقوموا عنه إذا هم جلسوا عنده، لما علم من كمال أنفس المؤمنين ومخالطة الإيمان لبشاشة قلوبهم فلا يفارقه أحدهم، ورجح تقريب المشركين طمعاً في إسلامهم وإسلام قومهم، نظير إعطائه الفيء لجمع من المؤلفة تألفاً له، ومنع ذلك عن بعض محتاجي المؤمنين اكتفاء بما وقر في قلبه من نور الإيمان المغني عن التألف، ورأى النبي أن ذلك لا يفوت أصحابه شيئاً ولا ينقص لهم قدراً . انظر الكاشف عن حقائق السنن لشرف الدين الحسين بن عبدالله الطيبي ١٢/ ٣٩٢٧، ط مكتبة نزار مصطفى الباز ـ مكة ـ الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م، ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لأبي الحسن نور الدين علي بن محمد الملا الهروي القاري ٩/ ٣٩٩٩، ط دار الفكر ـ بيروت ـ الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م، والتحرير والتنوير ٧/ ٢٤٦ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨٧٨، كتاب : فضائل الصحابة، باب : في فضل سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ، برقم (٢٤١٣)، وابن ماجة في

وعَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : مَرَّ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى رَسُولِ اللهَّ ـ ﷺ ـ وَعِنْدَهُ صُهَيْبٌ، وَبِلَالٌ، وَعَمَّارٌ، وَخَبَّابٌ وَنَحْوُهُمْ مِنْ ضُعَفَاءِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ، اطْرُدْهُمْ، أَرَضِيتَ هَؤُلَاءِ مِنْ قَوْمَكَ، أَفَنَحْنُ نَكُونُ تَبَعًا لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ مَنَّ اللهُّ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا ؟ فَلَعَلَّ إِنْ طَرَدْتَهُمْ أَن نَّأْتِيَكَ، قَالَ : فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

سننه ٥/ ٢٤٣، كتاب : الزهد، باب : مجالسة الفقراء، برقم (٤١٢٨)، وابن حبان في صحيحه ١٤/ ٥٣٥، برقم (٦٥٧٣).

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٠٨، برقم (٣٩٨٥) وصححه محققه أحمد محمد شاكر، والبزار في مسنده البحر الزخار ٥/ ٤٠٩، برقم (٢٠٤١)، والطبراني في المعجم الكبير ١٠/ ٢١٧، برقم (١٠٥٢٠)، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٣٤٦، والطبري في تفسيره ١١/ ٣٧٤، وابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٢٩٩، برقم (٧٣٤٢)، والواحدي في البسيط ٨/ ١٥٨، وفي أسباب النزول ص ٢٢٠، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٢٠، وقال :"رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد رجال الصحيح غير كُرْدُوس وهو ثقة . وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٧/ ٨٧٤، حديث رقم (٣٢٩٧).

ولا يتنافى نزول الآية لهذا السبب مع نزول السورة دفعة واحدة، لأن قولهم : إن كذا نزل في كذا يصدق بنزوله وحده، وبنزوله في ضمن سورة كاملة أو سياق من سورة[١].

وبما أن حديث خباب لا يصح، ولا يصح نزول الآية بالمدينة، بل صح أنها نزلت في مكة فقد وضع بعض العلماء لحديث خباب احتمالاً وهو أن يكون الأقرع وعيينة قد وقع منهما طلب طرد ضعفاء المسلمين بالفعل، ولكن وقع منهم هذا في المدينة بعد نزول الآية في مكة، فأجابهما رسول الله ـ ﷺ ـ بهذه الآية التي نزلت في نظير اقتراحهما، فأخطأ الرواة الضعفاء ورووا أن الآية نزلت وقتئذ[٢].

خلاصة القول : أن حديث خباب القاضي بأن الآية نزلت بالمدينة بسبب طلب الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن طرد ضعفاء المؤمنين حديث في سنده أربع علل، وفي متنه نكارة، فلا يصح أن يكون دليلاً على سبب نزول الآية، ولم يبق إلا حديث سعد بن أبي وقاص، وحديث ابن مسعود السالمان من المعارضة في إسناديهما ومتنيهما، فالإسنادان صحيحان، والمتنان صريحان في السببية، يتفقان مع ظاهر السياق القرآني

---

(١) انظر تفسير المنار ٧/ ٣٦٣ .

(٢) انظر المحرر الوجيز لابن عطية ٢/ ٢٩٥، والتحرير والتنوير ٧/ ٢٤٦، والمحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة ١/ ٥٣٠ .

الذي يتحدث من أوله إلى آخره عن المشركين من أهل مكة ومن على شاكلتهم.

المطلب الرابع

قال الله ـ تعالى ـ : ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾[1] .

للعلماء في هذه الآية قولان :

القول الأول : ـ أنها مدنية[2]. واستدلوا على مدنيتها بأدلة :

---

(١) سورة الأنعام (٩١) .

(٢) انظر القول بمدنية الآية في تفسير مقاتل بن سليمان ١/ ٥٤٧ و ٥٧٥، وتأويلات أهل السنة لأبي منصور الماتريدي ٤/ ١٦٥، والكشف والبيان للثعلبي ٤/ ١٣١، وتفسير القرآن للسمعاني ٢/ ٨٥، وتفسير القرآن لعز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام ١/ ٤٢٦، ط دار ابن حزم ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م، والبحر المحيط ٤/ ٤٢٧، والجواهر الحسان في تفسير القرآن لعبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ٢/ ٤٩٢، ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٨هـ، وروح المعاني ٤/ ٧٢ و ٢٠٨، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي ١/ ١٨٦، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ القاهرة ـ، والبرهان في علوم القرآن ١/ ١٩٩، والإتقان ١/ ٥٧ .

الدليل الأول : أن جماعة من اليهود هم الذين قالوا : ما أنزل الله على بشر من شيء . فنزلت فيهم هذه الآية للرد عليهم[١].

واستندوا على ما رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَوْلَهُ : ﴿إِذْ قَالُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ يَعْنِي : مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، قَالَتِ الْيَهُودُ : أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ كِتَابًا؟ قَالَ : «نَعَمْ» قَالُوا : وَاللهِ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ كِتَابًا ، فَأَنْزَلَ اللهُ : ﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ : ﴿مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾[٢].

وطُبِعَت بعض المصاحف ونُص فيها على مدنية هذه الآية واستثنائها من مكية سورة الأنعام، كالمصحف المطبوع في شركة الشمرلي للطبع والنشر ـ مصر ـ بتصريح من مشيخة الأزهر رقم (٥٤٩) في ١٢/ ١٢/ ١٩٨٨م .

(١) انظر الكشف والبيان ٤/ ١٦٨، ولباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ٢/ ١٣٤، والبحر المحيط ٤/ ٥٧٩ .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ١١/ ٥٢٣، وابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٣٤١، برقم (٧٥٩١)، وذكره الواحدي بدون سند في أسباب النزول ص ٢٢٢ .
وهو لا يصح لأنه من رواية : أَبِي صَالِحٍ كَاتِبِ اللَّيْثِ ، حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.....
وأبوصالح هو عبدالله بن صالح بن محمد المصري كاتب الليث، صدوق كثير الغلط، وكانت فيه غفلة . انظر التاريخ الكبير للبخاري ٥/ ١٢١، والجرح والتعديل ٥/ ٨٦، وتقريب التهذيب لابن حجر ص ٣٠٨ .
ومعاوية بن صالح بن حدير ـ بالمهملة مصغر ـ الحضرمي أبو عمرو وأبو عبدالرحمن الحمصي قاضي الأندلس صدوق له أوهام . كما في تاريخ علماء

وقيل : إن قائل هذا هو فنحاص اليهودي، فنزلت بسببه الآية[١].

واستندوا على ما رُوِيَ عَنِ السُّدِّيِّ قَالَ : قَوْلَهُ : ﴿إِذْ قَالُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ قَالَ فِنْحَاصُ الْيَهُودِيُّ : مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ مِنْ شَيْءٍ[٢].

وقيل : نزلت في مالك بن الصيف اليهودي حين خاصم النبي ـ ﷺ ـ، فقال له النبي ـ ﷺ ـ : إنه هو الحبر السمين المكتوب في التوراة، فغضب مالك فقال : ما أنزل الله على أحد كتاباً[٣].

الأندلس لعبدالله بن محمد بن الفرضي ٢/ ١٣٧، وتهذيب الكمال ٢٨/ ١٨٦، وتقريب التهذيب ص ٥٣٨.

وعلي بن أبي طلحة سالم بن مُخَارق، مولى العباس بن عبدالمطلب، أبو الحسن الهاشمي الجزري، صدوق، قال الذهبي : روى معاوية بن صالح عنه عن ابن عباس تفسيراً كبيراً ممتعاً . وأغلب مرويات علي بن أبي طلحة في التفسير عن ابن عباس، إلا أنه لم يلقه، ففيه انقطاع بين علي وابن عباس . انظر التاريخ الكبير للبخاري ٦/ ٢٨١، وميزان الاعتدال للذهبي ٣/ ١٣٤ .

(١) انظر الكشف والبيان ٤/ ١٦٨، ولباب التأويل للخازن ٢/ ١٣٤، والبحر المحيط ٤/ ٥٧٩، والجواهر الحسان للثعالبي ٢/ ٤٩٢ .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ١١/ ٥٢٢، وابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٣٤٢، برقم (٧٥٩٤)، وهو من رواية أسباط عن السدي، وقد سبق قريباً في مطلب الآية السابقة ما في أسباط وفي السدي من شدة الضعف، انظر ص ٣٣ من هذا البحث . ثم يضاف إلى هذا علة أخرى وهي الإرسال، فالسدي من التابعين لم يدرك عصر نزول الآية .

(٣) انظر تفسير مقاتل بن سليمان ١/ ٥٧٤، والكشف والبيان ٤/ ١٦٨، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ٢/ ١٧٢، ولباب التأويل للخازن

واستندوا على ما رُوِيَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ يُقَالُ لَهُ مَالِكُ بْنُ الصَّيْفِ فَخَاصَمَ النَّبِيَّ ـ ﷺ ـ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ـ ﷺ ـ : «أَنْشُدُكَ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى ، هَلْ تَجِدُ فِي التَّوْرَاةِ أَنَّ اللهَ يُبْغِضُ الْحَبْرَ السَّمِينَ؟» قَالَ : وَكَانَ حَبْرًا سَمِينًا ، فَغَضِبَ وَقَالَ : مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ الَّذِينَ مَعَهُ : وَيْحَكَ، وَلَا عَلَى مُوسَى؟ قَالَ : مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ، فَأَنْزَلَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ : ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾[1].

٢/ ١٣٤، والبحر المحيط ٤/ ٥٧٩، والجواهر الحسان ٢/ ٤٩٢، والبرهان ١/ ١٩٩، والإتقان ١/ ٥٧ .

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ١١/ ٥٢١، وابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٣٤٢ برقم (٧٥٩٧)، وذكره الواحدي بدون سند في أسباب النزول ص ٢٢٣ .
وهو من رواية جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير . وفيه علتان : الأولى: الإرسال، فسعيد بن جبير من التابعين لم يدرك عصر نزول الآية .
والثانية : جعفر بن أبي المغيرة الخزاعي القمي ـ بضم القاف ـ قيل : اسم أبي المغيرة دينار، وهو صدوق يهم، وهو أضعف ما يكون في سعيد بن جبير . انظر إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال لعلاء الدين مغلطاي بن قليج بن عبد الله المصري الحنفي ٣/ ٢٣٣، ط دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م، والكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة

الدليل الثاني : ـ ظاهر معنى الآية يدل على أنها نزلت في اليهود، لأنهم لما قالوا : ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ رد الله عليهم بقوله : ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾، فأُلْزِمُوا بما لا بد لهم من الإقرار به من إنزال التوراة على موسى، وهذا الاحتجاج إنما يقوم على اليهود دون مشركي العرب الذين خوطبوا بسائر السورة[1].

الدليل الثالث : ـ قراءة جمهور القراء : ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ بالتاء في الأفعال الثلاثة : (تجعلونه، تبدونها، تخفون)[2]، على أن الكلام كله خطاب

لمحمد بن أحمد الذهبي ١/ ٢٩٦، ط دار القبلة للثقافة الإسلامية ـ جدة ـ الأولى ١٩٩٢م، والتقريب ص ١٤١ .

(١) انظر الكشاف ٢/ ٤٤، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ٢/ ١٧٢ .

(٢) قرأ جمهور القراء الأفعال الثلاثة بالتاء : (تجعلونه، تبدونها، تخفون)، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ـ وهما من السبعة ـ : (يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيراً) بالياء جميعاً . انظر السبعة في القراءات لأبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد ص ٢٦٢، ط دار المعارف (مصر) ١٤٠٠هـ، والحجة في القراءات السبع للحسين بن أحمد بن خالويه ص ١٤٥، ط دار الشرق ـ بيروت ـ الرابعة ١٤٠١هـ، والمبسوط في القراءات العشر لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني ص ١٩٨، ط مجمع اللغة العربية ـ دمشق ـ ١٩٨١م .

لليهود، والخطاب يكون للحاضرين، وهذا يعني حضورهم وقت نزول الآية مما يقضي بأنها نزلت في المدينة[١].

القول الثاني : ـ أن الآية مكية كسورتها، وفيها خبر من الله ـ تعالى ـ عن مشركي قريش أنهم قالوا : ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾[٢]. وقد رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ : ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ : هُمُ الْكُفَّارُ مِنْ قُرَيْشٍ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِقُدْرَةِ اللهَّ عَلَيْهِمْ، فَمَنْ آمَنَ أَنَّ اللهَّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فَقَدْ قَدَرَ اللهَّ حَقَّ قَدْرِهِ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِذَلِكَ فَلَمْ يُؤْمِنْ بِاللهَّ حَقَّ قَدْرِهِ[٣].

وعَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ قَالَهَا مُشْرِكُو قُرَيْشٍ[٤].

---

(١) انظر الكشاف ٢/ ٤٤، وأنوار التنزيل للبيضاوي ٢/ ١٧٢ .

(٢) انظر جامع البيان ١١/ ٥٢٣، ومفاتيح الغيب ١٣/ ٦٠، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٣٠٠، ومحاسن التأويل ٤/ ٤٢٦، وتفسير المنار ٧/ ٥١٢، والتفسير القرآني للقرآن ٤/ ٢٣٥، وزهرة التفاسير ٥/ ٢٥٨٦، والتفسير المنير ٧/ ٢٨٧ .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ١١/ ٥٢٤، وابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٣٤١، برقم (٧٥٨٦) من طريق أبي صالح قال حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.....، وهو نفس السند في الأثر السابق عن ابن عباس الذي استدل به أصحاب القول الأول .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ١١/ ٥٢٤، وابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٣٤١، برقم (٧٥٩٢) .

ولهذا القول جملة أدلة :

الدليل الأول : الأدلة الكثيرة التي دلت على أن هذه السورة مكية، وأنها أنزلت دفعة واحدة[١]، وإذا نزلت السورة دفعة واحدة فكيف يمكن أن يقال : إن هذه الآية المعينة إنما نزلت في مناظرة اليهود؟ومناظرات اليهود مع الرسول ـ ﷺ ـ كانت مدنية، فكيف يمكن حمل هذه الآية على تلك المناظرة التي رُوِيَت في أسباب النزول[٢].

الدليل الثاني : ـ هذا القول الذي ذكرته الآية وهو : ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ ليس مما تدين به اليهود، فهم لا ينكرون إنزال الكتب من السماء، وغير مستساغ ـ عقلاً ـ أن يقول اليهود مثل هذا القول، وأن يقوله حبر منهم، وبين أيديهم التوراة التي لا يختلفون أنها نزلت على موسى، بل وبين أيديهم أسفار أنبياء كثيرين ضمتها التوراة، والتي أُطْلِق عليها «العهد القديم»، ثم كيف يقول الحبر هذا القول والرسول الكريم يسأله بحق الذي أنزل التوراة على موسى؟

أما قريش والعرب قاطبة فكانوا يستبعدون إرسال رسول من البشر، كما قال الله ـ تعالى ـ : ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ

---

(١) ذكرت الأدلة على نزول سورة الأنعام جملة واحدة في مبحث نزول سورة الأنعام، وهو المبحث الأول من فصل سورة الأنعام . انظر ص ١٢ ـ ١٥ من هذه الرسالة .

(٢) انظر مفاتيح الغيب ١٣/ ٦٠، والتحرير والتنوير ٧/ ١٢٢ .

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ ﴿٢﴾﴾[1]، وقال ـ تعالى ـ : ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٤﴾﴾[2]، فقولهم : ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖ﴾ أليق بقريش من اليهود[3].

الدليل الثالث : ـ سياق الآية من أول السورة إنما هو في الخبر عن مشركي قريش ومحاجاتهم، فلأن تكون الآية محل البحث خبرًا عنهم أشبهُ من أن تكون خبرًا عن اليهود الذين لم يأت لهم ذكر يكون هذا متصلاً به[4].

فقبلها ختم الله ـ سبحانه ـ سياق قصة إبراهيم مع قومه بذكر هداية بعض الرسل من أهل بيته وذريته، تمهيداً بذلك إلى بيان كون رسالة خاتمهم محمد ـ ﷺ ـ من جنس رسالتهم، وكون هدايته متممة ومكملة

---

(١) سورة يونس (٢) .

(٢) سورة الإسراء (٩٤) .

(٣) انظر جامع البيان ١١/ ٥٢٤، ومفاتيح الغيب ١٣/ ٦٠، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٣٠٠، ومحاسن التأويل ٤/ ٤٢٧، والتفسير القرآني للقرآن ٤/ ٢٣٦، والتفسير الوسيط للإمام الأكبر محمد سيد طنطاوي ٥/ ١٢٧، والتفسير المنير ٧/ ٢٨٨ .

(٤) انظر جامع البيان ١١/ ٥٢٤، وهداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية ٢/ ٥٨٠، ط دار القلم (جدة، السعودية) الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م .

لهدايتهم، ومن ذلك أنه لا يسأل على تبليغ هذا القرآن أجراً، ولا يرجو من غير الله عليه فائدة ولا نفعاً، ثم أتبع ذلك بالرد على منكري الوحي، وبيان أنهم ما قدروا الله حق القدر، وتفنيد ما عرض لهم من الشبهة، وإقامة الحجة الواضحة عليهم فقال : ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾[1].

ووجود واو العطف في صدر هذه الجملة يدل على أنها نزلت متناسقة مع الجمل التي قبلها، وأنها وإياها واردتان في غرض واحد هو إبطال مزاعم المشركين، فهذا عطف على جملة : ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾[2]، وأنها ليست ابتدائية في غرض آخر. فواو الضمير في قوله : ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ عائد على ما عاد إليه اسم الإشارة في قوله : ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ﴾[3].

ثم إنه قد جاء فى الآية محل البحث : ﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ﴾ وهذا ينطبق على قريش الذين جاءهم النبي ـ ﷺ ـ بالقرآن وما حواه من علوم لم يأت مثلها لهم ولا لمن سبقهم، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾﴾[4]، ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ

(١) انظر تفسير المنار ٧/ ٥٠٩ .
(٢) سورة الأنعام (٨٩) .
(٣) انظر التحرير والتنوير ٧/ ٣٦١ .
(٤) سورة القصص (٤٦) .

مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ [١] ﴾، ﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ [٢] ﴾ .

أما اليهود الذين عاصروا النبي ـ ﷺ ـ فلم يُعَلَّمُوا ما لم يعلموا هم ولا آباؤهم، بل كانوا أسوأ حالاً، وأكثر غباء وجهلاً مما كان عليه آباؤهم، حين واجههم القرآن[٣].

فلما كان الخبر من أول السورة ومبتدئها إلى هذا الموضع خبرًا عن المشركين من عبدة الأوثان، وكان قوله : ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ موصولاً بذلك غير مفصول منه لم يجز لنا أن ندعي أن ذلك مصروف عما هو به موصول إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عقل[٤].

ثم إن أصحاب القول الثاني أجابوا عن أدلة القول الأول بأجوبة :

فأجابوا عن استدلالهم بما رُوِي عن ابن عباس، والسدي، وسعيد بن جبير أن الآية نزلت في جماعة من اليهود أو في واحد منهم من وجهين :

الوجه الأول : ـ أنها آثار ضعيفة لا تقوم بها حجة، كما قال ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ :"وإذا لم يأت بما رُوِيَ من الخبر بأن قائل ذلك كان رجلاً من اليهود خبرٌ صحيح متصل السند، ولا كان على أن ذلك كان

---

(١) سورة السجدة (٣) .

(٢) سورة سبأ (٤٤) .

(٣) انظر التفسير القرآني للقرآن ٤/ ٢٣٦ .

(٤) انظر جامع البيان ١١/ ٥٢٥ .

كذلك من أهل التأويل إجماعٌ، وكان الخبر من أول السورة ومبتدئها إلى هذا الموضع خبرًا عن المشركين من عبدة الأوثان، وكان قوله : ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ موصولاً بذلك غير مفصول منه لم يجز لنا أن ندعي أن ذلك مصروف عما هو به موصول، إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عقل[١]":اهـ

وقد أشار الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ إلى ضعف تلك الآثار حينما ذكرها بصيغة التمريض وذكر ما يدل على مكيتها بصيغة الجزم فقال:"قال ابن عباس، ومجاهد : نزلت في قريش . واختاره ابن جرير . وقيل : نزلت في طائفة من اليهود . وقيل : في فنحاص رجل منهم، وقيل : في مالك بن الصيف[٢]":اهـ

الوجه الثاني : ـ النبي ـ ﷺ ـ أعف وأكرم من أن يواجه حبراً هذه المواجهة التي لا تكشف عن غرض إلا سب هذا الحبر واحتقاره، وما كان النبي ـ ﷺ ـ سباباً ولا لعاناً ولا فاحشاً[٣]، بل كان في جميع أحواله

---

(١) جامع البيان ١١/ ٥٢٥ .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٣٠٠ .

(٣) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : لَمْ يَكُنْ رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ سَبَّابًا، وَلَا لَعَّانًا، وَلَا فَحَّاشًا، كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْمُعَاتَبَةِ :"مَا لَهُ تَرِبَ جَبِينُهُ" . أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ١٣، كتاب : الأدب، باب : لم يكن النبي ـ ﷺ ـ فاحشاً ولا متفحشاً، برقم (٦٠٣١)، وأحمد في المسند ١٩/ ٢٩٢، برقم (١٢٢٧٤)، والبزار في مسنده ١٢/ ٣٤٣، برقم (٦٢٢٤) .

على هذا الوصف الكريم الذي وصفه الله به : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝١﴾[٢].

أما الدليل الثاني لمن قال : إن الآية في اليهود بقرينة أن الله رد عليهم بقوله : ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾، فأُلْزِمُوا بما لا بد لهم من الإقرار به من إنزال التوراة على موسى، وهذا الاحتجاج إنما يقوم على اليهود دون مشركي العرب، فقد أجيب عنه بأن الله ـ تعالى ـ احتج على مشركي العرب بإنزال التوراة على موسى لأنه أمر مشهور بينهم، ومعلوم ما كان بين قريش ويهود المدينة من التعارف، وتسليم قريش أنهم أهل كتاب، وأنهم أعلم منهم لأجله، مما يوجب اعترافهم بحقية التوراة، وأنها منزلة من لدنه ـ عز وجل ـ[٣].

وقد تقدم في آية : ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ أن أهل الكتاب كان لهم شأن كبير عند مشركي مكة لما عند أهل الكتاب

---

(١) سورة القلم (٤) .

(٢) انظر التفسير القرآني للقرآن ٤/ ٢٣٦ .

(٣) انظر المحرر الوجيز ٢/ ٣٢٠، ومفاتيح الغيب ١٣/ ٦١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٣٠٠، وإرشاد العقل السليم ٣/ ١٦١، ومحاسن التأويل ٤/ ٤٢٦، والتفسير القرآني للقرآن ٤/ ٢٣٧، والتحرير والتنوير ٧/ ٣٦٣، وزهرة التفاسير ٥/ ٢٥٨٦، والتفسير الوسيط للطنطاوي ٥/ ١٢٦، والتفسير المنير ٧/ ٢٨٨ .

من بقايا العلم الذي ورثوه عن أسلافهم، فكانوا يسألونهم ـ أحياناً ـ مستعينين بهم على مواجهة النبي ـ ﷺ ـ .

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ـ قَالَ :"قَالَتْ قُرَيْشٌ لِليَهُودِ : أَعْطُونَا شَيْئًا نَسْأَلُ عَنْهُ هَذَا الرَّجُلَ، فَقَالُوا : سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ . فَسَأَلُوهُ، فَنَزَلَتْ : ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾[1]﴾، قَالُوا : أُوتِينَا عِلْمًا كَثِيرًا، أُوتِينَا التَّوْرَاةَ، وَمَنْ أُوتِيَ التَّوْرَاةَ، فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا . قَالَ : فَأَنْزَلَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ : ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾[2]﴾[3].

وفي رواية عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ :«أَنَّ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ بَعَثُوا النَّضْرَ بْنَ الْحَارِثِ، وَعُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ إِلَى أَحْبَارِ الْيَهُودِ بِالْمَدِينَةِ وَقَالُوا لَهُمْ : سَلُوهُمْ عَنْ مُحَمَّدٍ وَصِفُوا لَهُمْ صِفَتَهُ وَأَخْبِرُوهُمْ بِقَوْلِهِ فَإِنَّهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ وَعِنْدَهُمْ عِلْمُ مَا لَيْسَ عِنْدَنَا مِنْ عِلْمِ الْأَنْبِيَاءِ، فَخَرَجَا حَتَّى قَدِمَا الْمَدِينَةَ فَسَأَلُوا أَحْبَارَ الْيَهُودِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ـ ﷺ ـ وَوَصَفُوا لَهُمْ

---

(١) سورة الإسراء (٨٥) .

(٢) سورة الكهف (١٠٩) .

(٣) أخرجه الترمذي في سننه ٥/ ٣٠٤، كتاب : تفسير القرآن، باب : ومن سورة بني إسرائيل، برقم (٣١٤٠)، وصححه محققه أحمد محمد شاكر، وأخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٥٤، برقم (٢٣٠٩)، وصححه محققه شعيب الأرنؤوط، وأخرجه ابن حبان في صحيحه ١/ ٣٠١، برقم (٩٩)، وصححه محققه شعيب الأرنؤوط .

أَمَرَهُ بِبَعْضِ قَوْلِهِ فَقَالَتْ لَهُمْ أَحْبَارُ يَهُودَ : سَلُوهُ عَنْ ثَلَاثٍ نَأْمُرُكُمْ بِهِنَّ فَإِنْ أَخْبَرَكُمْ بِهِنَّ فَهُوَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَالرَّجُلُ مُتَقَوِّلٌ فَرَوْا فِيهِ رَأْيَكُمْ.....إلى آخر الحديث[1].

فهذه الرواية تدل على أن كون التوراة كتاباً من عند الله لليهود خاصة كان معروفاً عند مشركي قريش، وأنهم لهذا أرسلوا وفداً إلى أحبار اليهود فسألوهم عن النبي ـ ﷺ ـ، وبذلك يكون الاحتجاج عليهم بالتوراة في هذه السورة التي أنزلت في محاجتهم في جميع أصول الدين احتجاجا وجيها[2].

أما الدليل الثالث لمن قال : إن الآية في اليهود بقرينة قراءة جمهور القراء : بالتاء في الأفعال الثلاثة : (تجعلونه، تبدونها، تخفون) على أن الكلام كله خطاب لليهود، والخطاب يكون للحاضرين، وهذا يعني حضورهم وقت نزول الآية مما يقضي بأنها نزلت في المدينة، فقد أجيب عنه بأنه قد تواترت قراءة أخرى بقراءة الأفعال الثلاثة بالياء : (يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيراً)[3]. على أن هذا إخبار من الله لقريش عما

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في كتابه السير والمغازي ص ٢٠١ و ٢٠٢، والبيهقي في دلائل النبوة ٢/ ٢٦٩ و ٢٧٠، وإسماعيل بن محمد الأصبهاني في دلائل النبوة ص ٢١٦، وابن جرير الطبري في تفسيره ١٧/ ٥٩٢ .

(٢) انظر تفسير المنار ٧/ ٥١٣ و ٥١٤، وتفسير المراغي ٧/ ١٨٨ .

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ـ وهما من السبعة ـ : (يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيراً) بالياء جميعاً . وقد سبق قريباً تخريج هذه القراءة .

فعله اليهود بكتابهم[١].

أما القراءة الأولى فقد أجيب عنها من وجهين :

الوجه الأول : ـ أنه خرج من مخاطبة قريش في استفهامهم وتقريرهم إلى مخاطبة بني إسرائيل بتوبيخهم وتوبيخ أفعالهم . فكأنه قال لقريش : مَنْ أنزل الكتاب على موسى، ثم اعترض على بني إسرائيل فقال لهم خلال الكلام : تجعلونه أنتم يا بني إسرائيل قراطيس، لأن كفار قريش واليهود لما كانوا متشاركين في إنكار نبوة النبي ـ ﷺ ـ لم يبعد أن يكون الكلام الواحد وارداً على سبيل أن يكون بعضه خطاباً مع كفار مكة، وبقيته يكون خطاباً مع اليهود[٢].

فكان في النص القرآني احتجاجان : احتجاج على المشركين من أهل مكة بنقض النفي العام عندهم بنزول التوراة التي تفيد أنه كان من البشر رسول من أولي العزم من الرسل، واحتجاج على اليهود الذين غيروا وبدلوا، أو احتجاج على العرب، وتوبيخ وتنديد بعمل اليهود[٣].

---

(١) انظر المحرر الوجيز ٢/ ٣٢١، ومفاتيح الغيب ١٣/ ٦٣ .

(٢) انظر المحرر الوجيز ٢/ ٣٢٠، ومفاتيح الغيب ١٣/ ٦١، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٣٠٠، ومحاسن التأويل ٤/ ٤٢٧، والتفسير القرآني للقرآن ٤/ ٢٣٧، والتحرير والتنوير ٧/ ٣٦٤ .

(٣) انظر زهرة التفاسير ٥/ ٢٥٨٦ و ٢٥٩٧ .

ولا يلزم أن يكون قوله : ﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ خطاباً لمن حكى عنهم أنهم قالوا : ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾، بل هذا استطراد من الشيء إلى نظيره وشبهه ولازمه .

وله نظائر في القرآن كثيرة، كقوله ـ تعالى ـ : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا.....[1]﴾ .

فاستطرد من الشخص المخلوق من الطين وهو آدم ـ ﷺ ـ إلى النوع المخلوق من النطفة وهم أولاده، وأوقع الضمير على الجميع بلفظ واحد.

ومثله قوله ـ تعالى ـ : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَـٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَـٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾[2]﴾[3].

والوجه الثاني : أن الآية كانت تُقْرَأ هكذا بمكة : (يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبْدُونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا)، وكذا بالمدينة إلى أن أخفى أحبار اليهود بالمدينة كثيراً مما في التوراة، وأخفوا ما هو أعظم من ذلك وهو البشارة بالنبي ـ ﷺ ـ وكتمان صفاته عن العامة، وإلى أن قال بعضهم : ما أنزل الله على

---

(١) سورة المؤمنون (١٢ ـ ١٤) .

(٢) سورة الأعراف (١٨٩ و ١٩٠) .

(٣) انظر هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم ٢/ ٥٨٢ .

بشر من شيء كما قال المشركون من قبلهم ـ إن صحت الروايات في ذلك ـ فلما كان ذلك كله، كان غير مستبعد ولا مخل بالسياق أن يلقن الله ـ تعالى ـ رسوله أن يقرأ هذه الجمل في المدينة على مسمع اليهود وغيرهم بالخطاب لهم فيقول : ﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾، مع عدم نسخ القراءة الأولى، وبهذا الاحتمال المؤيد بما ذكر من الوقائع يتجه تفسير القراءتين بغير تكلف ما، ويزول كل إشكال[1].

خلاصة القول : أن بعض أهل العلم ذهبوا إلى أن هذه الآية محل البحث مدنية بدليل ما رُوِي أن جماعة من اليهود هم الذين قالوا : ما أنزل الله على بشر من شيء . فنزلت فيهم هذه الآية للرد عليهم، فأُلْزِمُوا بما لا بد لهم من الإقرار به من إنزال التوراة على موسى، وهذا الاحتجاج إنما يقوم على اليهود دون مشركي العرب الذين خوطبوا بسائر السورة، وبدليل قراءة جمهور القراء : ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ بالتاء في الأفعال الثلاثة : (تجعلونه، تبدونها، تخفون)، على أن الكلام كله خطاب لليهود، والخطاب يكون للحاضرين، وهذا يعني حضورهم وقت نزول الآية مما يقضي بأنها نزلت في المدينة.

---

(١) انظر تفسير المنار ٧/ ٥١٤، وتفسير المراغي ٧/ ١٨٩، والتفسير المنير ٧/ ٢٩٠ .

وذهب آخرون إلى أنها مكية كسورتها، وفيها خبر من الله ـ تعالى ـ عن مشركي قريش أنهم قالوا : ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾، استناداً إلى الأدلة الكثيرة التي دلت على أن هذه السورة مكية، وأنها أنزلت دفعة واحدة، وهذا القول الذي ذكرته الآية وهو : ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ ليس مما تدين به اليهود، فهم لا ينكرون إنزال الكتب من السماء، وسياق الآية من أول السورة إنما هو في الخبر عن مشركي قريش ومحاجاتهم، فلأن تكون الآية محل البحث خبرًا عنهم أشبهُ من أن تكون خبرًا عن اليهود الذين لم يأت لهم ذكر يكون هذا متصلاً به.

وقد تبين من البحث أن كل دليل استدل به من قال بمدنية الآية يوجد دليل مثله أو أقوى منه عند من يقول بمكيتها، ثم إن الذين قرروا مكية الآية ردوا بردود أوجه ما تكون على أدلة الفريق الأول، ولما كان وجود آيات مدنية في سورة مكية أو آيات مكية في سورة مدنية خلاف الأصل فالمختار عدم قبول القول به إلا إذا ثبت برواية صحيحة السند، صريحة المتن، سالمة من المعارضة والاحتمال.

المطلب الخامس

قول الله ـ تعالى ـ : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾[1]﴾ .

---

(١) سورة الأنعام (٩٣) .

للعلماء في هذه الآية قولان :

القول الأول : ـ أن هذه الآية مدنية، بناء على أنها نزلت بسبب مسيلمة بن حبيب الكذاب[١] لما ادعى أن الله أوحي إليه النبوة، وكان قد ادعى النبوة في آخر حياة النبي ـ ﷺ ـ، مما يقضي بأن الآية نزلت بالمدينة[٢].

---

(١) هو مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي، وُلِد ونشأ باليمامة . ولما افتتح النبي ـ ﷺ ـ مكة ودانت له العرب جاءه وفد من بني حنيفة وكان مسيلمة معهم، فأسلم الوفد، ولما رجعوا إلى ديارهم ادعى مسيلمة النبوة، وذلك في أواخر سنة عشر من الهجرة، وتوفي النبي ـ ﷺ ـ قبل القضاء على فتنته، فلما انتظم الأمر لأبي بكر انتدب له خالد بن الوليد على رأس جيش قوي هاجم ديار بني حنيفة، وانتهت المعركة بظفر خالد ومقتل مسيلمة سنة ثنتي عشرة من الهجرة . انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٥٧٦، والطبقات الكبرى لأبي عبدالله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي ١/ ٢٤٠، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٠هـ ١٩٩٠م، ودلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٣٣٠ .

(٢) انظر النكت والعيون لعلي بن محمد بن حبيب، الشهير بالماوردي ٢/ ١٤٣، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ، والبسيط للواحدي ٨/ ٢٨٥، وتفسير القرآن للسمعاني ٢/ ١٢٦، والمحرر الوجيز ٢/ ٣٢٢، وزاد المسير ٢/ ٥٦، ومفاتيح الغيب ١٣/ ٦٦، والبرهان في علوم القرآن ١/ ٢٠٠، والإتقان ١/ ٥٧ .

وطُبِعَت بعض المصاحف ونُص فيها على مدنية هذه الآية واستثنائها من مكية سورة الأنعام، كالمصحف المطبوع في شركة الشمرلي للطبع والنشر ـ مصر ـ بتصريح من مشيخة الأزهر رقم (٥٤٩) في ١٢/ ١٢/ ١٩٨٨م .

عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ - تعالى - ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ قَالَ : ذُكِرَ لَنَا أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي عَدُوِّ اللهِ مُسَيْلِمَةَ[1].

وقيل : إنها نزلت بسبب عبدالله بن سعد بن أبي سرح القرشي[2] لما ارتد ورجع من المدينة إلى مكة[3].

عَنْ شُرَحْبِيلَ بْنِ سَعْدٍ قَالَ : «نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ» : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ قَالَ: سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللهُ، وَارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ، فَلَمَّا دَخَلَ

---

(١) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٥٧، والطبري في تفسيره ١١/ ٥٣٥، وابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ١٣٤٦، برقم (٧٦٢٥)، وسنده صحيح إلى قتادة، لكن قتادة تابعي لم يدرك وقت نزول الآية، فالخبر مرسل .

(٢) هو عبدالله بن سعد بن أبي سرح القرشي العامري من بني عامر بن لؤي، من قريش، أسلم قبل فتح مكة، وهو من أهلها، وكان من كُتَّاب الوحي، لكنه افتتن وارتد ورجع إلى مكة، ثم أسلم مرة أخرى يوم فتح مكة، واستمر على حسن إسلامه مع كثير من البطولات والفتوحات حتى توفي فجأة وهو يصلي سنة سبع وثلاثين من الهجرة . انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ١/ ٤٤٨، وأسد الغابة في معرفة الصحابة ٣/ ٢٦٠، والسيرة النبوية لابن كثير ٣/ ٥٦٣ .

(٣) انظر تفسير القرآن للسمعاني ٢/ ١٢٦، والمحرر الوجيز ٢/ ٣٢٢، وزاد المسير ٢/ ٥٥، والبرهان في علوم القرآن ١/ ٢٠٠ .

رَسُولُ اللهَّ ـ ﷺ ـ مَكَّةَ فَرَّ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ـ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ ـ وَكَانَ أَخَاهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ ـ فَغَيَّبَهُ[1] عِنْدَهُ حَتَّى اطْمَأَنَّ أَهْلُ مَكَّةَ، ثُمَّ أَتَى بِهِ رَسُولَ اللهَّ ـ ﷺ ـ فَاسْتَأْمَنَ لَهُ[2]» .

وقيل : إن قول الله ـ تعالى ـ : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ نزل بسبب مسيلمة، وقوله ـ تعالى ـ : ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ نزل بسبب عبدالله بن سعد بن أبي سرح[3].

عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ : قَوْلُهُ : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ نَزَلَتْ فِي مُسَيْلِمَةَ أَخِي بَنِي عَدِيِّ بْنِ حَنِيفَةَ فِيمَا كَانَ

---

(١) يقال : غَيَّب فلان فلاناً . إذا أخفاه في مكان لا يعرفه أحد . انظر لسان العرب ١/ ٦٥٤ .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ٤٨، برقم (٤٣٦٢) وسكت عنه، وسكت عنه الذهبي في التلخيص . وأخرجه الواحدي في أسباب النزول ص ٢٢٤ . وشرحبيل بن سعد المدني مولى الأنصار كان من التابعين، وكان يفتي ويروي الحديث، ولكن كان في روايته ضعف . انظر تاريخ ابن معين ٣/ ٢٢٥، والجرح والتعديل ٤/ ٣٣٨، وتقريب التهذيب ص ٢٦٥ . فالخبر معلول بضعف شرحبيل وبإرساله .

(٣) انظر تفسير مقاتل بن سليمان ١/ ٥٤٨ و ٥٧٥، وبحر العلوم للسمرقندي ١/ ٤٦٨، والكشف والبيان ٤/ ١٦٩، ومعالم التنزيل ٢/ ١٤٣، والكشاف ٢/ ٤٥، والمحرر الوجيز ٢/ ٣٢٢، وزاد المسير ٢/ ٥٥، والجامع لأحكام القرآن ٧/ ٣٩ و ٤٠ .

يُسَجِّعُ[١] وَيَتَكَهَّنُ بِهِ[٢]. ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ : نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللهِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ أَخِي بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ، كَانَ يَكْتُبُ لِلنَّبِيِّ ـ ﷺ ـ وَكَانَ فِيمَا يُمْلِي «عَزِيزٌ حَكِيمٌ»، فَيَكْتُبُ «غَفُورٌ رَحِيمٌ»، فَيُغَيِّرُهُ، ثُمَّ يَقْرَأُ عَلَيْهِ كَذَا وَكَذَا لِمَا حَوَّلَ، فَيَقُولُ النبي ـ ﷺ ـ : نَعَمْ سَوَاءٌ . فَرَجَعَ عَنِ الْإِسْلَامِ وَلَحِقَ بِقُرَيْشٍ وَقَالَ لَهُمْ : لَقَدْ كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ «عَزِيزٌ حَكِيمٌ»، فَأُحَوِّلُهُ ثُمَّ أَقُولُ لِمَا أَكْتُبُ، فَيَقُولُ : «نَعَمْ سَوَاءٌ» . ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْإِسْلَامِ قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ[٣].

القول الثاني : ـ أن الآية مكية كسورتها، واستدلوا على مكيتها، وردوا القول بمدنيتها بوجوه :

---

(١) يقال : سَجَع الرجل وسَجَّع . إذا نطق بكلام له فواصل كقوافي الشعر من غير وزن . انظر العين ١/ ٢١٤، ولسان العرب ٨/ ١٥٠ .

(٢) يقال : تَكَهَّن الرجل . أي : تكلم بكلام الكهان الذين يدعون علم الغيب . انظر لسان العرب ١٣/ ٣٦٢، والقاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ص ١٢٢٨، ط مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ الثامنة١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ١١/ ٥٣٣، من طريق ابن جُرَيْج عن عكرمة . وعبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج ثقة ولكنه كان يدلس ويرسل وهو لم يسمع من عكرمة، كما في الجرح والتعديل ٥/ ٣٥٦، والكاشف للذهبي ١/ ٦٦٦، وتقريب التهذيب ص ٣٦٣ . وعكرمة تابعي لم يدرك زمن نزول الآية فالخبر مرسل .

الوجه الأول : ـ ضعف كل الآثار التي اسْتُدِل بها على مدنيتها[١]. وقد ظهر ذلك في تخريج تلك الآثار والحكم عليها .

قال الطاهر بن عاشور في تفسير الآية :"رُوِيَ أن المقصود بهذا مسيلمة متنبىء أهل اليمامة، وهذا يقتضي أن يكون مسيلمة قد ادعى النبوة قبل هجرة النبي ـ ﷺ ـ إلى المدينة لأن السورة مكية . والصواب أن مسيلمة لم يدع النبوة إلا بعد أن وفد على النبي ـ ﷺ ـ في قومه بني حنيفة بالمدينة طامعاً في أن يجعل له رسول الله ـ ﷺ ـ الأمر بعده، فلما رجع خائباً ادعى النبوة في قومه[٢]":اهـ

ثم قال في شأن ما رُوِي أنها نزلت في عبدالله بن سعد بن أبي سرح:"وهذا ـ أيضاً ـ لا ينثلج له الصدر، لأن عبدالله بن أبي سرح ارتد بعد الهجرة ولحق بمكة، وهذه السورة مكية[٣]":اهـ

ثم هي روايات مضطربة مما يجعلنا نشك فيها كسبب لنزولها، لأنها تقضي أن تكون نزلت مُجَزَّأة، أي : إن شطراً منها نزل في مناسبة، وشطراً في مناسبة أخرى[٤].

---

(١) انظر تفسير المنار ٧/ ٥٢٠ و ٥٢١، والتفسير الحديث لمحمد عزت دروزة ٤/ ١٢٥ .

(٢) التحرير والتنوير ٧/ ٣٧٥ .

(٣) التحرير والتنوير ٧/ ٣٧٥ .

(٤) انظر التفسير الحديث لمحمد عزت دروزة ٤/ ١٢٥ .

وقال الدكتور عبدالله شحاته ما خلاصته : هذه الآثار تخالف المقطوع به من أن القرآن ثبت بطريق التواتر بكلماته وحروفه، والأمة كما هي متعبدة بفهم معاني القرآن وأحكامه متعبدة بتصحيح ألفاظه، وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القراء، وهي الصفة المتصلة بالحضرة النبوية .

أي إنه لا يكفى الأخذ من المصاحف وحدها ولا بد من التلقي والمشافهة عن المتقنين للتلاوة .

لقد كانت هناك جيوش من القراء يصلون بالقرآن في جوف الليل، وفي الصلوات، وفي الحرب، وفي شهر رمضان، فالقرآن كان محفوظاً في الصدور متلواً على الألسنة متواتراً على الأسماع . فإن خالف قارئ أدنى مخالفة فإن سامعه يرشده أو يحتكمان إلى رسول الله أو غيره من الصحابة والحفاظ.

وقد تمسك المستشرقون بهذه الروايات وحرصوا على التعليق عليها ليشككوا في ثبوت القرآن ومدى حجية كل حرف فيه . وهي دعوة مغرضة يجب أن نتنبه لها ونفند مغالطتها، فليس في العالم كله كتاب هُيِّيء له من وسائل الحفظ والصون لكل كلمة من كلماته ولكل حرف من حروفه ما هُيِّيء للقرآن الكريم .

إن المستشرقين قد تلقفوا هذه الأحاديث وبنوا عليها ركاماً هائلاً من تشكيك المسلمين في حجية كتابهم وتواتره، مع أن هذه الروايات تخالف

المقطوع به من الأمة سلفاً عن خلف . وتراثنا العلمي في حاجة إلى يقظة وتحقيق وتنقية[١].

الوجه الثاني : ـ الآية لم تنزل بسبب مسيلمة لأنها مكية نزلت قبل ادعائه النبوة بزمن طويل، فالمعروف أنه ادعى النبوة سنة عشر من الهجرة في أثناء مرض النبي ـ ﷺ ـ الذي توفي فيه .

ولم تنزل بسبب عبدالله بن أبي سرح لأنه ارتد بعد الهجرة .

لكن هذا لا ينفي دخولهما في حكم الآية، فالآية خبر عن غيب قد ظهر فيما بعد، وتشملهما وتشمل كل من صدر منه افتراء الكذب، وادعاء النبوة، وادعاء نزول الوحي عليه[٢].

وقد ثبت أن بعض الآيات كانت تصدق على وقائع تحدث بعد نزولها أو قبله للاستشهاد أو الاحتجاج بها في الواقعة، وكثيراً ما كان يقول الصحابة : إن آية كذا نزلت في كذا . وهو يريد أنها نزلت في إثبات هذا الأمر أو حكمه أو دالة عليه، فيظن الراوي عنه أنها عند حدوث ذلك

---

(١) تعليق الدكتور عبدالله محمود شحاته على الروايات التي ذكرها مقاتل بن سليمان في أسباب نزول الآية محل البحث في تحقيقه لهذا التفسير ١/ ٥٧٦ ـ ٥٧٨، باختصار يسير .

(٢) انظر جامع البيان ١١/ ٥٣٦، والمحرر الوجيز ٢/ ٣٢٣، والتحرير والتنوير ٧/ ٣٧٥ و ٣٧٦، والتفسير الوسيط للطنطاوي ٥/ ١٣٠ .

الأمر، والصحابي لا يريد ذلك، والتحقيق أن مثل هذا يعد من التفسير لا من أسباب النزول[١].

الوجه الثالث : ـ سياق الآية سياق مكي، فقبلها حكاية لإنكار المشركين لإنزال الله شيئاً على بشر : ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ[٢]﴾، ثم جاءت الآية محل البحث فقررت ضمناً أن النبي ـ ﷺ ـ يعرف أنه ليس من أحد أشد ظلماً ممن ينسب إلى الله ما ليس منه، ويدعي أنه أُوْحِي إليه، ولم يوح إليه .

ثم تبعتها الآيات التالية لها لتنذر الظالمين وتحكي ما كان منهم من استكبار عن آيات الله وافتراء عليه، مما يلهم بكل قوة أنها في صدد مشركي العرب موضوع الكلام في الآيات السابقة : ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ

---

(١) انظر مقدمة في أصول التفسير لأبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ص ١٥ و ١٦، ط دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ ١٤٩٠هـ ١٩٨٠م، والبرهان في علوم القرآن ١/ ٣١، والإتقان في علوم القرآن ١/ ١١٢ و ١١٥، ومناهل العرفان ١/ ١١٥، وتفسير المنار ٧/ ٢٣٧ .

(٢) سورة الأنعام (٩١)، وقد سبق في المطلب السابق الأدلة على أنها آية مكية .

شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾(١)﴾ .

وبذلك يتصل السياق، ولسنا نرى أي حكمة ومعنى لوضع هذه الآية في سياق يحكي مواقف مشركي مكة لو كانت مدنية ومنفصلة عن السياق . ويبعد أن تكون أقحمت على السياق إقحاماً مع أنها منسجمة انسجاماً تاماً في السياق والموضوع، وشطرها الأول متصل بشطرها الثاني(٢).

خلاصة القول : أنه لا يصح الحكم على الآية بأنها مدنية بناء على أنها نزلت بسبب مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة في آخر أيام النبي ـ ﷺ ـ، أو نزلت بسبب عبدالله بن سعد بن أبي سرح لما ارتد ورجع من المدينة إلى مكة وزعم أنه سينزل مثل ما أنزل الله، لأن كل الآثار التي روت هذا ضعيفة، لكن الآية تشملهما وتشمل كل من صدر منه افتراء الكذب، وادعاء النبوة، وادعاء نزول الوحي عليه، ثم إن سياق الآية سياق مكي، ولما كان وجود آيات مدنية في سورة مكية أو آيات مكية في سورة مدنية خلاف الأصل فالمختار عدم قبول القول به إلا إذا ثبت برواية صحيحة السند، صريحة المتن، سالمة من المعارضة والاحتمال.

---

(١) سورة الأنعام (٩٣ و ٩٤) .

(٢) انظر التفسير الحديث ٤/ ١٢٥ و ١٢٦ .

المطلب السادس

قول الله ـ تعالى ـ : ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾﴾[1].

صرح مقاتل بن سليمان ـ رحمه الله ـ أن هذه الآية مدنية[2]. وذكرها السيوطي ـ رحمه الله ـ ضمن الآيات المستثناة من مكية سورة الأنعام[3].

ويظهر ـ والله أعلم ـ أن حجتهم هي نفس حجتهم في القول بمدنية الآية التي في المطلب الأول من هذا المبحث : ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾[4] . فإنهم لما وجدوا الحديث في هذه الآية عن أهل الكتاب، ومن المعروف أن صلة الإسلام بأهل الكتاب إنما كانت بعد الهجرة وفي المدينة دون مكة، لما وجدوا هذا قرروا أن الآية مدنية، فالمسألة ليست إلا اجتهاداً وليست حسب رواية مسندة.

---

(١) سورة الأنعام (١١٤) .

(٢) انظر تفسير مقاتل بن سليمان ١/ ٥٤٨ .

(٣) انظر الإتقان ١/ ٥٧ .

وطُبِعَت بعض المصاحف ونُص فيها على مدنية هذه الآية واستثنائها من مكية سورة الأنعام، كالمصحف المطبوع في شركة الشمرلي للطبع والنشر ـ مصر ـ بتصريح من مشيخة الأزهر رقم (٥٤٩) في ١٢/ ١٢/ ١٩٨٨م .

(٤) سورة الأنعام (٢٠) .

والرد هنا هو نفس الرد الذي ذُكِر هناك، وخلاصته أنه لا مانع أبداً أن يأتي في القرآن المكي حديث عن أهل الكتاب، وقد ذُكِر أهل الكتاب في هذه الآية للاستدلال بما عندهم من العلم، لأن العالم بالشيء يميز بين ما كان منه وما لم يكن، فمن ألف كتاباً في علم الطب كان الأطباء أعلم الناس بكونه طبيباً، ومن ألف كتاباً في النحو كان النحاة أعلم الناس بكونه نحوياً، كذلك المؤمنون بالوحي العالمون بما أنزل الله على أنبيائهم منه يعلمون أن هذا القرآن من جنس ذلك الوحي وفي أعلى مراتب الكمال منه، وأن أوسع البشر علماً لا يستطيع أن يأتي بمثله، فكيف يستطيعه رجل أمي لم يقرأ ولم يكتب قبله شيئاً : ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾[1]، ولذلك قال ـ تعالى ـ في آية أخرى : ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾[2] .

فالآية فيها تقرير لكون القرآن منزلاً من عند الله ببيان أن الذين وثق بهم المشركون من علماء أهل الكتاب عالمون بحقيقته ونزوله من عنده ـ تعالى ـ، ومن المعروف أن أهل مكة كانوا يسألون أهل الكتاب عن النبي ـ ﷺ ـ .

---

(١) سورة العنكبوت (٤٨) .

(٢) سورة الشعراء (١٩٧) .

ثم إنه لم يرد نص صحيح يثبت أن هذه الآية الكريمة قد نزلت بالمدينة[١].

المطلب السابع

قول الله ـ تعالى ـ : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾[٢]﴾ .

لم أر أحداً من العلماء حكم بمدنية هذه الآية أو استثناها من مكية سورة الأنعام . لكن جاء ما يوهم أنها نزلت بالمدينة بشأن مجادلة اليهود للنبي ـ ﷺ ـ في شأن أكل الميتة، ففي سنن أبي داود وغيره عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ :"خَاصَمَتِ الْيَهُودُ النَّبِيَّ ـ ﷺ ـ فَقَالُوا : نَأْكُلُ مِمَّا قَتَلْنَا، وَلَا نَأْكُلُ مِمَّا قَتَلَ اللهُ ؟! فَأَنْزَلَ اللهُ : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾[٣].

---

(١) انظر محاسن التأويل للقاسمي ٤/ ٤٧٢، وتفسير المنار ٨/ ١٠، وانظر المطلب الأول من هذا المبحث : الآيات المستثناة من سورة الأنعام . في فصل سورة الأنعام ص ٢٣ ـ ٢٦ .

(٢) سورة الأنعام (١٢١) .

(٣) أخرجه أبوداود في سننه ٣/ ١٠١، كتاب : الضحايا، باب : في ذبائح أهل الكتاب، برقم (٢٨١٩)، والبزار في مسنده البحر الزخار ١١/ ٢٦٩، برقم (٥٠٥٩)، والطبراني في المعجم الكبير ١١/ ٤٥٧، برقم (١٢٢٩٥)، والطبري في تفسيره ١٢/ ٨٢ . كلهم من طريق عمران بن عيينة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . وعمران بن عيينة أخو

قلت : الآية ليست مدنية، بل هي مكية كسورة الأنعام، وتقرير هذا من وجوه :

الوجه الأول : ـ أن هذا الحديث الذي يدل على أن الآية نزلت في مخاصمة اليهود للنبي ـ ﷺ ـ في شأن أكل الميتة حديث ضعيف منكر، فَذِكْرُ اليهود فيه إنما هو من خطأ وتخليط راويه عمران بن عيينة أو عطاء بن السائب[1].

سفيان ضُعِّف لما ساء حفظه واختلط وأصبح يأتي بالمناكير فلا يُحْتَج بحديثه . انظر الجرح والتعديل ٦/ ٣٠٢، والضعفاء والمتروكون لابن الجوزي ٢/ ٢٢١، وتهذيب الكمال ٢٢/ ٣٤٥ .

وعطاء بن السائب بن زيد الثقفي الكوفي ضعيف . كما في التاريخ الكبير للبخاري ٦/ ٤٦٥، والضعفاء والمتروكون لابن الجوزي ٢/ ١٧٦، وتقريب التهذيب ص ٣٩١ .

وقد ضعف الحديث شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لسنن أبي داود .

(١) انظر رد هذا الحديث وإنكاره في المحرر الوجيز ٢/ ٣٤٠، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٣٢٩، والتفسير الحديث ٤/ ١٤٤، والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبدالبر ٢٢/ ٣٠١ .

الوجه الثاني : ـ أن اليهود لا يرون إباحة الميتة، بل يحرمونها ولا يأكلونها، فلا يعقل أن يجادلوا النبي ـ ﷺ ـ في تحريمها[١].

والوجه الثالث : ـ الآية مكية نزلت في مجادلة المشركين من أهل الأوثان الذين لا يرون تحريم الميتة ويأكلونها ويقولون : أتأكلون مما قتلتم ولا تأكلون مما قتل الله؟![٢].

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ :"جَادَلَ الْمُشْرِكُونَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالُوا : مَا بَالُ مَا قَتَلَ اللهُ لَا تَأْكُلُونَهُ، وَمَا قَتَلْتُمْ أَنْتُمْ أَكَلْتُمُوهُ، وَأَنْتُمْ تَتَّبِعُونَ أَمْرَ اللهِ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ.....﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ[٣].

---

(١) انظر المحرر الوجيز ٢/ ٣٤٠، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٣٢٨، والتفسير الحديث ٤/ ١٤٤، والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ٢٢/ ٣٠١.

(٢) انظر جامع البيان ١٢/ ٨٢، والكشف والبيان ٤/ ١٨٦، والتفسير البسيط للواحدي ٨/ ٤٠٢، والمحرر الوجيز ٢/ ٣٤٠، وزاد المسير ٢/ ٧٢، ومفاتيح الغيب ١٣/ ١٣٢، ولباب التأويل للخازن ٢/ ١٥٢، وتفسير القرآن العظيم ٣/ ٣٢٨، ومحاسن التأويل ٤/ ٤٧٨، والمنار ٨/ ٢٠، والتحرير والتنوير ٨/ ٤٢، والتمهيد لابن عبدالبر ٢٢/ ٣٠٠.

(٣) أخرجه النسائي في سننه ٧/ ٢٣٧، كتاب : الضحايا، باب : تأويل قول الله ـ عز وجل ـ : ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾، برقم (٤٤٣٧)، والحاكم في المستدرك ٤/ ١٢٦، برقم (٧١٠٥)، وقال : «هذا حديث

فالآية تلهم أنه كان يقع بين المسلمين والمشركين جدل ومناظرات في شأن الذبائح، فالمشركون كانوا يأكلون ما يموت بدون ذبح، ولم يكونوا يذكرون كذلك اسم الله ـ تعالى ـ على ما يذبحونه .

وتلهم أن بعضهم كانوا يجادلون المسلمين، وأن بعض المسلمين كانوا يترددون في هذه الأمور لسابق عهدهم بالتقاليد التي كانوا يجرون عليها قبل إسلامهم . فنزلت الآيات للقضاء على هذا التردد، ولبيان الأمر بصورة حاسمة على الوجه الذي جاءت به، وللتنبيه إلى أن التقاليد الجاهلية ليست قائمة على علم وحق وإنما هي بنت الأوهام والأهواء والظنون، وأن السير على هذه التقاليد ومطاوعة المشركين فيها هو شرك . وهكذا تكون الآية من الفصول الحاسمة التي جاءت لهدم تقليد من تقاليد الشرك والجاهلية[1].

خلاصة القول : ندعها لابن القيم ـ رحمه الله ـ حينما قال بعد أن ذكر الحديث الأول الذي أخرجه أبوداود :"هكذا ذكره أبو داود، وأن الذي سأل هذا السؤال هم اليهود، والمشهور في هذه القصة أن المشركين هم الذين أوردوا هذا السؤال، وهو الصحيح، ويدل عليه كون السورة مكية، وكون اليهود يحرمون الميتة كما يحرمها المسلمون، فكيف يوردون

صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي . وأخرجه الطبري في تفسيره ١٢/ ٧٩، وحكم بصحته ابن كثير في تفسيره ٣/ ٣٢٩ .

(١) انظر التفسير الحديث لمحمد عزت دروزة ٤/ ١٤٥ .

هذا السؤال وهم يوافقون على هذا الحكم؟ ويدل عليه ـ أيضاً ـ قوله : ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ فهذا سؤال مجادِل في ذلك، واليهود لم تكن تجادل في هذا.....، ولا أحسب قوله : «إن اليهود سألوا عن ذلك» إلا وهماً من أحد الرواة[1]":اهـ

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ٤/ ٢٨٩، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤١١هـ ١٩٩١م .

المطلب الثامن

قول الله ـ تعالى ـ : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾[1] .

للعلماء في هذه الآية قولان :ـ

القول الأول : ـ أنها نزلت بالمدينة بعد الهجرة، فهي مدنية، وهي مستثناة من سورة الأنعام المكية[2]. ولهذا القول دليلان :

الدليل الأول : ـ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ :"نَزَلَتْ فِي ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ[3]، حَصَدَ نَخْلًا فَقَالَ : لَا يَأْتِيَنَّ الْيَوْمَ أَحَدٌ إِلَّا أَطْعَمْتُهُ . فَأَطْعَمَ

---

(١) سورة الأنعام (١٤١) .

(٢) نقل القول بمدنية الآية الزجاج في كتابه معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٢٩٧، ط عالم الكتب ـ بيروت ـ الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، والرازي في مفاتيح الغيب ١٣/ ١٦٤، ومحمد بن أحمد الخطيب الشربيني في كتابه السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ١/ ٤٥٣، ولم يسموا القائل بمدنيتها .

وطُبِعَت بعض المصاحف ونُص فيها على مدنية هذه الآية واستثنائها من مكية سورة الأنعام، كالمصحف المطبوع في شركة الشمرلي للطبع والنشر ـ مصر ـ بتصريح من مشيخة الأزهر رقم (٥٤٩) في ١٢/ ١٢/ ١٩٨٨م .

(٣) هو ثابت بن قيس بن شماس الخزرجي الأنصاري صحابي من سادات الأنصار، كان خطيب رسول الله ـ ﷺ ـ، وشهد أُحُداً وما بعدها من المشاهد،

حَتَّى أَمْسَى وَلَيْسَتْ لَهُ ثَمَرَةٌ، فَقَالَ اللهُ : ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[1].

وثابت بن قيس أنصاري، مما يقضي بأن الآية نزلت بالمدينة[2].

الدليل الثاني : ـ الحق الذي أمر الله به في قوله : ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ هو الزكاة المفروضة، وقالوا : إن الزكاة فُرِضَت في المدينة بعد الهجرة[3]. وهذا يقضي بأن الآية مدنية[4].

قُتِل يوم اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر . انظر أسد الغابة ١/ ٤٥١، والإصابة في تمييز الصحابة ١/ ٥١١ .

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ١٢/ ١٧٤، وذكره سفيان الثوري بدون سند في تفسيره ص ١١٠ . و الأثر معضل لأن عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج من أتباع التابعين، وكان يدلس ويرسل، فهو لم يدرك زمن نزول الآية . انظر الجرح والتعديل ٥/ ٣٥٦، والكاشف للذهبي ١/ ٦٦٦، وتقريب التهذيب ص ٣٦٣ .

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٢/ ٢٩٧ .

(٣) انظر البدر التمام شرح بلوغ المرام للحسين بن محمد المغربي ٤/ ٢٧٩، ط دار هجر الأولى ١٤٢٤هـ، والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ٨/ ٥٢، وفتح الباري ٣/ ٢٦٧، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢/ ٣٢ .

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ٢/ ٢٩٧، والسراج المنير للخطيب الشربيني ١/ ٤٥٣ .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَوْلُهُ : ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾"يَعْنِي بِحَقِّهِ : زَكَاتَهُ الْمَفْرُوضَةَ"[١].

ومثل هذا قال أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ[٢].

القول الثاني : ـ وهو قول الجمهور، أن الآية مكية كسورة الأنعام، وليست مدنية[٣]. وتقرير هذا عندهم من وجهين :

الوجه الأول : ـ أن أثر نزولها بسبب ثابت بن قيس الأنصاري أثر ضعيف لا يُحْتَج به . وقد ظهر ذلك في تخريجه .

وعلى فرض صحته فلا يبعد أن يقال : إن ثابت بن قيس لما حصد نخله وتصدق به كله كان فعله هذا داخلاً في حكم قول الله ـ تعالى ـ : ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾، فذكر ابن جريج هذا على سبيل

---

(١) أخرجه القاسم بن سلام في الناسخ والمنسوخ ص ٣١، وابن جرير الطبري من عدة طرق في تفسيره ١٢/ ١٥٨ و ١٥٩، وابن أبي حاتم في تفسيره ٥/ ١٣٩٨، برقم (٧٩٥٢) .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ١٢/ ١٥٨، وابن أبي حاتم في تفسيره ٥/ ١٣٩٨، برقم (٧٩٥٣) .

(٣) انظر المحرر الوجيز ٢/ ٣٥٣، ولباب التأويل للخازن ٢/ ١٦٤، والبحر المحيط ٤/ ٦٦٨، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٣٥٠، وتفسير المنار ٨/ ١٢٠، والتحرير والتنوير ٨/ ١٢١، وزهرة التفاسير ٥/ ٢٧٠١، والتفسير الحديث ٤/ ١٦٨، والإتقان ١/ ١٣٣ .

التفسير للآية وليس على سبيل ذكر سبب النزول، لا سيما أنه عبر فقال : نَزَلَتْ فِي ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ .

وفي هذا حَمْلٌ للإسراف على الإسراف عند تأدية الزكاة، لكن الظاهر ـ والله أعلم ـ من سياق الآية حيث قال ـ تعالى ـ : ﴿كُلُوا مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ أن يكون عائداً على الأكل، أي : ولا تسرفوا في الأكل لما فيه من مضرة العقل والبدن، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿وَكُلُوا وَٱشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوٓا ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ۝١﴾، وهذا من هذا[٢].

الوجه الثاني : ـ قالوا : لا نسلم بأن الزكاة لم تفرض إلا بعد الهجرة في المدينة، بل الصحيح أن الزكاة فُرِضَت في مكة قبل الهجرة، ويدل على هذا دليلان :

الدليل الأول : ـ جاء ذكر الزكاة مقترنة بالصلاة في كثير من الآيات المكية، مثل قول الله ـ تعالى ـ في سورة النمل المكية : ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٣﴾، وفي سورة لقمان : ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝ هُدًى

(١) سورة الأعراف (٣١) .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٣٥٠ .

(٣) سورة النمل (١ ـ ٣) .

وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾[1]، وفي سورة المعارج : ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ۝٢٣ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ۝٢٥﴾[2]، وفي سورة الذاريات : ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ۝١٩﴾[3]، ومثل هذا الآية محل البحث : ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾[4].

إن هذه الآيات الكريمة تدل على أنه قبل الهجرة كان المؤمنون يشعرون بأن في الزرع والثمار حقاً للسائل والمحروم، كانوا يشعرون بذلك مؤمنين بهذا الحق .

فالصدقات كانت مفروضة في الأموال، وخصوصاً في الزروع والثمار، وإن كان ولي الأمر لا يجمعها لأنه لم يكن للمؤمنين دولة تجمعها، إذ كانوا مستضعفين في الأرض[5].

ويُلْحَظ أنه ليس في السور المدنية ما يفيد بصراحة أن الزكاة إنما فرضت في العهد المدني، وكل ما فيه بصراحة آية في سورة التوبة فيها

---

(١) سورة لقمان (٢ ـ ٤) .

(٢) سورة المعارج (١٩ ـ ٢٥) .

(٣) سورة الذاريات (١٩) .

(٤) انظر التحرير والتنوير ٨/ ١٢١، وزهرة التفاسير، ٥/ ٢٧٠١، والتفسير الحديث ٤/ ١٦٨ .

(٥) انظر زهرة التفاسير ٥/ ٢٧٠١ .

تعيين لمصارف الزكاة[١]. وبقية الآيات تأمر بإيتاء الزكاة مع الصلاة إطلاقاً[٢].

الدليل الثاني : ـ عَنْ عَبْدِالله بْنِ مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : بَعَثَنَا رَسُولُ اللهَّ ـ ﷺ ـ إِلَى النَّجَاشِيِّ وَنَحْنُ نَحْوٌ مِنْ ثَمَانِينَ رَجُلًا، فَأَتَوُا النَّجَاشِيَّ، وَبَعَثَتْ قُرَيْشٌ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ، وَعُمَارَةَ بْنَ الْوَلِيدِ بِهَدِيَّةٍ، فَلَمَّا دَخَلَا عَلَى النَّجَاشِيِّ سَجَدَا ثُمَّ ابْتَدَرَاهُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَا لَهُ : إِنَّ نَفَرًا مِنْ بَنِي عَمِّنَا نَزَلُوا أَرْضَكَ، وَرَغِبُوا عَنَّا وَعَنْ مِلَّتِنَا، قَالَ : فَأَيْنَ هُمْ؟قَالَا : هُمْ فِي أَرْضِكَ، قَالَ : فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ جَعْفَرٌ: أَنَا خَطِيبُكُمُ الْيَوْمَ ، فَاتَّبَعُوهُ، فَسَلَّمَ وَلَمْ يَسْجُدْ، فَقَالُوا لَهُ : مَا لَكَ لَا تَسْجُدُ لِلْمَلِكِ؟ قَالَ : إِنَّا لَا نَسْجُدُ إِلَّا للهَّ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ قَالَ : وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ : إِنَّ اللهَّ بَعَثَ فِينَا رَسُولًا، وَأَمَرَنَا أَنْ لَا نَسْجُدَ إِلَّا للهَّ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ.....إلى آخر الحديث[٣].

---

(١) يقول الله ـ تعالى ـ : ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠﴾ سورة التوبة (٦٠) .

(٢) انظر التفسير الحديث ٤/ ١٦٨ .

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٧/ ٤٠٨، برقم (٤٤٠٠)، وصححه محققه شعيب الأرنؤوط، وسعيد بن منصور في سننه ٢/ ٢٢٧، برقم (٢٤٨١)، والبيهقي في السنن الكبرى ٢/ ٥٠٨، برقم (٣٩١٩)، وفي دلائل النبوة ٢/ ٢٩٧ .

وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: لَمَّا نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ.....فَذَكَرَتِ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ، وَقَالَتْ : وَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ قَالَ لَهُ : «أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، وَيَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللهِ لِتَوْحِيدِهِ، وَلِنَعْبُدَهُ وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَنْ نَعْبُدَ اللهَ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ.....»[1].

فقد دل هذا الحديث ـ ودلت من قبله الآيات ـ على أنه في المرحلة المكية شُرِعَت الزكاة بمعناها العام، وهو الحث على الصدقات وإعطاء المحروم وإطعام المسكين، دون تحديد للأنصبة والمقادير.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٢٦٣، برقم (١٧٤٠)، وصححه محققه شعيب الأرنؤوط، وإسحاق بن راهويه في مسنده ٤/ ٧١، برقم (١٨٣٥)، وابن خزيمة في صحيحه ٤/ ١٣، كتاب : الزكاة، باب : ذكر البيان أن فرض الزكاة كان قبل الهجرة إلى أرض الحبشة إذ النبي ـ ﷺ ـ مقيم بمكة قبل هجرته إلى المدينة، برقم (٢٢٦٠)، وأبونعيم في حلية الأولياء ١/ ١١٥ .

أما تحديد النصاب ومقادير الزكاة فقد شُرِع في المدينة بعد الهجرة[١].

فقد فُرِضَت الزكاة في ابتداء الإسلام مع فرض الصلاة ـ أو بعده بقليل ـ لأن افتراضها ضروري لسد حاجة الفقراء من المسلمين، وهم كثيرون في صدر الإسلام، لأن الذين أسلموا قد نبذهم أهلوهم ومواليهم، وجحدوا حقوقهم، واستباحوا أموالهم، فكان من الضروري أن يسد أهل الغنى والقوة من المسلمين حاجتهم[٢].

والآية الكريمة محل البحث تدل على هذا وتدعو إليه، وتحث عليه، وهذا الحق كان المؤمنون يقومون به ويؤدونه من غير أن يجمعه حاكم، ولا يتولاه ولي للصدقات ؛ لأنه لم تكن الدولة الإسلامية هي المهيمنة في مكة .

فلما كانت الهجرة وُجِد نظام جمع الزكاة، ونظام صرفها، وتولت الدولة جمعها وصرفها[٣].

---

(١) انظر بحر العلوم للسمرقندي ١/ ٤٨٩، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥/ ٤٥٢، ونظم الدرر ١٣/ ١٠٧، وإرشاد العقل السليم ٣/ ١٩٢، ومحاسن التأويل ٤/ ٥٠٦، وتفسير المنار ٨/ ١١٩، والتفسير الوسيط للطنطاوي ٥/ ١٩٥، وفتح الباري ٣/ ٢٦٦، والسيرة النبوية الصحيحة للدكتور أكرم ضياء العمري ٢/ ٦٢٦، ط مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة ـ السادسة ١٤١٥هـ ١٩٩٤م .

(٢) انظر التحرير والتنوير ٨/ ١٢١ .

(٣) انظر زهرة التفاسير ٥/ ٢٧٠٢ .

وهذا ليس نسخاً ـ على الصحيح ـ لأن الآية المكية محل البحث توجب إعطاء من حضر الحصاد من الفقراء، وهذا كان واجباً في الأصل، ولا تتعارض مع النصوص المدنية التي فصلت هذا الواجب وبينت مقداره وكميته، فتفصيل تشريع الزكاة في المدينة بيان لهذا الحق لا نسخ له[1].

خلاصة القول : أن آية : ﴿.....وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ قيل : إنها مدنية، بحجة أنها نزلت بسبب ثابت بن قيس الأنصاري لما تصدق بحصاد نخله كله في يوم واحد، وبحجة أن الحق الذي أمر الله بإيتائه يوم الحصاد هو الزكاة المفروضة، وقالوا : إن الزكاة لم تُفْرَض إلا في المدينة .

والصحيح أن الآية ليست مدنية؛ لأن أثر نزولها بسبب ثابت بن قيس ضعيف، ثم إن الزكاة فُرِضَت في مكة قبل الهجرة دون تحديد للأنصبة والمقادير الواجبة، بدليل اقترانها بالصلاة في كثير من الآيات

---

(١) انظر المحرر الوجيز ٢/ ٣٥٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٣٤٩، والجواهر الحسان ٢/ ٥٢٣، ومحاسن التأويل ٤/ ٥٠٦، والتحرير والتنوير ٨/ ١٢٢، والتفسير الوسيط للطنطاوي ٥/ ١٩٥، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه لمكي بن أبي طالب ص ٢٨٥، ط دار المنارة ـ جدة ـ الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م، والمصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي ص ٣٤، ط مؤسسة الرسالة الثالثة ١٤١٨هـ ١٩٩٨م .

المكية، وتصريح بعض الصحابة بفرضيتها عليهم في المرحلة المكية كما قال جعفر بن أبي طالب للنجاشي أول ما وصل من مكة إلى الحبشة .ثم لما هاجر النبي ـ ﷺ ـ إلى المدينة تحددت أنصبة الزكاة ومقاديرها .

المطلب التاسع

قول الله ـ تعالى ـ : ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾[1]﴾ .

قرر الإمام أبوبكر بن العربي[2] ـ رحمه الله ـ أن هذه الآية مدنية فقال :"هذه الآية مدنية، مكية في قول الأكثر، نزلت على النبي ـ ﷺ ـ يوم نزل عليه قوله : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي[3]﴾، وذلك يوم عرفة، ولم ينزل بعدها ناسخ ؛ فهي مُحْكَمَة[4]":اهـ

---

(١) سورة الأنعام (١٤٥) .

(٢) هو محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي، أبو بكر بن العربي، قاض من حفاظ الحديث . وُلِد في إشبيلية بالأندلس، ورحل إلى المشرق، وبرع في الأدب، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين . وصنف كتباً في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ . وولي قضاء إشبيلية، ومات بقرب فاس من بلاد المغرب العربي، ودُفِن بها سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة . من كتبه : أحكام القرآن، وعارضة الأحوذي في شرح سنن الترمذي . انظر وفيات الأعيان ٤/ ٢٩٦، وتاريخ الإسلام للذهبي ١١/ ٨٣٤ .

(٣) سورة المائدة (٣) .

(٤) أحكام القرآن للقاضي أبي بكر محمد بن عبدالله بن العربي ٢/ ٢٩٠، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الثالثة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م . ونقل قولَ ابن العربي

ومن بعده قرر مدنية الآية ـ أيضاً ـ برهان الدين البقاعي[١] ـ رحمه الله ـ[٢].

لكن ابن العربي قرر مدنية الآية من منظور مذهبي، فهو من كبار أئمة المذهب المالكي، والثابت في المذهب المالكي أنه لا توجد محرمات مما يؤكل إلا هذه الأشياء الأربعة التي ذكرها الله في هذه الآية، وهي الميتة، والدم المسفوح السائل، ولحم الخنزير، وما ذُبِح لغير الله، أما غير هذا من الطيور والحيوانات فليس محرماً، بل مكروه، أو نُسِخ تحريمه بهذه الآية فهو حلال[٣].

بمدنية الآية القرطبيُ في الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٣٨٢، وأبوحيان في البحر المحيط ٤/ ٤٢٧ .

(١) هو برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط ـ بضم الراء وتخفيف الباء ـ بن علي بن أبي بكر البقاعي، مفسر مؤرخ أديب . أصله من البِقاع في سورية، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، وتوفي بدمشق سنة خمس وثمانين وثمانمائة، من كتبه : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ومصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور . انظر الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر السخاوي ١/ ١٠١، ط دار ومكتبة الحياة ـ بيروت ـ، وطبقات المفسرين لأحمد بن محمد الأدنوي ص ٣٤٧، ط مكتبة العلوم والحكم ـ السعودية ـ الأولى١٤١٧هـ ١٩٩٧م .

(٢) انظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٧/ ٣٠١، ومصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور لإبراهيم بن عمر البقاعي ٢/ ١١٦، ط مكتبة المعارف ـ الرياض ـ الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م .

(٣) انظر المعونة على مذهب عالم المدينة «الإمام مالك بن أنس» لأبي محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي البغدادي المالكي ١/ ٧٠١ و ٧٠٢، ط

وحاول ابن العربي ـ رحمه الله ـ الانتصار لهذا المذهب بأن الآية حصرت المحرمات في هذه الأربعة، وأن الآية محكمة ولم ينسخها شيء بزعم أنها من آخر ما نزل من القرآن حيث نزلت يوم عرفة يوم نزل قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾[1].

لكن جمهور العلماء قرروا مكية الآية، ورفضوا مدنيتها من وجوه :

الوجه الأول : ـ لا يوجد أي دليل يدل على إخراج الآية من مكيتها وأنها نزلت يوم عرفة كما زعم ابن العربي ـ رحمه الله ـ[2].

الوجه الثاني : ـ سياق الآية في الرد على محرمات أحلها المشركون، أو محللات حرمها المشركون، فلما جادلوا في الميتة وقالوا : تستحلون ما تقتلون ولا تستحلون ما يقتله الله . رد الله عليهم بقوله : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾[3]﴾، ثم ذكر أنهم حرموا بعض خلق الله من

المكتبة التجارية (مصطفى أحمد الباز) ـ مكة المكرمة ـ، والجامع لمسائل المدونة لأبي بكر محمد بن عبدالله بن يونس الصقلي المالكي ٥/ ١٨٤، ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ الأولى ١٤٣٤هـ ٢٠١٣م، والذخيرة لأبي العباس أحمد بن إدريس المالكي الشهير بالقرافي ٤/ ٩٩ و ١٠٠، ط دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ الأولى ١٩٩٤م .

(١) انظر أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٢٩٠ ـ ٢٩٣ .

(٢) انظر مفاتيح الغيب ١٣/ ١٦٨، والإتقان ١/ ١٠٦ .

(٣) سورة الأنعام (١٢١) .

الثمار والأنعام وجعلوها خالصة لآلهتهم، فرد الله عليهم في تسع آيات فقال : ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾.....[1]﴾ إلى آخر ثمان آيات بعدها، فلما بين فساد طريقة أهل الجاهلية فيما يحل ويحرم من المطعومات أتبعه بالبيان الصحيح في هذا الباب، وبَيَّن أن التحريم والتحليل لا يكون إلا بوحي سماوي وشرع نبوي فقال : ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ :«كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَأْكُلُونَ أَشْيَاءَ وَيَتْرُكُونَ أَشْيَاءَ، فَبَعَثَ اللهُ ـ تَعَالَى ـ نَبِيَّهُ ـ ﷺ ـ، وَأَنْزَلَ كِتَابَهُ، وَأَحَلَّ حَلَالَهُ، وَحَرَّمَ حَرَامَهُ، فَمَا أَحَلَّ فَهُوَ حَلَالٌ، وَمَا حَرَّمَ فَهُوَ حَرَامٌ، وَمَا سَكَتَ عَنْهُ فَهُوَ عَفْوٌ»، وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً.....﴾"[3].

---

(١) سورة الأنعام (١٣٦ ـ ١٤٤) .

(٢) انظر جامع البيان ١٢/ ١٩٠، والنكت والعيون للماوردي ٢/ ١٨١، ومفاتيح الغيب ١٣/ ١٦٨، ولباب التأويل للخازن ٢/ ١٦٧، والبحر المحيط ٤/ ٦٧٣، وتفسير المنار ٨/ ١٢٩ .

(٣) أخرجه أبوداود في سننه ٥/ ٦١٧، كتاب : الأطعمة، باب : ما لم يُذْكَر تحريمه، برقم (٣٨٠٠)، وصححه محققه شعيب الأرنؤوط، والطحاوي في

قال ابن حجر :"حكى القرطبي عن قوم[١]أن آية الأنعام المذكورة نزلت في حجة الوداع . ورُدَّ بأنها مكية ـ كما صرح به كثير من العلماء ـ ويؤيده ما تقدم قبلها من الآيات من الرد على مشركي العرب في تحريمهم ما حرموه من الأنعام وتخصيصهم بعض ذلك بآلهتهم، إلى غير ذلك مما سبق للرد عليهم، وذلك كله قبل الهجرة إلى المدينة[٢]":اهـ

الوجه الثالث : ـ ليس المقصود من الآية حصر المحرمات في هذه الأربعة، وإنما المقصود منها الرد على مزاعم المشركين، حيث أباحوا الميتة وجادلوا المسلمين فيها، وكانوا يقولون : تستحلون ما تقتلون ولا تستحلون ما يقتله الله . وأباح آخرون الخنزير والدم، ويذكرون اسم آلهتهم على الذبائح، فأنزل الله ـ تعالى ـ أنه لم يحرم إلا ما أحلوه، فكأنه قيل ـ مبالغة في الرد عليهم ـ : لا حرام إلا ما أحللتموه من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهِلَّ به لغير الله . ولم يقصد حل ما عداه، إذ القصد إثبات التحريم لا إثبات الحل، فَجَرَتِ الآية على مذهب من يقول لمن

شرح مشكل الآثار ٢/ ٢٢٨، والحاكم في المستدرك ٢/ ٣٤٧، برقم (٣٢٣٦)، وقال : «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وقال الذهبي في التلخيص : هو على شرط البخاري ومسلم .

(١) الذي حكى القرطبي عنه أن الآية مدنية هو ابن العربي . انظر الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٣٨٢.

(٢) فتح الباري ٩/ ٦٥٧ .

يخاطبه : لم تأكل اليوم لحماً؟ فيقول المجيب : لم آكل اليوم إلا لحماً[١].

الوجه الرابع : ـ هذا الحصر الذي في نص الآية يدل على أن هذه الأشياء الأربعة كانت هي المحرمة وقت نزول الآية، مما يدل على أنها نزلت بمكة، ولم يكن في الشريعة في ذلك الوقت شيء محرم من المطعومات غير هذه الأشياء، ثم نزلت سورة المائدة بالمدينة، وزيد في المحرمات، كالمنخنقة، والموقوذة، والمتردية، والنطيحة[٢]، فإن هذه وإن

---

(١) انظر الأم للإمام محمد بن إدريس الشافعي ٢/ ٢٦٦، ط دار المعرفة ـ بيروت ـ ١٤١٠هـ ١٩٩٠م، والبرهان في أصول الفقه لعبدالملك بن عبدالله بن يوسف أبي المعالي الجويني الملقب بإمام الحرمين ٢/ ١٩٨، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٧م، ولباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ٢/ ١٦٨، ومحاسن التأويل ١/ ٢٠ و ٤/ ٥١٢، والتفسير الوسيط للطنطاوي ٥/ ٢٠٢، والبرهان في علوم القرآن ١/ ٢٣، والإتقان ١/ ١٠٩، ومناهل العرفان ١/ ١١٢، و وفتح الباري ٩/ ٦٥٧ .

(٢) قال الله ـ تعالى ـ : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ....﴾ . سورة المائدة (٣) .

والمنخنقة هي : البهيمة التي تختنق، إما في وثاقها، وإما بإدخال رأسها في الموضع الذي لا تقدر على التخلص منه فتختنق حتى تموت .

والموقوذة : هي التي تُضْرَب بعصا ثقيلة فتموت .

والمتردية هي:التي ترمي بنفسها أو يرميها غيرها من مكان عال أو في بئر فتموت.

كانت في حكم الميتة لكن هناك احتمال أن تُلْحَق بالمذكيات لأنها ماتت بأسباب وليست حتف الأنف، فلما بين النص إلحاقها بالميتة كانت زيادة في المحرمات، ثم نزل النص على رسول الله ـ ﷺ ـ في تحريم الخمر، كما جاء النهى عن الحُمُر الأهلية، ولحوم السباع، وكل ذي مخلب من الطير[1].

والنطيحة هي : الشاة التي تنطحها أخرى فتموت . انظر البسط في تفسير هذه المحرمات في جامع البيان للطبري ٩/ ٤٩٢ ـ ٥٠٩، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ١٤ ـ ٢٣، والتفسير المنير لوهبة الزحيلي ٦/ ٧٤ ـ ٨٩ .

(١) عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ عَنْ رَسُولِ اللهَّ ـ ﷺ ـ أَنَّهُ قَالَ : «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ . وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللهَّ كَمَا حَرَّمَ اللهُّ، أَلَا لَا يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الْأَهْلِيِّ، وَلَا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبُعِ، وَلَا كُلُّ ذِي مِخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ» .

أخرجه أبوداود في سننه ٧/ ١٣، كتاب : السنة، باب : في لزوم السنة، برقم (٤٦٠٤)، وصححه محققه شعيب الأرنؤوط، وأحمد في المسند ٢٨/ ٤١٠، برقم (١٧١٧٤)، والبيهقي في السنن الكبرى ٧/ ١٢١، برقم (١٣٤٤٢) .

فهذه كلها زيادات في التحريم حرمت في العهد المدني فوق ما حصرته هذه الآية المكية التي أخبرت بما كان محرماً في الشرع يوم نزولها[١].

وهذا ليس نسخاً ـ على الصحيح ـ، إنما هو زيادة في التحريم، لأنه من باب رفع ما كان مباحاً في الأصل[٢].

خلاصة القول : أن ابن العربي ـ رحمه الله ـ قرر أن هذه الآية مدنية لينصر مذهبه المالكي الذي يقضي بأنه لا يحرم إلا هذه الأشياء الأربعة المذكورة في الآية، أما غير هذا من الطيور والحيوانات فليس محرماً بل مكروه، أو نُسِخ تحريمه بهذه الآية فهو حلال، ولكي يتم له هذا زعم أنها من آخر ما نزل من القرآن حيث نزلت يوم عرفة .

والصحيح أن الآية مكية كسورة الأنعام، وهي لم تأت بغرض حصر المحرمات فيما ذكر فيها، إنما وردت في الكفار الذين يحلون الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به، فكأن الغرض من الآية إبانة حالهم وأنهم يضادون الحق، فكأنه قيل ـ مبالغة في الرد عليهم ـ : لا حرام إلا ما حللتموه . ثم إنه لا يوجد أي دليل يدل على أنها نزلت يوم عرفة كما زعم ابن العربي ـ رحمه الله ـ .

---

(١) انظر المحرر الوجيز ٢/ ٣٥٥، ولباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ٢/ ١٦٨، والجامع لأحكام القرآن ٧/ ١١٥، ومحاسن التأويل ٤/ ٥١٢، والتحرير والتنوير ٨/ ١٣٨، والإتقان ١/ ٩٩ .

(٢) انظر الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ٤٣٢، والمصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ لابن الجوزي ص ٣٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٣٥٢، ومحاسن التأويل ٤/ ٥١٢ .

المطلب العاشر

قول الله ـ تعالى ـ : ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓا أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾[1].

للعلماء في هذه الآيات الثلاث قولان :

القول الأول : ـ أنها آيات مدنية نزلت على النبي ـ ﷺ ـ بالمدينة بعد الهجرة[2]. ولهذا القول دليلان :

---

(١) سورة الأنعام (١٥١ ـ ١٥٣) .

(٢) صرح بمدنية هذه الآيات مقاتل بن سليمان في تفسيره ١/ ٥٤٧، والفيروز آبادي في كتابه بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١/ ١٠٣، وذكرها ضمن الآيات المستثناة من مكية سورة الأنعام السمرقندي في بحر العلوم ١/ ٤٣٣، وابن عطية في المحرر الوجيز ٢/ ٢٦٥، وابن الجوزي في زاد المسير ٢/ ٧، والرازي في مفاتيح الغيب ١٢/ ٤٧١، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٣٨٢، والخازن في لباب التأويل ٢/ ٩٧، وابن عادل في اللباب في علوم الكتاب ٨/ ٣، ومحمد أبوزهرة في زهرة التفاسير ٥/ ٢٤١٦،

الدليل الأول : ـ أخرج النحاس[١] من طريق يُونُسَ بْنِ حَبِيبٍ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا عَمْرِو بْنَ الْعَلَاءِ يَقُولُ : سَأَلْتُ مُجَاهِدًا عَنْ تَلْخِيصِ آيِ الْقُرْآنِ الْمَدَنِيِّ مِنَ الْمَكِّيِّ . فَقَالَ : سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ :"سُورَةُ الْأَنْعَامِ نَزَلَتْ بِمَكَّةَ جُمْلَةً وَاحِدَةً فَهِيَ مَكِّيَّةٌ، إِلَّا ثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْهَا نَزَلَتْ بِالْمَدِينَةِ فَهِيَ مَدَنِيَّةٌ : ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ.....﴾ إِلَى تَمَامِ الْآيَاتِ الثَّلَاثِ....."[٢].

والبقاعي في مصاعد النظر ٢/ ١١٥، والزركشي في البرهان ١/ ١٩٩، والسيوطي في الإتقان ١/ ٥٧ .

وطُبِعَت بعض المصاحف ونُص فيها على مدنية هذه الآيات واستثنائها من مكية سورة الأنعام، كالمصحف المطبوع في شركة الشمرلي للطبع والنشر ـ مصر ـ بتصريح من مشيخة الأزهر رقم (٥٤٩) في ١٢/ ١٢/ ١٩٨٨م .

(١) هو أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري، أبو جعفر النحاس، مفسر، أديب . مولده ووفاته بمصر، زار العراق واجتمع بعلمائها، وصنف تفسير القرآن، وناسخ القرآن ومنسوخه، مات سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة . انظر وفيات الأعيان ١/ ٩٩، وتاريخ الإسلام ٧/ ٧١٣ .

(٢) أخرجه أبو جعفر النحاس في كتابه الناسخ والمنسوخ ص ٤١٥، بسنده إلى يونس بن حبيب قال : سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : سألت مجاهداً عن تلخيص آي القرآن المدني من المكي، فقال : سألت ابن عباس عن ذلك فقال.....إلى آخره .

وهو سند موصول، كل رجاله ثقات إلا يونس بن حبيب أبا عبدالرحمن الضَّبِّي البصري النحوي، وهو مجهول، ترجم له ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل

الدليل الثاني : ـ أن هذه الآيات اشتملت على كثير من الأحكام التشريعية العملية، واشتمال الآيات على أحكام تشريعية عملية قرينة من قرائن مدنيتها .

قال محمد أبوزهرة ـ رحمه الله ـ بعد أن ذكر استثناء هذه الآيات من مكية سورة الأنعام :"وهي آيات نزلت في بيان أحكام تتعلق بالحلال والحرام من التكليفات العملية، وهي لهذا كانت أنسب بالمدينة ؛ ذلك لأن ما يتعلق بالعقيدة قد اختص بمكة[1]":اهـ

القول الثاني : ـ أن هذه الآيات مكية كسورة الأنعام، ولا يصح القول بمدنيتها، وهذا من عدة وجوه :

الوجه الأول : ـ أنه قد ثبت أن هذه الآيات نزلت على النبي ـ ﷺ ـ في مكة قبل الهجرة، وقرأها على بعض القبائل في موسم الحج في بداية سنوات الدعوة بمكة .

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ : حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : لَمَّا أَمَرَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ نَبِيَّهُ ـ ﷺ ـ أَنْ يَعْرِضَ نَفْسَهُ عَلَى قَبَائِلِ الْعَرَبِ خَرَجَ ـ وَأَنَا مَعَهُ وَأَبُو بَكْرٍ ـ إِلَى مِنًى.....، ثُمَّ انْتَهَيْنَا إِلَى مَجْلِسٍ عَلَيْهِ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ وَإِذَا مَشَايِخُ لَهُمْ أَقْدَارٌ وَهَيْئَاتٌ فَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَسَلَّمَ . قَالَ عَلِيٌّ : وَكَانَ مُقَدَّمًا فِي كُلِّ حِينٍ، فَقَالَ لَهُمْ أَبُو بَكْرٍ: مِمَّنِ

٩/ ٢٣٧، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، وله ترجمة في غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ٢/ ٤٠٦ دون جرح أو تعديل .

(١) زهرة التفاسير ٥/ ٢٤١٦ .

الْقَوْمُ؟ قَالُوا : نَحْنُ بَنُو شَيْبَانَ بْنِ ثَعْلَبَةَ فَالْتَفَتَ إِلَى رَسُولِ اللهَّ ـ ﷺ ـ فَقَالَ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، لَيْسَ بَعْدَ هَؤُلَاءِ مِنْ عِزٍّ فِي قَوْمِهِمْ . وَكَانَ فِي الْقَوْمِ مَفْرُوقُ بْنُ عَمْرٍو وَهَانِئُ بْنُ قَبِيصَةَ وَالْمُثَنَّى بْنُ حَارِثَةَ وَالنُّعْمَانُ بْنُ شَرِيكٍ، وَكَانَ أَقْرَبَ الْقَوْمِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ مَفْرُوقُ بْنُ عَمْرٍو، وَكَانَ مَفْرُوقٌ قَدْ غَلَبَهُمْ بَيَانًا وَلِسَانًا.....، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى رَسُولِ اللهَّ ـ ﷺ ـ فَقَالَ : إِلَامَ تَدْعُو يَا أَخَا قُرَيْشٍ؟ فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللهَّ ـ ﷺ ـ فَجَلَسَ وَقَامَ أَبُو بَكْرٍ يُظَلِّلُهُ بِثَوْبِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ـ ﷺ ـ :"أَدْعُوكُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُّ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهَّ، وَأَنْ تُؤْوُونِي وَتَمْنَعُونِي وَتَنْصُرُونِي حَتَّى أُؤَدِّيَ عَنِ اللهَّ ـ تَعَالَى ـ مَا أَمَرَنِي بِهِ، فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ تَظَاهَرَتْ عَلَى أَمْرِ اللهَّ، وَكَذَّبَتْ رَسُولَهُ، وَاسْتَغْنَتْ بِالْبَاطِلِ عَنِ الْحَقِّ، وَاللهُّ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ . قَالَ لَهُ : وَإِلَامَ تَدْعُو ـ أَيْضًا ـ يَا أَخَا قُرَيْشٍ؟ فَتَلَا رَسُولُ اللهَّ ـ ﷺ ـ : ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا.....﴾ إِلَى قَوْلِهِ ـ تَعَالَى ـ : ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، قَالَ لَهُ مَفْرُوقٌ : وَإِلَامَ تَدْعُو ـ أَيْضًا ـ يَا أَخَا قُرَيْشٍ؟ فَوَاللهَّ مَا هَذَا مِنْ كَلَامِ أَهْلِ الْأَرْضِ، وَلَوْ كَانَ مِنْ كَلَامِهِمْ لَعَرَفْنَاهُ . فَتَلَا رَسُولُ اللهَّ ـ ﷺ ـ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾[1] . فَقَالَ لَهُ مَفْرُوقٌ : دَعَوْتَ وَاللهَّ يَا قُرَشِيُّ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ.....[2].

---

(١) سورة النحل (٩٠) .

(٢) أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة ١/ ٢٨٢ ـ ٢٨٧، وأبوحاتم محمد بن حبان البستي في السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ١/ ٩٣ ـ ٩٩، والبيهقي في

الوجه الثاني : ـ الآيات الثلاث تكملة لسياق السورة كلها المسوق للغرض الأعظم وهو محاجة المشركين في عقائدهم، وفي افتراءاتهم التي من صورها تحليل بعض ما حرمه الله وتحريم بعض ما أحله الله من الذبائح والزروع، فلما أبطل دينهم كله أصولاً وفروعاً في الإشراك والتحليل والتحريم، وبين فساده بالدلائل النيرة، ناسب أن يخبرهم بالدين الحق مما حرمه الله الذي له الخلق والأمر، فليس التحريم لأحد غيره فقال : ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا.....﴾ الآيات .

قال الطبري ما خلاصته : يقول ـ تعالى ذكره ـ لنبيه محمد ـ ﷺ ـ : قل، يا محمد، لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام، الزاعمين أن الله حرم عليهم ما هم محرموه من زروعهم وأنعامهم، على ما ذكرتُ لك في تنزيلي عليك : تعالوا أيها القوم أقرأ عليكم ما حرم ربكم حقاً يقيناً، لا الباطل الذي افتريتموه كذباً من عند أنفسكم، ولكن وحياً من الله أوحاه إليَّ، وتنزيلاً أنزله عليَّ : أن لا تشركوا بالله شيئاً من خلقه، ولا

دلائل النبوة ٢/ ٤٢٢، وصحح الحديث الدكتور سعد المرصفي في كتابه الجامع الصحيح للسيرة النبوية ٤/ ١٠٧٤، ط مكتبة ابن كثير ـ الكويت ـ الأولى ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م، ومحمد بن حمد الصوياني في كتابه الصحيح من أحاديث السيرة النبوية ص ١٠٢، ط دار الوطن للنشر ـ الرياض ـ الأولى ١٤٣٢هـ ٢٠١١م .

تعدلوا به الأوثان والأصنام، ولا تعبدوا شيئاً سواه، (وبالوالدين إحساناً)، يقول : وأوصي بالوالدين إحساناً.....[١].

قال الرازي ـ رحمه الله ـ :"اعلم أنه ـ تعالى ـ لما بين فساد ما يقول الكفار : إن الله حرم علينا كذا وكذا . أردفه ـ تعالى ـ ببيان الأشياء التي حرمها عليهم وهي الأشياء المذكورة في هذه الآيات[٢]":اهـ

ومن ثم فإن هناك رابطاً قوياً بين هذه الآيات الثلاث وبين الآيات السابقة لها، حتى تكاد تكون جزءاً غير قابل للانفصال عن المناظرة القائمة في صدد التحليل والتحريم . وأكثر من واحد من المفسرين قالوا : إن الخطاب في قوله ـ تعالى ـ : ﴿قُلْ﴾ للرسول ـ ﷺ ـ، وفي قوله : ﴿تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ للمشركين من أهل مكة، وإن كان حكم غيرهم في ذلك كحكمهم، أمره ـ تعالى ـ أن يدعو جميع الخلق إلى سماع ما حرم الله بشرع الإسلام المبعوث به إلى العالمين[٣].

---

(١) انظر جامع البيان ١٢/ ٢١٥ .

(٢) مفاتيح الغيب ١٣/ ١٧٧ .

(٣) انظر لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ٢/ ١٧١، والبحر المحيط ٤/ ٦٨٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٣٥٩، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٧/ ٣١٦، وتفسير المنار ٧/ ٢٣٧، والتفسير القرآني للقرآن ٤/ ٣٣٩، والتحرير والتنوير ٨/ ١٥٥، والتفسير الوسيط للإمام الأكبر محمد سيد طنطاوي ٥/ ٢١١ .

الوجه الثالث : ـ حديث مجاهد عن ابن عباس الذي صرح فيه باستثناء هذه الآيات الثلاث من مكية سورة الأنعام وحكم بمدنيتها حديث ضعيف، فيه راو مجهول لم يذكره أحد بجرح أو تعديل، وهو يونس بن حبيب، ومثل هذا الحديث لا يقاوم ما ثبت عن ابن عباس نفسه عن علي بن أبي طالب في الحديث الطويل الذي قرأ فيه النبي ـ ﷺ ـ هذه الآيات الثلاث على بعض القبائل العربية في موسم الحج في مكة قبل الهجرة، وهذا واضح الدلالة على أن هذه الآيات كانت قد نزلت في مكة، ومثل هذا الحديث الصحيح يُعَدُّ علة في حديث مجاهد عن ابن عباس تزيده ضعفاً على ضعف .

الوجه الرابع : ـ هذه الوصايا العشر التي ذكرها الله ـ تعالى ـ في هذه الآيات اشتملت على كثير من الأحكام في العقيدة القلبية وأصول الشريعة العملية، ومثل هذه الأحكام ليست مختصة بالقرآن المدني فقط، بل القرآن المكي فيه منها الكثير .

لقد كان القرآن الكريم بادئ ذي بدء يتناول أصول الإيمان بالله ـ تعالى ـ وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وما فيه من بعث وحساب وجزاء وجنة ونار، ويقيم على ذلك الحجج والبراهين حتى يستأصل من نفوس المشركين العقائد الوثنية ويغرس فيها عقيدة الإسلام .

وكان في الوقت نفسه يأمر بمحاسن الأخلاق التي تزكو بها النفس ويستقيم عوجها، وينهى عن الفحشاء والمنكر ليقتلع جذور الفساد

والشر، ويبين قواعد الحلال والحرام التي يقوم عليها صرح الدين، وترسو دعائمه في المطاعم والمشارب والأموال والأعراض والدماء.

ثم تَدَرَّج التشريع بالأمة في علاج ما تأصل في النفوس من أمراض اجتماعية بعد أن شرع لهم من فرائض الدين وأركان الإسلام ما يجعل قلوبهم عامرة بالإيمان، خالصة لله، تعبده وحده لا شريك له.

ولهذا كله أدلته من نصوص القرآن الكريم إذا تتبعنا مكيه ومدنيه وقواعد تشريعه.

ففي مكة شُرعت الصلاة، وشُرع الأصل العام للزكاة مقارنًا بالربا: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾[1]﴾.

ونزلت سورة الأنعام - وهي مكية - تبين أصول الإيمان، وأدلة التوحيد، وتندد بالشرك والمشركين، وتوضح ما يحل وما يحرم من المطاعم، وتدعو إلى صيانة حرمات الأموال والدماء والأعراض: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ

(١) سورة الروم (٣٨ و ٣٩) وهي مكية.

لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ . ثم نزل بعد ذلك تفصيل هذه الأحكام .

فأصول المعاملات المدنية نزلت بمكة، ولكن تفصيل أحكامها نزل بالمدينة كآية المداينة وآيات تحريم الربا .

وأسس العلاقات الأسرية نزلت بمكة، أما بيان حقوق كل من الزوجين، وواجبات الحياة الزوجية، وما يترتب على ذلك من استمرار العشرة أو انفصالها بالطلاق، أو انتهائها بالموت ثم الإرث، أما بيان هذا فقد جاء في التشريع المدني .

وأصل الزنا حُرِّم بمكة : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾[1]﴾، ولكن العقوبات المترتبة عليه نزلت بالمدينة .

وأصل حرمة الدماء نزل بمكة : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ.....[2]﴾، ولكن تفصيل عقوباتها في الاعتداء على النفس والأطراف تزل بالمدينة[3].

قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ :"الرسل متفقون في الدين الجامع للأصول الاعتقادية والعملية، فالاعتقادية كالإيمان بالله وبرسله وباليوم الآخر،

---

(١) سورة الإسراء (٣٢) . وهي مكية .

(٢) سورة الإسراء (٣٣) .

(٣) انظر مباحث في علوم القرآن لمناع بن خليل القطان ص ١١١ ـ ١١٣، ط مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الثالثة ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م .

والعملية كالأعمال العامة المذكورة في الأنعام، والأعراف، وسورة بني إسرائيل، كقوله ـ تعالى ـ : ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ.....﴾ إلى آخر الآيات الثلاث.وقوله:﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا.....(١)﴾إلى آخر الوصايا.وقوله:﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ.....(٢)﴾، وقوله : ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾(٣)﴾ .

فهذه الأمور هي من الدين الذي اتفقت عليه الشرائع كعامة ما في السور المكية، فإن السور المكية تضمنت الأصول التي اتفقت عليها رسل الله ؛ إذ كان الخطاب فيها يتضمن الدعوة لمن لا يقر بأصل الرسالة، وأما السور المدنية ففيها الخطاب لمن يقر بأصل الرسالة كأهل الكتاب الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض، وكالمؤمنين الذين آمنوا بكتب الله ورسله ؛ ولهذا قرر فيها الشرائع التي أكمل الله بها الدين(٤)":اهـ

خلاصة القول : أن هذه الآيات الثلاث قيل بمدنيتها استناداً على ما رُوِي عن ابن عباس أنها مدنية، ثم هي مشتملة على كثير من الأحكام

---

(١) سورة الإسراء (٢٣) . وهي سورة بني إسرائيل .

(٢) سورة الأعراف (٢٩) . وهي مكية .

(٣) سورة الأعراف (٣٣) .

(٤) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ١٥/ ١٥٩ و ١٦٠، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ـ المدينة النبوية ـ ١٤١٦هـ ١٩٩٥م .

التشريعية العملية، واشتمال الآيات على أحكام تشريعية عملية قرينة من قرائن مدنيتها .

لكن الصحيح أنها آيات مكية لأنه قد ثبت أنها نزلت على النبي ـ ﷺ ـ في مكة قبل الهجرة، وقرأها على بعض القبائل في موسم الحج في بداية سنوات الدعوة بمكة، وسياقها سياق مكي بامتياز، وما فيها من أحكام ليست مختصة بالقرآن المدني فقط، بل القرآن المكي فيه منها الكثير، وحديث ابن عباس القاضي بمدنيتها حديث ضعيف، ولما كان وجود آيات مدنية في سورة مكية، أو آيات مكية في سورة مدنية خلاف الأصل فالمختار عدم قبول القول به إلا إذا ثبت برواية صحيحة السند صريحة المتن سالمة من المعارضة والاحتمال .

الفصل الثاني
سورة الأعراف

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : نزول سورة الأعراف

المبحث الثاني : الآيات المستثناة من سورة الأعراف

المبحث الأول
نزول سورة الأعراف

سورة الأعراف سورة مكية، نزلت على رسول الله ـ ﷺ ـ في مكة قبل الهجرة[1].

والروايات التسع التي ذكرتها في الجزء الأول من هذه الرسالة، في مبحث "الروايات التي عددت المكي والمدني" أجمعت على أن سورة

---

(١) انظر تفسير مقاتل بن سليمان ٢/ ٢٧، وبحر العلوم للسمرقندي ١/ ٥٠٢، والنكت والعيون للماوردي ٢/ ١٩٨، وتفسير القرآن للسمعاني ٢/ ١٦٢، ومعالم التنزيل للبغوي ٢/ ١٧٩، والكشاف ٢/ ٨٥، والمحرر الوجيز ٢/ ٣٧٢، وزاد المسير ٢/ ١٠٠، وتفسير القرآن للعز بن عبدالسلام ١/ ٤٧٤، والجامع لأحكام القرآن ٧/ ١٦٠، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ٣/ ٥، ولباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ٢/ ١٨٠، والبحر المحيط ٥/ ٨، واللباب في علوم الكتاب ٩/ ٣، والجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي ٣/ ٥، وإرشاد العقل السليم ٣/ ٢٠٩، والتفسير المنير ٨/ ١٣٣، والبيان في عد آي القرآن ص ١٥٥، ومصاعد النظر ٢/ ١٢٨، والبرهان للزركشي ١/ ١٩٣ .

الأعراف مكية[١]، غير رواية عكرمة[٢]، والحسن بن أبي الحسن[٣]التي سقط منها سورة الأعراف، فقال الإمام البيهقي[٤]بعد أن أخرج هذه

(١) انظر المكي والمدني في القرآن الكريم دراسة تأصيلية ودراسة نقدية لنزول السور والآيات المستثناة من كل سورة من أول سورة الفاتحة حتى آخر سورة المائدة، وهو بحث لي نُشِر في مجلة الدراية التي تصدرها كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق، العدد السابع عشر سنة ٢٠١٧م، المجلد الثالث ص ٥٢٣ ـ ٥٤٤.

(٢) هو عكرمة بن عبد الله مولى عبد الله بن عباس، أصله من البربر من أهل المغرب، كان لحصين بن الحر العنبري، فوهبه لابن عباس، واجتهد ابن عباس في تعليمه القرآن، وهو ثقة ثبت عالم بالتفسير، مات سنة أربع ومائة . انظر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأحمد بن محمد بن خلكان ٣/ ٢٦٥، وتقريب التهذيب لابن حجر ص ٣٩٧ .

(٣) هو الحسن بن أبي الحسن البصري، اسم أبيه يسار، فقيه قاريء عابد، مولى أم سلمة، من خيار التابعين، قال الشافعي : لو أشاء أقول : إن القرآن نزل بلغة الحسن لقلت لفصاحته . مات سنة عشر ومائة . انظر غاية النهاية في طبقات القراء لمحمد بن يوسف بن الجزري ١/ ٢٣٥، والتقريب ص ١٦٠ .

(٤) هو أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، نسبة إلى (بيهق) من قرى نيسابور، الحافظ الإمام صاحب كتاب السنن الكبير، والسنن الصغير، ودلائل النبوة، وكتاب الأدب، وغير ذلك، قال الذهبي : لو شاء البيهقي أن يعمل لنفسه مذهباً يجتهد فيه لكان قادراً على ذلك لسعة علومه ومعرفته

الرواية :"وقد سقط من هذه الرواية ذكر فاتحة الكتاب، والأعراف، وكهيعص ... فيما نزل بمكة[١]":اهـ

ويدل على مكية سورة الأعراف أدلة :

الدليل الأول : ما صح من أسباب نزول كثير من آيات سورة الأعراف واضح الدلالة على أن هذه الآيات نزلت بسبب أسئلة أو حوادث حدثت بمكة قبل هجرة النبي ـ ﷺ ـ[٢].

الدليل الثاني : ـ إجماع العلماء على أن سورة الأعراف مكية نزلت قبل الهجرة، ولم يخالف في هذا أحد[٣].

بالاختلاف . مات سنة ثمان وخمسين وأربعمائة . انظر وفيات الأعيان ١/ ٧٥، وسير أعلام النبلاء لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ١٨/ ١٦٣ .

(١) دلائل النبوة للبيهقي ٧/ ١٤٣ .

(٢) انظر أسباب نزول كثير من آيات سورة الأعراف في أسباب نزول القرآن للواحدي ص ٢٢٨ ـ ٢٣٣، ولباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ص ٩٢ ـ ٩٣، والصحيح المسند من أسباب النزول لمقبل بن هادي الوادعي ص ٩٥ و ٩٦ .

(٣) كل ما بحثت فيه من كتب التفسير وكتب علوم القرآن نصت على مكية سورة الأعراف . وانظر نَقْلَ الإجماع على أن سورة الأعراف مكية في بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١/ ٢٠٣، وتفسير المنار ٨/ ٢٦٠، والتفسير القرآني للقرآن ٤/ ٣٦٢، والتحرير والتنوير ٨/ ٦ .

وإذا ثبت هذا الإجماع فإني أتعجب من ثلاثة مواقف :

الموقف الأول : موقف الإمام أبي منصور الماتريدي ـ رحمه الله ـ حيث قال في بداية تفسير سورة الأعراف في كتابه تأويلات أهل السنة ٤/ ٣٤٥ :"قيل : إنها مكية":اهـ مستعملاً كلمة (قيل) التي لا تدل على الجزم، بل تدل ـ في غالب الأحيان ـ على التضعيف، وحسن الظن به يجعلنا نقول : لعله عبر بـ(قيل) لأن القائلين بمكية سورة الأعراف كثيرون لا يحصون، فاختصر الأمر وقال : قيل : إنها مكية .

الموقف الثاني : موقف الشيخ أبي زهرة ـ رحمه الله ـ حيث قال في بداية تفسير سورة الأعراف في كتابه زهرة التفاسير ٥/ ٢٧٧١ :"هي سورة مدنية":اهـ ولقد راجعت أربع طبعات لكتاب زهرة التفاسير فوجدت نفس الجملة . وحسن الظن به يجعلنا نقول : إنها سهو أو سبق قلم أو خطأ من الطابعين .

الموقف الثالث : موقف أبي الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم، حيث قال في كتابه الفهرست :"حَدَّث ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قال : نزلت بمكة خمس وثمانون سورة، ونزل بالمدينة ثمان وعشرون سورة، نزل بالمدينة البقرة ثم الأنفال ثم الأعراف ثم آل عمران ثم الممتحنة ثم النساء.....":اهـ الفهرست لابن النديم ص ٤٣، ط دار المعرفة ـ بيروت ـ الثانية ١٤١٧هـ ١٩٩٧م .

وإقحام سورة الأعراف في السور المدنية خطأ بَيِّن .

وهذه الرواية التي ذكرها ابن النديم عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس أخرجها الإمام محمد بن أيوب بن يحيى بن الضريس في كتابه فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة، حيث ذكر ابن عباس

الدليل الثالث : ـ القضايا التي تحدثت عنها سورة الأعراف هي قضايا خصائص السور المكية، فقد نزلت هذه السورة لتفصيل قصص الأنبياء وبيان أصول العقيدة، وهي كسورة الأنعام بل كالبيان لها، لإثبات توحيد الله ـ عز وجل ـ، وتقرير البعث والجزاء، وإثبات الوحي والرسالة، ولا سيما عموم بعثة النبي ـ ﷺ ـ .

فقد تضمنت سورة الأعراف التي هي من أطول السور المكية ما يلي :

١ – القرآن كلام الله : حيث افتتحت السورة بالتنويه بالقرآن العظيم معجزة الرسول الخالدة، وأنه نعمة من الله، وأنه يجب اتباع تعاليمه .

٢ – أبوة آدم ـ عليه السلام ـ : فالناس جميعاً من أب واحد، أمر الله الملائكة بالسجود له سجود تعظيم وتحية، لا سجود عبادة وتقديس، والشيطان عدو الإنسان .

ففي السورة التذكير بقصة آدم مع إبليس، وخروجه من الجنة، وهبوطه إلى الأرض بسبب وسوسة الشيطان رمز الشر والباطل وصراعه مع الإنسان الذي يدعو إلى عبادة الله وإلى الخير والحق .

السور التي نزلت بمكة، والسور التي نزلت بالمدينة، وذكر ابن عباس في هذه الرواية أن سورة الأعراف نزلت في مكة . انظر فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة للإمام محمد بن أيوب بن يحيى بن الضريس ص ٣٣ ـ ٣٥، ط دار الفكر ـ دمشق ـ الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م .

٣- إثبات التوحيد : وهو الإقرار بوحدانية الله، وعبادته وحده، وإخلاص الدين له، والاعتراف بحقه وحده في التشريع والتحليل والتحريم .

٤- الوحي والرسالة : فالوحي ثابت يتضمن هنا إنزال القرآن على قلب النبي ـ ﷺ ـ، وجوهره التكليف بالرسالة الإلهية، وبعثة الرسل إلى الناس .

٥- تقرير البعث والجزاء في عالم الآخرة : حيث تضمنت السورة الكلام عن البعث والإعادة يوم القيامة، والجزاء والحساب وانقسام الناس بسببه إلى فرق ثلاث : فرقة المؤمنين الناجين أهل الجنة، وفرقة الكافرين الهالكين أهل النار، وأصحاب الأعراف وهو سور بين الجنة والنار يقف عليه أناس تساوت حسناتهم وسيئاتهم .

٦- أدلة وجود الله : حيث أقام الله ـ تعالى ـ الأدلة الكثيرة على وجوده، مثل خلق السموات والأرض في ستة أيام، وتعاقب الليل والنهار، وتسخير الشمس والقمر والنجوم بأمر الله، وإخراج الثمرات من الأرض .

٧- التهديد بالإهلاك : حيث أهلك الله الأمم الظالمة عبرة لغيرها، وأنذر الناس بإنزال العذاب المماثل، ورغب بالإيمان والعمل الصالح لإفاضته الخيرات والبركات من السماء والأرض على الأمة .

٨- قصص الأنبياء : حيث أورد الله ـ تعالى ـ مجموعة من قصص الأنبياء : نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، وموسى، للتذكير بأحوال المكذبين أنبياءهم، وللعظة والعبرة، ومن أدلها قصة موسى مع فرعون، وعقاب بني إسرائيل بالمسخ قردة وخنازير لما خالفوا أمر الله .

٩- التنديد بعبادة الأصنام، والتهكم بمن عبد ما لا يضر ولا ينفع، ولا يبصر ولا يسمع، من أحجار وهياكل، وذلك كله لتقرير مبدأ التوحيد الذي ختمت به السورة كما بدئت به[1].

خلاصة القول : أن سورة الأعراف مكية، بدليل ما صح من أسباب نزول كثير من آياتها، وهو واضح الدلالة على أن هذه الآيات نزلت بسبب أسئلة أو حوادث حدثت بمكة قبل هجرة النبي ـ ﷺ ـ، وقد أجمع العلماء على أنها مكية، ولم يخالف في هذا أحد، ثم إن القضايا التي تحدثت عنها سورة الأعراف هي قضايا خصائص السور المكية، فقد نزلت هذه السورة لتفصيل قصص الأنبياء وبيان أصول العقيدة، وهي كسورة الأنعام بل كالبيان لها، لإثبات توحيد الله ـ عز وجل ـ، وتقرير

(١) انظر بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١/ ٢٠٤، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٧/ ٣٤٧، والتحرير والتنوير ٨ / ٧، وزهرة التفاسير ٥/ ٢٧٧١، والتفسير الوسيط للطنطاوي ٥/ ٢٣٧، والتفسير المنير ٨/ ١٣٣.

البعث والجزاء، وإثبات الوحي والرسالة، ولا سيما عموم بعثة النبي ـ ﷺ ـ .

المبحث الثاني
الآيات المستثناة من سورة الأعراف

في سورة الأعراف موضعان : موضع فيه جملة من الآيات المتتالية التي استثناها بعض أهل العلم، وموضع فيه آية لم أر من استثناها، ولكن جاء ما يوهم أنها آية مدنية، وندرس معاً ـ إن شاء الله ـ الموضعين في هذين المطلبين :

المطلب الأول

قال الله ـ تعالى ـ : ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾[1]﴾ .

ذهب بعض أهل العلم إلى أن هذه الآيات الأربع مدنية[2]. ورُوِي مثل هذا عن قتادة ـ رحمه الله ـ[3].

---

(١) سورة الأعراف (١٦٣ ـ ١٦٦) .

(٢) انظر فهم القرآن ومعانيه لأبي عبدالله الحارث بن أسد المحاسبي ص ٣٩٥، ط دار الكندي ، ودار الفكر ـ بيروت ـ الثانية ١٣٩٨هـ، والإيضاح في القراءات لأحمد بن أبي عمر الأَنْدَرَابِيّ دراسة وتحقيق ص ٢٠١، وهي أطروحة نالت بها الباحثة : منى عدنان غني درجة الدكتوراة في كلية التربية للبنات في جامعة تكريت ـ العراق ـ بإشراف الأُستاذ الدكتور : غانم قدُّوري حمد ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م .، والإتقان في علوم القرآن ١/ ٥٧ .

(٣) أخرجه الحارث المحاسبي في كتابه فهم القرآن ص ٣٩٥، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/ ٤١٢، وعزاه لابن المنذر وأبي الشيخ .

وقيل : إن المستثنى خمس آيات، من أول قوله ـ تعالى ـ : ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ.....﴾ إلى قوله : ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾[(١)][(٢)].

وقيل : إن المستثنى ثمان آيات من أول قوله ـ تعالى ـ : ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ.....﴾ إلى قوله : ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾[(٣)][(٤)].

---

(١) سورة الأعراف (١٦٧) .

(٢) انظر النكت والعيون للماوردي ٢/ ١٩٨، ومعالم التنزيل للبغوي ٢/ ١٧٩، وزاد المسير ٢/ ١٠٠ .

(٣) سورة الأعراف (١٧٠) .

(٤) انظر الكشاف ٢/ ٨٥، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧/ ١٦٠، والبرهان في علوم القرآن للزركشي ١/ ٢٠٠، ونص الكلام فيه :"سورة الأعراف مكية إلا ثلاث آيات : (وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ.....)، إلى قوله : (وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ.....) **الأعراف** (١٧١)":اهـ . ولعله تصحيف، إذ لا يستقيم الكلام إلا إذا كان :"سورة الأعراف مكية إلا ثمان آيات.....": إلى آخره، وتكون الغاية ليست داخلة في الاستثناء .

وطُبِعَت بعض المصاحف ونُص فيها على مدنية هذه الآيات الثمان واستثنائها من مكية سورة الأعراف، كالمصحف المطبوع في شركة الشمرلي للطبع والنشر ـ مصر ـ بتصريح من مشيخة الأزهر رقم (٥٤٩) في ١٢/ ١٢/ ١٩٨٨م .

وقيل : إن المستثنى تسع آيات، من أول قوله ـ تعالى ـ : ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ.....﴾ إلى قوله : ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾[٢].

قال صاحب المنار ـ محاولاً التوفيق بين هذه الأقوال :"استثنى قتادة آية : ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾.....، وقال غيره : من هنا إلى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ.....[٣]﴾ مدني . وكأن قائل هذا رأى أن هذه الآيات متصل بعضها ببعض بالمعنى، فلا يصح أن يكون بعضها مكياً وبعضها مدنياً[٤]":اهـ

ولعل من استثنى هذه الآيات استند إلى أنها تبدأ بخطاب موجه إلى النبي ـ ﷺ ـ يأمره بسؤال أهل الكتاب عن هذه القصة المذكورة في تلك الآيات، وهذا يقضي بضرورة لقاء بين النبي ـ ﷺ ـ وبين أهل الكتاب، ولا يمكن أن يتم هذا إلا بعد الهجرة إلى المدينة النبوية التي كان أهل الكتاب جيران النبي ـ ﷺ ـ فيها .

---

(١) سورة الأعراف (١٧١) .

(٢) انظر تفسير مقاتل بن سليمان ٢/ ٢٧، وتفسير القرآن للسمعاني ٢/ ١٦٣، والمحرر الوجيز ٢/ ٣٧٢، وجمال القراء وكمال الإقراء لأبي الحسن علي بن محمد بن عبدالصمد السخاوي ١/ ١٢٠، ط مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٩م .

(٣) سورة الأعراف (١٧٢) .

(٤) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ٨/ ٢٦٠ .

قال الثعلبي[١] ـ رحمه الله ـ في بداية تفسير الآيات :"واسأل يا محمد هؤلاء اليهود الذين هم جيرانك، سؤال تقرير وتوبيخ ﴿عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ أي: بقربه وعلى شاطئه.....[٢]":اهـ

وقال الدكتور/ محمد رأفت سعيد :"هي آيات تخاطب رسول الله ـ ﷺ ـ أن يسأل اليهود الذين هم جيرانه، ولم يكن ذلك إلا في المدينة المنورة[٣]":اهـ

وذهب كثير من أهل العلم إلى أن سورة الأعراف كلها مكية بلا استثناء، فهذه الآيات محل البحث مكية كسائر آيات سورة الأعراف[٤].

---

(١) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، مفسر، من أهل نيسابور، له اشتغال بالتأريخ، من كتبه : عرائس المجالس في قصص الأنبياء، والكشف والبيان في تفسير القرآن، يعرف بتفسير الثعلبي، توفي سنة سبع وعشرين وأربعمائة . انظر وفيات الأعيان ١/ ٧٩، وطبقات المفسرين للسيوطي ص ٢٨ .

(٢) الكشف والبيان ٤/ ٢٩٥، ومثله تماماً قال البغوي في معالم التنزيل ٢/ ٢٤١، وانظر البحر المحيط لأبي حيان ٥/ ٢٠٢، والتفسير الحديث لمحمد عزت دروزة ٢/ ٥٢٠ .

(٣) تاريخ نزول القرآن ص ٢٦٧ .

(٤) انظر بحر العلوم للسمرقندي ١/ ٥٠٢، والوسيط للواحدي ٢/ ٣٤٧، ودرج الدرر ٢/ ٧٤٣، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي ١/ ٥٥٤، والمنار ٨/ ٢٦٠ .

قلت : الراجح أن سورة الأعراف كلها مكية بلا استثناء، وهذا ما رجحه الإمام الأكبر محمد سيد طنطاوي ـ رحمه الله ـ فقال عن سورة الأعراف :"والرأي الراجح عند العلماء أنها جميعها مكية[1]":اهـ

ويمكن الاستدلال على هذا الترجيح، ومناقشة مستند الاستثناء من وجوه :

الوجه الأول : ـ أن توجيه الخطاب إلى النبي ـ ﷺ ـ بأمره بسؤال أهل الكتاب عن تلك القصة لا يستلزم لقاءه بهم وقت نزول الآية، بل :"لم يأمره بالسؤال حقيقة، ولكنه على التمثيل؛ كأنه قال: لو سألتهم، يقولون لك كذا؛ كقوله : ﴿سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةم بَيِّنَةٖ[2]﴾، ليس على الأمر أن اسألهم، ولكن لو سألتهم كان كذا، وأجابوك بكذا، فعلى ذلك هذا[3]":.

قال في المنار :"إذا قال غير المسلم المؤمن : إنه اطلع على القصة في بعض كتبهم المقدسة أو التاريخية غير المقدسة أو سمعه من بعضهم . قلنا : إن آيات سورة الأعراف هذه نزلت بمكة في أوائل الإسلام، ولم يكن النبي ـ ﷺ ـ لقي أحداً من اليهود، ومن المعلوم قطعاً أنه كان أمياً لم

(١) التفسير الوسيط للإمام الأكبر محمد سيد طنطاوي ٥/ ٢٣٧ .
(٢) سورة البقرة (٢١١) .
(٣) تأويلات أهل السنة لأبي منصور الماتريدي ٥/ ٧٠ .

يقرأ الكتب، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾[1][2]":اهـ

الوجه الثاني : ـ قال الشيخ عبدالكريم الخطيب[3]ـ رحمه الله ـ في تفسير الآيات محل البحث :"لم تكن قصة موسى وبني إسرائيل هنا حديثاً مباشراً لليهود الذين عاصروا البعثة النبوية، إذ كانت الدعوة لا تزال في مواجهة قريش، لم تحدد مكانها من اليهود بعد، ولم تنتقل إلى مطلعها الجديد في المدينة التي سيهاجر إليها الرسول، ويواجه فيها اليهود مواجهة مباشرة.

---

(١) سورة العنكبوت (٤٨) .

(٢) المنار ٩/ ٣١٦ .

(٣) هو الباحث المفسر عبدالكريم محمود يونس الخطيب، ولد في صعيد مصر سنة ١٩١٠م، وتعلم حتى برز في العلم والمناصب، شارك في إخراج مجموعة من المؤلفات الدينية والأدبية تربو على الخمسين كتاباً، إلى جانب المئات من المقالات في الصحف المصرية والعربية، والمئات من الأحاديث الدينية في الإذاعات المسموعة والمرئية في مصر، وفي السعودية حيث أتيح له أن يعمل أستاذاً للدراسات العليا بكلية الشريعة في الرياض، من كتبه : التفسير القرآني للقرآن، وسد باب الاجتهاد وما ترتب عليه، مات سنة ١٩٨٥م . انظر تكملة معجم المؤلفين لمحمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف ص ٣٢٠، ط دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٨ هـ ١٩٩٧م .

ومع هذا، فإن الدعوة الإسلامية ـ وهي في مكة ـ كانت تشير إلى أهل الكتاب، وإلى اليهود خاصة، إشارات تنبيء عن أن للرسالة الإسلامية شأناً معهم، وأن عليهم أن يهيئوا أنفسهم لها منذ اليوم، وأن ينظروا فيها، ويحددوا موقفهم منها.. وهذا من أنباء الغيب التي حملها القرآن، وأخبر بها قبل أن تقع.

وإذ انتهت قصة موسى وقومه، وإذ تكشف الآيات القرآنية عن القوم وعما في قلوبهم من مرض، وما في طباعهم من لؤم ومكر، فقد ناسب ذلك أن تأتى آيات أخرى تكشف عن طبيعة القوم، وتعرض صوراً من كفرهم بنعم الله، ومكرهم بآياته، وفى هذا نذير لمشركي مكة إن هم جَرَوا على سنة هؤلاء القوم مع رسل الله، وإن هم أخذوا عنهم ما يلقون به إليهم من زيف القول، يكيدون به للرسول الكريم.

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ هو سؤال إلى اليهود لم يلقهم به النبي لقاء مباشراً، وإنما نُقِل إليهم من كفار قريش الذين كانوا يتعاملون مع اليهود في التصدي للنبي، وفي نصب المزالق والعثرات له، إذ كان اليهود يلتقطون أخبار النبي وما ينزل عليه من قرآن، أولاً بأول، فيجدون القرآن يحدث عنهم، ويفضح تاريخهم الأسود مع أنبيائهم دون أن يلتفت إليهم النبي الكريم، وأن يلقاهم بوجهه، وهذا مما يثير القلق والاضطراب في نفوسهم، ويجعلهم والقرآن

وجهاً لوجه، من غير أن يكون للرسول موقف معهم يمكنهم من أن ينالوا منه منالاً[١]":اهـ

الوجه الثالث : ـ أن الآيات السابقة للآيات محل البحث، وكذلك الآيات اللاحقة لها تتحدث عن أهل الكتاب، فإما أن نحكم على كل آية تتحدث عنهم أنها مدنية، وإما نجعل الآيات محل البحث مكية كسائر آيات السورة .

وقد أشار صاحب المنار إلى هذا الوجه حينما قال :"استثنى قتادة آية : ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾.....، وقال غيره : من هنا إلى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ.....﴾ مدني . وكأن قائل هذا رأى أن هذه الآيات متصل بعضها ببعض بالمعنى، فلا يصح أن يكون بعضها مكياً وبعضها مدنياً.

وبهذا النظر نقول : إن ما قبل هذه الآيات وما بعدها في سياق واحد وهو قصة بني إسرائيل، ومقتضى ذلك أن السورة كلها مكية وهو الصحيح المختار[٢]":اهـ

ولقد سبقت كلمتنا أنه لا مانع أبداً أن يأتي في القرآن المكي حديث عن أهل الكتاب كما قال محمد الغزالي ـ رحمه الله ـ :"هناك آيات مكية تعرضت لأهل الكتاب، فجاء الرواة وعدوها مدنية، كأن الكلام عن

---

(١) التفسير القرآني للقرآن ٥/ ٥٠٣ .

(٢) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ٨/ ٢٦٠ .

أهل الكتاب في مكة لا محل له، والواقع أن هذه الروايات ينقصها التمحيص العلمي والتحقيق التاريخي، والغريب أن هذه الروايات الواهية هي التي أثبتها ـ دون غيرها ـ نفر من الحفاظ أشرفوا على طبع هذا المصحف أخيراً في دار الكتب المصرية[1]":اهـ

وفي سورة يونس المكية بعض الآيات التي تتحدث عن اليهود، فحكم عليها بعض العلماء بأنها آيات مدنية، فرد عليهم الطاهر بن عاشور قائلاً :"وأحسب أن هذه الأقوال ناشئة عن ظن أن ما في القرآن من مجادلة مع أهل الكتاب لم ينزل إلا بالمدينة، فإن كان كذلك فظن هؤلاء مخطيء[2]":اهـ

خلاصة القول : أن الآيات محل البحث اسْتُثْنِيَتْ من سورة الأعراف المكية، فقيل : إنها مدنية بحجة أنها تبدأ بخطاب موجه إلى النبي ـ ﷺ ـ يأمره بسؤال أهل الكتاب، وهذا السؤال غير ممكن إلا بعد هجرة النبي ـ ﷺ ـ إلى المدينة ومجاورة اليهود فيها .

ولكن كثيراً من العلماء لم يستثنوا شيئاً من آيات سورة الأعراف، وحكموا على السورة كلها بأنها مكية .

---

(١) نظرات في القرآن للشيخ محمد الغزالي ص ٢٦١ .

(٢) التحرير والتنوير ١١/ ٧٨ . وقد سبق بسط الكلام عن وجود آيات تتحدث عن أهل الكتاب في السور المكية في ص ٢٣ ـ ٢٥ من هذا البحث فراجعه.

وهذا هو الراجح؛ لأن توجيه الخطاب إلى النبي ـ ﷺ ـ بأمره بسؤال أهل الكتاب عن تلك القصة لا يستلزم لقاءه بهم وقت نزول الآية، لأنه لم يأمره بالسؤال حقيقة، بل هو على التمثيل، كأنه قال : لو سألتهم لأجابوا بما فيه الحجة لك عليهم وعلى كفار قريش . ويحتمل أن السؤال نُقِل إلى اليهود بواسطة كفار قريش الذين كانوا يتعاملون مع اليهود في التصدي للنبي ـ ﷺ ـ .

ثم إن الآيات السابقة للآيات محل البحث، وكذلك الآيات اللاحقة لها تتحدث عن أهل الكتاب، فإما أن نحكم على كل آية تتحدث عنهم أنها مدنية، وإما نجعل الآيات محل البحث مكية كسائر آيات السورة . وفضلاً عن ذلك لم يرد نص صحيح يثبت أن هذه الآيات قد نزلت بالمدينة.

المطلب الثاني

قال الله ـ تعالى ـ : ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾[1] .

جاء ما يوهم أن هذه الآية مدنية، ونستطيع إبراز ما يورد هذا الإيهام من وجوه :

الوجه الأول : ـ أن الآية نزلت للأمر بالإنصات للإمام إذا قرأ القرآن في خطبة الجمعة[2]. قال مجاهد : قَوْلُ الله ـ تَعَالَى ـ : ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾ «نَزَلَتْ فِي الْخُطْبَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ[3]» .

وإذا كانت الآية نازلة للإنصات لما يقرأه الإمام وهو يخطب يوم الجمعة تكون الآية مدنية، لأن صلاة الجمعة لم تُشْرَع إلا في المدينة بعد هجرة النبي ـ ﷺ ـ إليها[4].

---

(١) سورة الأعراف (٢٠٤) .

(٢) انظر جامع البيان للطبري ١٣/ ٣٥٠، والنكت والعيون للماوردي ٢/ ٢٩٠، والتفسير البسيط للواحدي ٩/ ٥٦٥، ومعالم التنزيل للبغوي ٢/ ٢٦٣ .

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه ٥/ ١٧٩، برقم (٩٧٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه ٢/ ٢٢٥، برقم (٨٣٨٢)، والطبري في تفسيره ١٣/ ٣٥٠ .

(٤) هناك اتفاق بين العلماء على أن أول جمعة في الإسلام كانت بالمدينة، ومن قال : إن الجمعة شرعت في مكة قال : إنها شرعت فيها، ولكنها لم تقم إلا في المدينة لأن شعارها الإظهار، وكان ـ ﷺ ـ مستخفياً في مكة . انظر شرح التلقين لمحمد بن علي المازري المالكي ١/ ٩٦٢، ط دار الغرب الإسلامي،

الوجه الثاني : ـ أن الآية نزلت في الإنصات إلى الخطبة يوم عيد الفطر، وعيد الأضحى، ويوم الجمعة، وفيما يجهر به الإمام[١]. وفي هذا أثر عن سعيد بن جبير أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾ : الْإِنْصَاتُ : يَوْمَ الْأَضْحَى، وَيَوْمَ الْفِطْرِ، وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَفِيمَا يَجْهَرُ بِهِ الْإِمَامُ مِنَ الصَّلَاةِ[٢].

وإذا كانت الآية نازلة للإنصات في الخطبة في العيدين تكون الآية مدنية، لأن صلاة العيد لم تشرع إلا في المدينة بعد هجرة النبي ـ ﷺ ـ إليها[٣].

الأولى ٢٠٠٨م، وكفاية النبيه في شرح التنبيه لأحمد بن محمد بن الرفعة ٤/ ٢٧٠، ط دار الكتب العلمية، الأولى ٢٠٠٩م، والفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي لمحمد بن الحسن بن العربي الفاسي ١/ ١٧٢، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٥م .

(١) انظر الكشف والبيان للثعلبي ٤/ ٣٢٢، ومعالم التنزيل ٢/ ٢٦٣ .

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان ١٣/ ٣٥١ .

(٣) شُرِعَت صلاة العيد في السنة الأولى بعد الهجرة، بدليل حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَدِمَ رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ الْمَدِينَةَ وَلَهُمْ يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ :"إِنَّ اللهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا : يَوْمَ الْفِطْرِ، وَيَوْمَ النَّحْرِ". أخرجه أبوداود في سنه ٢/ ٣٤٥، كتاب : الصلاة، باب : صلاة العيدين، برقم (١١٣٤)، وأحمد في المسند ١٩/ ٦٥، برقم (١٢٠٠٦)، والحاكم في المستدرك ١/ ٤٣٤، برقم (١٠٩١)، وقال :"هذا حديث صحيح على شرط

الوجه الثالث : ـ أن الآية نزلت في فتى من الأنصار كان يقرأ في الصلاة والنبي ـ ﷺ ـ يقرأ، فأمروا بترك القراءة معه في الصلاة[١]. وفي هذا أثر عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ:"نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي فَتًى مِنَ الْأَنْصَارِ، كَانَ رَسُولُ اللهَّ ـ ﷺ ـ كُلَّمَا قَرَأَ شَيْئًا قَرَأَهُ، فَنَزَلَتْ : ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾[٢].

مسلم، ولم يخرجاه":اهـ . ووافقه الذهبي . وقال الأرنؤوط محقق مسند الإمام أحمد :"إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين":اهـ

وانظر في وقت مشروعية صلاة العيد كتاب البحر الرائق شرح كنز الدقائق لزين الدين بن إبراهيم بن محمد المعروف بابن نجيم المصري ٢/ ١٧٠، ط دار الكتاب الإسلامي، الثانية، والفقه على المذاهب الأربعة لعبدالرحمن بن محمد عوض الجزيري ١/ ٣١٤، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الثانية ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م .

(١) انظر جامع البيان ١٣/ ٣٤٦، والكشف والبيان ٤/ ٣٢١، وزاد المسير ٢/ ١٨٣ .

(٢) أخرجه البيهقي في كتاب القراءة خلف الإمام ص ١١٥، برقم (٢٨١)، والطبري في جامع البيان ١٣/ ٣٤٦، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/ ٦٣٥، وعزاه لابن جرير ولم يعزه لغيره . والأثر فيه علتان :

الأولى : أنه من كلام الزهري، والزهري من التابعين، فهو مرسل .

الثانية : أنه من رواية أشعث بن سوار عن الزهري، وأشعث بن سوار ضعيف جداً، ولا يحتج بروايته . انظر الجرح والتعديل ٢/ ٢٧١، والمجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين لابن حبان ١/ ١٧١ .

وإذا كانت نازلة في فتى من الأنصار هذا شأنه فهي مدنية . ولهذا قال السيوطي ـ رحمه الله ـ بعد أن ذكر أثر الزهري هذا :"قلت : ظاهر ذلك أن الآية مدنية[1]":اهـ

قلت : بل الآية مكية بلا خلاف، وكل هذه الأسباب التي توهم أنها مدنية مردود عليها من عدة وجوه :

الوجه الأول : ـ أن كل ما يوهم أن الآية مدنية مبني على آثار مروية عن بعض التابعين، وليس منها شيء ثابت عن أحد من الصحابة الذين عاصروا وقت نزول الآية، فهي آثار ضعيفة لا حجة فيها .

الوجه الثاني : ـ كون الآية مكية هو المقدم عند المفسرين، وبه ردوا على كل هذه الآثار، قال السمعاني ـ رحمه الله ـ :"قوله ـ تعالى ـ : ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾.....قال مجاهد: هو في الخطبة . ولم

(١) لباب النقول في أسباب النزول ص ٩٣ . وكلام السيوطي هذا لا يعني أنه قد أخذ برواية الزهري، ولكنه يقصد أن كلام الزهري ـ لو صح ـ يقضي بأن الآية مدنية، أما السيوطي نفسه فلم يعتد به، لأنه لم يذكر في كتابه الإتقان ١/ ٥٧، أن هذه الآية ضمن الآيات المستثناة من سورة الأعراف . وقد صنف الإتقان بعد لباب النقول بزمن، فقد قال في الإتقان ١/ ١٠٧، في النوع التاسع وهو : معرفة سبب النزول :"وقد ألفت فيه كتاباً حافلاً موجزاً محرراً لم يؤلف مثله في هذا النوع سميته :"لباب النقول في أسباب النزول":اهـ

يرضوا من مجاهد هذا القول؛ لأن الآية مكية، والجمعة إنما وجبت بالمدينة[١].

أضف إلى هذا أن الغالب أن قراءة القرآن في خطبة الجمعة والعيدين قليل، والإنصات إلى جميع الخطبة واجب، ولا يختص بالقراءة فيها[٢]. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ قَالَ :"إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ : أَنْصِتْ، وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ، فَقَدْ لَغَوْتَ[٣].

---

(١) تفسير القرآن للسمعاني ٢/ ٢٤٤، ومثله قال البغوي في معالم التنزيل ٢/ ٢٦٣، وابن عطية في المحرر الوجيز ٢/ ٤٩٤، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٣٥٣، وأبوحيان في البحر المحيط ٥/ ٢٦٢، ورشيد رضا في المنار ٩/ ٤٦١ .

(٢) انظر تفسير القرآن للسمعاني ٢/ ٢٤٤، ومعالم التنزيل ٢/ ٢٦٣، والجامع لأحكام القرآن ٧/ ٣٥٣، والبحر المحيط ٥/ ٢٦٢ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٢/ ١٣، كتاب : الجمعة، باب : الإنصات يوم الجمعة والإمام يخطب، برقم (٩٣٤)، ومسلم في صحيحه ٢/ ٥٨٣، كتاب : الجمعة، باب : في الإنصات يوم الجمعة في الخطبة، برقم (٨٥١) .
واللغو : كل شيء من الكلام ليس بحسن، وهو الكلام الملغي الساقط الباطل المردود . وقيل : معناه قلت غير الصواب . وقيل : تكلمت بما لا ينبغي . ففي الحديث النهي عن جميع أنواع الكلام حال الخطبة، ونبه بهذا على ما سواه، لأنه إذا قال : أنصت . وهو في الأصل أمر بمعروف وسماه لغواً فيسيره من الكلام أولى . انظر شرح النووي على صحيح مسلم ٦/ ١٣٨، وفتح الباري ١/ ١٨٣ .

الوجه الثالث : ـ أن قول الراوي : نزلت هذه الآية في كذا . ليس نصاً في السببية الصريحة، بل تحتملها، وتحتمل أمراً آخر هو بيان ما تضمنته الآية من الأحكام . وقد ثبت أن بعض الآيات كانت تصدق على وقائع تحدث بعد نزولها للاستشهاد أو الاحتجاج بها في الواقعة، وكثيراً ما كان يقول الصحابة أو التابعون : إن آية كذا نزلت في كذا . وهو يريد أنها نزلت في إثبات هذا الأمر أو حكمه أو دالة عليه، ومثل هذا يعد من التفسير لا من أسباب النزول[١].

فما روي عن بعض التابعين أن الآية نزلت في الإنصات لما يقرأه الإمام من القرآن في خطبة الجمعة، أو في صلاة العيدين يراد بذلك أن الآية تشمل على هذا الحكم لدخوله في عمومها، لا أنه سبب لنزولها[٢].

الوجه الرابع : ـ أن الآية نزلت لأن الكلام في الصلاة كان مأذوناً فيه للصحابة في أول الأمر، ثم نزلت الآية محل البحث تحرم الكلام في الصلاة وتأمر بالسكوت[٣].

---

(١) انظر مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص ١٥ و ١٦، والبرهان في علوم القرآن ١/ ٣١، والإتقان في علوم القرآن ١/ ١١٢ و ١١٥، ومناهل العرفان ١/ ١١٥، وتفسير المنار ٧/ ٢٣٧، والمدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد بن سويلم أبو شُهبة ص ١٣٢، ط مكتبة السنة ـ القاهرة ـ الثانية ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م .

(٢) انظر محاسن التأويل للقاسمي ٥/ ٢٤٦ و ٢٤٧، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٩/ ٢٤٠ .

(٣) انظر جامع البيان ١٣/ ٣٤٥، وبحر العلوم ١/ ٥٧٨، والكشف والبيان ٤/ ٣٢١، والنكت والعيون ٢/ ٢٩٠، والتفسير البسيط للواحدي

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ : كَانَ النَّاسُ يَتَكَلَّمُونَ فِي الصَّلَاةِ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ :﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، فَأُمِرُوا بِالْإِنْصَاتِ فِي الصَّلَاةِ، وَنُهُوا عَنِ الْكَلَامِ(١).

وعَنْ عَبْدِالله بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : كُنَّا يُسَلِّمُ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فِي الصَّلَاةِ : سَلَامٌ عَلَى فُلَانٍ، وَسَلَامٌ عَلَى فُلَانٍ، قَالَ: فَجَاءَ الْقُرْآنُ : ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾(٢).

وفي رواية أخرى أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ سَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللهَّ ـ ﷺ ـ فَلَمْ يَرُد عَلَيْهِ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ : إِنَّ اللهَّ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ . وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ يَتَكَلَّمُ فِي

٩/ ٥٦٤، وتفسير القرآن للسمعاني ٢/ ٢٤٤، ومعالم التنزيل ٢/ ٢٦٣، والمحرر الوجيز ٢/ ٤٩٤، وأنوار التنزيل للبيضاوي ٣/ ٤٧.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٢/ ٢٢٥، برقم (٨٣٨٠)، والبيهقي في السنن الكبرى ٢/ ٢٢٢، برقم (٢٨٨٧)، والبيهقي ـ أيضاً ـ من عدة طرق أخرى في كتاب القراءة خلف الإمام ص ١١٤، برقم (٢٧٤) إلى رقم (٢٧٩)، والطبري في تفسيره ١٣/ ٣٤٥، وابن أبي حاتم في تفسيره ٥/ ١٦٤٥، برقم (٨٧٢٨) . والحديث صحيح بمجموع طرقه ـ إن شاء الله ـ، وقد تتبع طرقه وحكم عليه بالصحة سليم بن عيد الهلالي و محمد بن موسى آل نصر في كتابهما الاستيعاب في بيان الأسباب ٢/ ١٧٧، ط دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع ـ السعودية ـ الأولى ١٤٢٥هـ .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣/ ٣٤٥، وذكره السيوطي في الدر المنثور٣/ ٦٣٦، ولم يعزه لغير الطبري .

صَلاتِهِ وَيَأْمُرُ بِحَاجَتِهِ، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللهَّ ـ ﷺ ـ رَدَّ عَلَيْهِ وَقَالَ: إِنَّهَا نَزَلَتْ :﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[1].

إذا ثبت هذا ثبت أن الآية نزلت على النبي ـ ﷺ ـ في مكة قبل الهجرة، لأن تحريم الكلام في الصلاة كان في مكة أثناء هجرة بعض الصحابة إلى الحبشة كما في صحيح مسلم وغيره : عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: كُنَّا نُسَلِّمُ عَلَى رَسُولِ اللهَّ ـ ﷺ ـ فِي الصَّلَاةِ قَبْلَ أَنْ نَأْتِيَ أَرْضَ الْحَبَشَةِ فَيَرُدُّ عَلَيْنَا، فَلَمَّا رَجَعْنَا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ يُصَلِّي فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ، فَجَلَسْتُ حَتَّى قَضَى رَسُولُ اللهَّ ـ ﷺ ـ الصَّلَاةَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهَّ قَدْ سَلَّمْتُ عَلَيْكَ وَأَنْتَ تُصَلِّي فَلَمْ تَرُدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ، فَقَالَ :«إِنَّ اللهَّ قَدْ يُحْدِثُ مِنْ أَمْرِهِ مَا يَشَاءُ، وَإِنَّهُ مِمَّا أَحْدَثَ أَنْ لَا تَكَلَّمُوا فِي الصَّلَاةِ»[2].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥/ ١٦٤٥، برقم (٨٧٢٩)، من طريق محمد بن بكر عن عمران أبي العوام عن عاصم. عن أبي وائل أن ابن مسعود سلم.....إلى آخره . وهو سند متصل، وكل رجاله ثقات إلا عاصم بن بهدلة وهو ابن أبي النجود، وهو صدوق في الحديث، حجة في القراءة كما في الثقات لابن حبان ٧/ ٢٥٦، والتقريب لابن حجر ص ٢٨٥ . وذكر الحديث السيوطي في الدر المنثور٣/ ٦٣٦، وزاد نسبته لابن مردويه .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٣٨٢، كتاب : المساجد ومواضع الصلاة، باب : تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته، برقم (٥٣٨)، وأبوداود في سننه ٢/ ١٨٦، كتاب : الصلاة، باب : رد السلام في الصلاة، برقم (٩٢٣)، وأحمد في المسند ٦/ ٢٨، برقم (٣٥٦٣) .

خلاصة القول : أن الآية محل البحث لم يصرح أحد من العلماء أنها مدنية، لكن ورد ما يوهم مدنيتها، من مثل أنها نزلت للأمر بالإنصات للإمام إذا قرأ القرآن في خطبة الجمعة، أو العيدين، أو نزلت في فتى من الأنصار كان يقرأ في الصلاة والنبي ـ ﷺ ـ يقرأ .

والحق أنها مكية كسورتها لأن الآثار التي توهم أنها مدنية آثار ضعيفة ليست فيها حجة، ولو ثبتت لم تكن صريحة في السببية، بل الغرض منها أن الآية تشتمل على هذا الحكم لدخوله في عمومها . ثم إن الثابت أن الآية نزلت لتحرم الكلام في الصلاة الذي كان مباحاً، وقد ثبت أن تحريم الكلام في الصلاة كان في مكة، فيثبت بهذا أن الآية مكية .

الفصل الثالث
سورة الأنفال

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : نزول سورة الأنفال .

المبحث الثاني : الآيات المستثناة من سورة الأنفال .

المبحث الأول
نزول سورة الأنفال

سورة الأنفال سورة مدنية، نزلت على رسول الله ـ ﷺ ـ بعد الهجرة .

والروايات التسع التي ذكرتها في الجزء الأول من هذه الرسالة، في مبحث "الروايات التي عددت المكي والمدني" أجمعت على أن سورة الأنفال مدنية[1].

ويدل على مدنية سورة الأنفال أدلة :

الدليل الأول : ما صح من أسباب نزول كثير من آيات سورة الأنفال واضح الدلالة على أن هذه الآيات نزلت بسبب أسئلة أو حوادث حدثت بالمدينة بعد هجرة النبي ـ ﷺ ـ[2].

---

(١) انظر المكي والمدني في القرآن الكريم دراسة تأصيلية ودراسة نقدية لنزول السور والآيات المستثناة من كل سورة من أول سورة الفاتحة حتى آخر سورة المائدة، وهو بحث لي نُشِر في مجلة الدراية التي تصدرها كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق، العدد السابع عشر سنة ٢٠١٧م، المجلد الثالث ص ٥٢٣ ـ ٥٤٤.

(٢) انظر أسباب نزول كثير من آيات سورة الأنفال في أسباب نزول القرآن للواحدي ص ٢٣٤ ـ ٢٤٥، ولباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ص

الدليل الثاني : ـ إجماع العلماء على أن سورة الأنفال مدنية نزلت بعد الهجرة، ولم يخالف في هذا أحد[١].

الدليل الثالث : ـ القضايا التي تحدثت عنها سورة الأنفال هي قضايا خصائص السور المدنية، فقد اتفق رجال التفسير والأثر كلهم على أنها نزلت في غزوة بدر، حتى إن بعضهم سماها "سورة بدر"[٢]، وسماها آخرون "سورة الجهاد"[٣].

---

٩٣ ـ ١٠٢، والصحيح المسند من أسباب النزول لمقبل بن هادي الوادعي ص ٩٦ و ١٠٥ .

(١) كل ما بحثت فيه من كتب التفسير وكتب علوم القرآن نصت على مدنية سورة الأنفال . انظر ـ على سبيل المثال ـ تفسير مقاتل بن سليمان ٢/ ٩٧، وبحر العلوم ٢/ ٣، والكشف والبيان ٤/ ٣٢٤، والوسيط للواحدي ٢/ ٤٤٣، ودرج الدرر ٢/ ٨٢٥، وتفسير القرآن للسمعاني ٢/ ٢٤٦، ومعالم التنزيل ٢/ ٢٦٦، وأنوار التنزيل للبيضاوي ٢/ ٤٩، ومدارك التنزيل للنسفي ١/ ٦٢٩، والبحر المحيط ٥/ ٢٦٧، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٥، وإرشاد العقل السليم ٤/ ٢، ومحاسن التأويل ٥/ ٢٥١، والمنار ٩/ ٤٨٤، وزهرة التفاسير ٦/ ٣٠٥٥، والبرهان في علوم القرآن ١/ ١٩٤ .
وانظر نَقْلَ الإجماع على أن سورة الأنفال مدنية في : المحرر الوجيز ٢/ ٤٩٦، وزاد المسير ٢/ ١٨٦، والجواهر الحسان للثعالبي ٣/ ١١٢، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١/ ٢٢٢، ومصاعد النظر ٢/ ١٤٤ .

(٢) انظر تفسير القرآن للسمعاني ٢/ ٢٤٦، والجامع لأحكام القرآن ٧/ ٣٦٠، والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ١/ ٣٢٠، والجواهر الحسان ٣/ ١١٢، وفتح القدير للشوكاني ٢/ ٣٢٣، والتفسير القرآني للقرآن ٥/ ٥٥٧، والتحرير والتنوير ٩/ ٢٤٥ .

(٣) انظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٨/ ٢١٤، ومحاسن التأويل ٥/ ٢٥١، ومصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ٢/ ١٤٤ .

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ : قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ : سُورَةُ الأَنْفَالِ . قَالَ : «نَزَلَتْ فِي بَدْرٍ»(١). وفي لفظ : قَالَ: «تِلْكَ سُورَةُ بَدْرٍ»(٢).

وكانت غزوة بدر في رمضان من العام الثاني للهجرة بعد عام ونصف من يوم الهجرة(٣). وكان ابتداء نزول سورة الأنفال قبل الانصراف من بدر، فقد نزل صدر السورة والمسلمون في بدر قبل قسمة مغانمها، فعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ قَتَلْتُ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ، وَأَخَذْتُ سَيْفَهُ، فَجِئْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ ـ ﷺ ـ وَقَدْ قُتِلَ أَخِي عُمَيْرٌ قَبْلَ ذَلِكَ، فَقَالَ لِي رَسُولُ ـ ﷺ ـ : «اذْهَبْ فَاطْرَحْهُ فِي الْقَبَضِ»(٤). قَالَ: فَرَجَعْتُ وَبِي مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ مِنْ قَتْلِ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٦١، كتاب : التفسير، باب : قوله : ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾، برقم (٤٦٤٥)، والبيهقي في السنن الكبرى ٩/ ٩٩، برقم (١٧٩٨٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٣٢٢، كتاب : التفسير، باب : في سورة براءة والأنفال والحشر، برقم (٣٠٣١).

(٣) انظر السير والمغازي لمحمد بن إسحاق بن يسار ص ١٣٠، ط دار الفكر ـ بيروت ـ الأولى ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م، والسيرة النبوية لابن هشام ١/ ٦١٢، والسيرة النبوية لابن كثير ٢/ ٣٨٠.

(٤) القَبَض : الموضع الذي تجمع فيه الغنائم . انظر تهذيب اللغة لمحمد بن أحمد الأزهري ٨/ ٢٧٣، ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ الأولى ٢٠٠١م،

أَخِي وَأَخْذِ سَلَبِي[1]، فَمَا جَاوَزْتُ إِلَّا قَرِيبًا حَتَّى نَزَلَ صَدْرُ سُورَةُ الْأَنْفَالِ، فَدَعَانِي رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ فَقَالَ: «اذْهَبْ فَخُذْ سَيْفَكَ»[2].

فابتدأت السورة ببيانَ أحكام الأنفال، وهي الغنائم، وقسمتها ومصارفها، والأمر بتقوى الله في ذلك وغيره، والأمر بطاعة الله ورسوله، في أمر الغنائم وغيرها، وأمر المسلمين بإصلاح ذات بينهم، وأن ذلك من مقومات معنى الإيمان الكامل، ثم ذكرهم الله بالخروج إلى غزوة بدر، وبخوفهم من قوة عدوهم، وما لقوا فيها من نصر وتأييد من الله ولطفه بهم .

ثم ذكر امتنان الله عليهم بأن جعلهم أقوياء، ووعدهم بالنصر إن اتقوا بالثبات للعدو، والصبر.

وغريب الحديث لأحمد بن محمد الخطابي ١/ ١٧٠، ط دار الفكر ـ دمشق ـ ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م .

(١) السَلَب : ما يأخذه القاتل من قتيله في الحرب من ثياب أو طعام أو سلاح . انظر العين ٧/ ٢٦١، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير٢/ ٣٨٧.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٣/ ١٣٦٧، كتاب : الجهاد والسير، باب : الأنفال، برقم (١٧٤٨)، والترمذي في سننه ٥/ ٢٦٨، كتاب : أبواب تفسير القرآن، باب : ومن سورة الأنفال، برقم (٣٠٧٩) وأبوداود في سننه ٣/ ٧٧، كتاب : الجهاد، باب : النفل، برقم (٢٧٤٠)، وأحمد في المسند ٣/ ١٢٩، برقم (١٥٥٦) .

ثم أمر بالاستعداد لحرب الأعداء، وأمر باجتماع الكلمة ونهى عن التنازع .

ثم ذَكَّر النبيَ ـ ﷺ ـ بنعمة الله عليه إذ أنجاه من مكر المشركين به بمكة وخلصه من عنادهم، وأن مقامه بمكة كان أماناً لأهلها، فلما فارقهم فقد حق عليهم عذاب الدنيا بما اقترفوا من الصد عن المسجد الحرام.

ثم دعا المشركين للانتهاء عن محاربة الإسلام، وضرب المثل بالأمم الماضية التي عاندت رسل الله ولم يشكروا نعمة لله.

ثم قرر بعض أحكام العهد بين المسلمين والكفار وما يترتب على نقضهم العهد، وأحكام الأسرى، وأحكام المسلمين الذين تخلفوا في مكة بعد الهجرة، وولايتهم وما يترتب على تلك الولاية[1].

خلاصة القول : أن سورة الأنفال مدنية بالإجماع، بدليل ما صح من أسباب نزول كثير من آياتها، وهي تتحدث في جلها عن غزوة بدر، وبعض أحكام الجهاد، والمعاهدات بين المسلمين وغير المسلمين، وأمثال هذه الأغراض إنما هي من قضايا خصائص السور المدنية .

---

(١) انظر مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور٢/ ١٤٦، والتحرير والتنوير ٩/ ٢٤٧، والتفسير المنير للزحيلي ٩/ ٢٣٦ .

المبحث الثاني
الآيات المستثناة من سورة الأنفال
المطلب الأول

قال الله ـ تعالى ـ : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾[1]﴾.

ذهب بعض أهل العلم إلى أن هذه الآية ـ وحدها ـ مكية[2].

قال مقاتل بن سليمان ـ رحمه الله ـ :"سورة الأنفال مدنية كلها، غير آية واحدة : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟.....﴾الآية[3]":اهـ .

وذهب فريق آخر من أهل العلم إلى أن هذه الآية والآيات الست بعدها نزلت بمكة[4].

---

(١) سورة الأنفال (٣٠) .

(٢) انظر بحر العلوم للسمرقندي ٢/ ١٨، وجمال القراء وكمال الإقراء ١/ ١٢١، ومصاعد النظر ٢/ ١٤٤ .

(٣) تفسير القرآن لمقاتل بن سليمان ٢/ ٩٧ .

(٤) انظر درج الدرر في تفسير الآي والسور لعبدالقاهر الجرجاني ٢/ ٨٢٥، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للحسن بن محمد النيسابوري ٣/ ٣٧١، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٦هـ، وزهرة التفاسير ٦/ ٣٠٥٥، والإيضاح في القراءات ص ٢٠١ .

وقد صرح ابن العربي ـ رحمه الله ـ أن هذه الآيات السبع نزلت بمكة في كتابه أحكام القرآن ٢/ ٣٨٧ و ٢/ ٣٩٥، ولكنه صرح في كتابه الناسخ والمنسوخ بمدنيتها كما سيأتي .

قال السمعاني ـ رحمه الله ـ :"سورة الأنفال مدنية إلا سبع آيات، وذلك من قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، إلى آخر الآيات السبع، فإنها نزلت بمكة[1]":اهـ

وهناك سبب عام يوحي بمكية هذه الآيات السبع، ثم إنه قد جاء بخصوص بعضها ما يمكن الاستدلال به على مكيتها .

أما السبب العام الذي يوحي بمكية هذه الآيات السبع فهو موضوعها الذي تتحدث عنه:

فالآية الأولى تتحدث عن ائتمار قريش بالنبي ـ ﷺ ـ قبيل الهجرة، بل في الليلة التي خرج فيها رسول الله ـ ﷺ ـ مع صاحبه أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ بقصد الهجرة، حيث أشار بعضهم بحبسه، وأشار بعضهم بقتله، وأشار آخرون بنفيه من مكة[2].

أخرج الطبري :"أَنَّ أَبَا طَالِبٍ قَالَ لِرَسُولِ اللهَّ ـ ﷺ ـ : مَا يَأْتَمِرُ بِهِ قَوْمُكَ؟ قَالَ :«يُرِيدُونَ أَنْ يَسْجُنُونِي وَيَقْتُلُونِي وَيُخْرِجُونِي» فَقَالَ: مَنْ

وطُبِعَت بعض المصاحف ونُص فيها على مكية هذه الآيات السبع واستثنائها من مدنية سورة الأنفال، كالمصحف المطبوع في شركة الشمرلي للطبع والنشر ـ مصر ـ بتصريح من مشيخة الأزهر رقم (٥٤٩) في ١٢/ ١٢/ ١٩٨٨م .

(١) تفسير القرآن للسمعاني ٢/ ٢٤٦ .

(٢) انظر تفسير القرآن للسمعاني ٢/ ٢٥٩، وأحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٣٩٥ و ٣٩٦، وزهرة التفاسير ٦/ ٣٠٥٥ .

أَخْبَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «رَبِّي» قَالَ: نِعْمَ الرَّبُّ رَبُّكَ، فَاسْتَوْصِ بِهِ خَيْرًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ : «أَنَا أَسْتَوْصِي بِهِ؟ بَلْ هُوَ يَسْتَوْصِي بِي خَيْرًا» . فَنَزَلَتْ : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ.....﴾ الْآيَةَ"[1].

وقد أجيب عن هذا الحديث من وجوه :

الوجه الأول : ـ أنه حديث ضعيف سنداً[2]، ومنكر متناً، والصحيح أن التشاور في الأمور الثلاثة بدار الندوة كان عقب موت أبي طالب، وكان الخروج للهجرة في الليلة التي أجمعوا فيها أمرهم على قتله ـ ﷺ ـ[3].

---

(١) أخرجه بهذا النص ابن جرير الطبري في تفسيره ١٣/ ٤٩٢، من طريق عبد المجيد بن أبي رواد عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن المطلب بن أبي وداعة أن أبا طالب قال لرسول الله ـ ﷺ ـ : ما يأتمر به قومك؟.....إلى آخره . وأخرجه من طريق آخر ابن أبي حاتم في تفسيره ٥/ ١٦٨٨، برقم (٨٩٩٨)، دون ذكر نزول الآية .

وعبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد الذي في سند رواية الطبري قال عنه ابن حبان :"منكر الحديث جداً، يقلب الأخبار، ويروي المناكير عن المشاهير فاستحق الترك":اهـ . انظر كتاب المجروحين لابن حبان ٢/ ١٦٠، والكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي ٧/ ٤٧، وتهذيب الكمال ١٨/ ٢٧١ .

(٢) ظهر من التخريج السابق للحديث السبب في ضعف سنده .

(٣) انظر المحرر الوجيز لابن عطية ٢/ ٥١٩، والجواهر الحسان للثعالبي ٣/ ١٢٧، وفتح القدير للشوكاني ٢/ ٣٤٨، وتفسير المنار ٩/ ٥٤١،

قال الحافظ ابن كثير:"ذِكْرُ أبي طالب في هذا غريب جداً، بل منكر؛ لأن هذه الآية مدنية، ثم إن هذه القصة واجتماع قريش على هذا الائتمار والمشاورة على الإثبات أو النفي أو القتل إنما كان ليلة الهجرة، وكان ذلك بعد موت أبي طالب بنحو من ثلاث سنين، لما تمكنوا منه واجترءوا عليه بعد موت عمه أبي طالب الذي كان يحوطه وينصره ويقوم بأعبائه[1]":اهـ

الوجه الثاني : ـ أنه قد صح أن هذه الآية نزلت في المدينة بعد هجرة النبي ـ ﷺ ـ[2]، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ :"أَنَّ نَفَرًا مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ أَشْرَافِ كُلِّ قَبِيلَةٍ اجْتَمَعُوا لِيَدْخُلُوا دَارَ النَّدْوَةِ، فَاعْتَرَضَهُمْ إِبْلِيسُ فِي صُورَةِ شَيْخٍ جَلِيلٍ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: شَيْخٌ مِنْ نَجْدٍ، سَمِعْتُ أَنَّكُمُ اجْتَمَعْتُمْ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَحْضُرَكُمْ وَلَنْ يَعْدِمَكُمْ مِنِّي رَأْيٍ وَنُصْحٌ. قَالُوا: أَجَلْ، ادْخُلْ، فَدَخَلَ مَعَهُمْ، فَقَالَ: انْظُرُوا فِي شَأْنِ هَذَا الرَّجُلِ، فَقَالَ قَائِلٌ: احْبِسُوهُ فِي وَثَاقٍ، ثُمَّ تَرَبَّصُوا بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ حَتَّى يَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الشُّعَرَاءِ، إِنَّمَا هُوَ كَأَحَدِهِمْ . قَالَ: فَصَرَخَ عَدُوُّ اللهِ الشَّيْخُ

والتفسير الوسيط للإمام الأكبر محمد سيد طنطاوي ٦/ ٧ و ٨، ولباب النقول للسيوطي ص ٩٧ .

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٤٤ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٤٤، والمنار ٩/ ٤٨٤، والإتقان ١/ ٥٨ .

النَّجْدِيُّ، فَقَالَ: وَاللهَّ مَا هَذَا لَكُمْ رَأْي، وَاللهَّ لَيُخْرِجَنَّهُ رَبُّهُ مِنْ مَحْبَسِهِ إِلَى أَصْحَابِهِ فَلَيُوشِكَنَّ أَنْ يَثِبُوا عَلَيْهِ حَتَّى يَأْخُذُوهُ مِنْ أَيْدِيكُمْ فَيَمْنَعُوهُ مِنْكُمْ، فَمَا آمَنُ عَلَيْكُمْ أَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ بِلَادِكُمْ، قَالُوا: فَانْظُرُوا فِي غَيْرِ هَذَا. قَالَ: فَقَالَ قَائِلٌ: أَخْرِجُوهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ تَسْتَرِيحُوا مِنْهُ، فَإِنَّهُ إِذَا خَرَجَ لَنْ يَضُرَّكُمْ مَا صَنَعَ وَأَيْنَ وَقَعَ إِذَا غَابَ عَنْكُمْ أَذَاهُ وَاسْتَرَحْتُمْ وَكَانَ أَمْرُهُ فِي غَيْرِكُمْ، فَقَالَ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ: وَاللهَّ مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْي، أَلَمْ تَرَوْا حَلَاوَةَ قَوْلِهِ وَطَلَاقَةَ لِسَانِهِ وَأَخْذَ الْقُلُوبِ مَا تَسْمَعُ مِنْ حَدِيثِهِ؟ وَاللهَّ لَئِنْ فَعَلْتُمْ ثُمَّ اسْتَعْرَضَ الْعَرَبَ، لَتَجْتَمِعَنَّ عَلَيْكُمْ، ثُمَّ لَيَأْتِيَنَّ إِلَيْكُمْ حَتَّى يُخْرِجَكُمْ مِنْ بِلَادِكُمْ وَيَقْتُلَ أَشْرَافَكُمْ، قَالُوا: صَدَقَ وَاللهَّ، فَانْظُرُوا رَأْيًا غَيْرَ هَذَا قَالَ: فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: وَاللهَّ لَأُشِيرَنَّ عَلَيْكُمْ بِرَأْيِ مَا أَرَاكُمْ أَبْصَرْتُمُوهُ بَعْدُ مَا أَرَى غَيْرَهُ. قَالُوا: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: نَأْخُذُ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ غُلَامًا وَسَطًا شَابًّا نَهْدًا، ثُمَّ يُعْطَى كُلُّ غُلَامٍ مِنْهُمْ سَيْفًا صَارِمًا، ثُمَّ يَضْرِبُونَهُ ضَرْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَإِذَا قَتَلُوهُ تَفَرَّقَ دَمُهُ فِي الْقَبَائِلِ كُلِّهَا، فَلَا أَظُنُّ هَذَا الْحَيَّ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ يَقْدِرُونَ عَلَى حَرْبِ قُرَيْشٍ كُلِّهَا، فَإِنَّهُمْ إِذَا رَأَوْا ذَلِكَ قَبِلُوا الْعَقْلَ(١)وَاسْتَرَحْنَا وَقَطَعنا عنا أَذَاهُ. فَقَالَ الشَّيْخُ النَّجْدِيُّ: هَذَا وَاللهَّ الرَّأْي الْقَوْلُ مَا قَالَ الْفَتَى، لَا أَرَى غَيْرَهُ. قَالَ: فَتَفَرَّقُوا عَلَى ذَلِكَ وَهُمْ مُجْمِعُونَ لَهُ. قَالَ: فَأَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ـ ﷺ ـ فَأَمَرَهُ أَنْ لَا يَبِيتَ فِي مَضْجَعِهِ الَّذِي كَانَ يَبِيتُ فِيهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وَأَذِنَ اللهُ لَهُ عند

(١) العَقْل : الدية . انظر العين ١/ ١٥٩ .

ذَلِكَ بِالْخُرُوجِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ بَعْدَ قُدُومِهِ الْمَدِينَةَ الْأَنْفَالَ يُذَكِّرُهُ نِعَمَهُ عَلَيْهِ وَبَلَاءَهُ عندَهُ : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾[1].

الوجه الثالث : ـ أن الآية تتمة لسياقها المدني، فقبلها قول الله ـ تعالى ـ : ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾[2]﴾ . فهي قد نزلت بعد غزوة بدر في المهاجرين تذكرهم بحالهم في مكة حيث كانوا مقهورين في أرض مكة، يخافون أن يهلكهم المشركون، فآواهم الله إلى المدينة بالهجرة، وجعل لهم مأوى يسكنون فيه آمنين، وأيدهم بنصره يوم بدر، ورزقهم من الطيبات وهي الغنائم التي أحلها لهم[3].

ولما ذَكَّر المؤمنين نعمه عليهم بقوله : ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فكذلك ذَكَّر رسوله ـ ﷺ ـ نعمه عليه، وهو دفع كيد المشركين

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣/ ٤٩٤، وابن أبي حاتم في تفسيره ٥/ ١٦٨٦، برقم (٨٩٩٤)، والبيهقي في دلائل النبوة ٢/ ٤٦٩، وصححه ابن كثير في تفسيره ٤/ ٤٤، والسيوطي في الإتقان ١/ ٥٨ .

(٢) سورة الأنفال (٢٦) .

(٣) انظر جامع البيان للطبري ١٣/ ٤٧٦ ـ ٤٧٩، والنكت والعيون ٢/ ٣٠٩، وزاد المسير٢/ ٢٠٢، والجامع لأحكام القرآن ٧/ ٣٩٤ .

ومكر الماكرين عنه فقال :﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾[1].

:"فإن المكر بالرسول ـ ﷺ ـ مكر بالمسلمين، فهذا تعداد لنعم النصر، التي أنعم الله بها على رسوله ـ ﷺ ـ والمؤمنين في أحوالٍ ما كان يظن الناس أن سيجدوا منها مخلصاً، وهذه نعمة خاصة بالنبي ـ ﷺ ـ، والإنعام بحياته وسلامته نعمة تشمل المسلمين كلهم، وهذا تذكير بأيام مقامهم بمكة، وما لاقاه المسلمون عموماً وما لاقاه النبي ـ ﷺ ـ خصوصاً، وأن سلامة النبي ـ ﷺ ـ سلامة لأمته[2]":

فحادثة ائتمار المشركين وتشاورهم كانت في مكة، وهذا لا يقتضي نزول قوله : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا.....﴾ وما بعدها من آيات في مكة، بل ذَكَّر الله بها رسوله والمؤمنين بعد الهجرة فنزلت بالمدينة [3].

---

(١) انظر تأويلات أهل السنة ٥/ ١٨٨، والكشف والبيان ٤/ ٣٤٨، والتفسير البسيط للواحدي ١٠/ ١١٧، ومعالم التنزيل ٢/ ٢٨٧، والكشاف ٢/ ٢١٥، والمحرر الوجيز ٢/ ٥١٨، وزاد المسير ٢/ ٢٠٤، ومفاتيح الغيب ١٥/ ٤٧٧، وإرشاد العقل السليم ٤/ ١٨، ومحاسن التأويل ٥/ ٢٨١، والمنار ٩/ ٥٤٠ .

(٢) التحرير والتنوير ٩/ ٣٢٧ .

(٣) انظر الكشف والبيان ٤/ ٣٤٨، والمحرر الوجيز ٢/ ٤٩٦، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ٣/ ٥٧، والبحر المحيط ٥/ ٢٦٧، والمنار ٩/ ٤٨٤ .

ولهذا قال البغوي ـ رحمه الله ـ :"سورة الأنفال مدنية.....قيل: إلا سبع آيات من قوله : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ.....﴾ إلى آخر سبع آيات، فإنها نزلت بمكة. والأصح أنها نزلت بالمدينة، وإن كانت الواقعة بمكة[1]":اهـ

وقال الإمام الأكبر: محمد سيد طنطاوي ـ رحمه الله ـ :"الذي ترتاح إليه النفس أن سورة الأنفال جميعها مدنية، وأن ما في بعض آياتها من أوصاف لأحوال المشركين في مكة قبل الهجرة لا يعنى كون هذه الآيات

---

(١) معالم التنزيل ٢/ ٢٦٦ .

وقال ابن العربي ـ رحمه الله ـ :" قيل : إن سورة الأنفال مدنية، إلا قوله ـ تعالى ـ : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، وقوله ـ تعالى ـ : ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ سورة الأنفال (٣٣) . فإنهما مكيتان . فإن كان هذا بنقل صحيح فبها ونعمت . وإن كان بحكم الظن لأن هاتين الآيتين جرت قصتهما بمكة فلا يصح هذا، لأن القصة قد تجري بمكة وتذكر بالمدينة":اهـ الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم للقاضي أبي بكر محمد بن عبدالله بن العربي المعافري ٢/ ٢٢٤، ط مكتبة الثقافة الدينية، الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٢م . وهذا يدل على أن ابن العربي ـ رحمه الله ـ قد تراجع عما قرره في كتابه أحكام القرآن ٢/ ٣٨٧ و ٢/ ٣٩٥ من نزول الآيات السبع بمكة، لأنه صنف كتابه الناسخ والمنسوخ بعد كتابه أحكام القرآن، فقد ذكر غير مرة في بعض المسائل في كتاب الناسخ والمنسوخ أنه بينها في كتاب أحكام القرآن . انظر ـ مثلاً ـ الناسخ والمنسوخ لابن العربي ٢/ ٦٤ و ٢/ ١٤٠ .

مكية، لأن هذه الآيات إنما هي من باب تذكير الرسول وأصحابه بما كان عليه أولئك القوم من عناد ومكابرة وانحراف عن الطريق القويم، أدى بهم إلى الهزيمة في بدر وفي غيرها من المعارك التي كان النصر فيها للمؤمنين[1]":اهـ

وتستمر الآيات في التذكير ببعض ما كان عليه القوم من عناد ومكابرة وانحراف عن الطريق القويم، فيقول الله ـ تعالى ـ : ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ ۙ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾[2]﴾، فبعد أن حكى الله ـ تعالى ـ مكرهم في ذات النبي ـ ﷺ ـ حكى مكرهم في دين النبي ـ ﷺ ـ وما أُرْسِل به من القرآن الكريم، فأخبر الله ـ تعالى ـ عن دعواهم الباطلة عند سماع آياته حين تتلى عليهم أنهم يقولون : قد سمعنا هذا منكم ولا نطيعكم، أو قد سمعنا قبل هذا مثله فماذا أغناكم . ولو نشاء لقلنا قولاً مثله لأنه ليس من كلام الله، ولكنه من خرافات الأمم الماضية . فَذَكَّر الله رسوله والمؤمنين بعد الهجرة بهذا الموقف للمشركين حينما كانوا بمكة[3].

---

(١) التفسير الوسيط للإمام الأكبر محمد سيد طنطاوي ٦/ ٨ .

(٢) سورة الأنفال (٣١) .

(٣) انظر مفاتيح الغيب ١٥/ ٤٧٨، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٤٦، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور٨/ ٢٦٨، وتفسير المنار ٩/ ٥٤٢،

ثم تمضي السورة في حديثها عن رذائل مشركي قريش، فتحكي لوناً عجيباً من ألوان عنادهم وجحودهم للحق فتقول :﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾[1]، فإنهم بعد أن رموا النبي ـ ﷺ ـ بالكذب على الله، وأن ما جاءهم به ليس إلا من أساطير الأولين، أخذها من علماء أهل الكتاب، وأنهم لو شاءوا أن يجيئوا بمثل ما جاءهم به لما كان عليهم إلا أن يرجعوا إلى علماء أهل الكتاب، فيجيئون بمثل هذا الذي معه، إنهم ـ بعد هذا ـ لم يقفوا عند هذا الحد، بل أمعنوا في الاتهام والتكذيب، بأن طلبوا إلى الله أن يمطر عليهم حجارة من السماء أو يأتيهم بعذاب أليم، إن كان هذا الذي جاء به محمد حقاً من عند الله[2].

وقائل هذه المقالة هو أبو جهل، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ، أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . فَنَزَلَتْ : ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا

والتفسير القرآني للقرآن ٥/ ٥٩٨، والتحرير والتنوير ٩/ ٣٢٩، والتفسير الوسيط للطنطاوي ٦/ ٨٨ .

(١) سورة الأنفال (٣٢) .

(٢) انظر مفاتيح الغيب ١٥/ ٤٧٩، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٤٧، ونظم الدرر ٨/ ٢٦٩، والمنار ٩/ ٥٤٤، والتفسير القرآني للقرآن ٥/ ٦٠٠، والتحرير والتنوير ٩/ ٣٣١، والتفسير الوسيط للطنطاوي ٦/ ٨٩ .

كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾[1][2].

فيخبر الله ـ تعالى ـ أنهم أهل للعذاب، ولكن لم يوقع ذلك بهم لبركة مقام رسول الله ـ ﷺ ـ بين أظهرهم، ولهذا لما خرج من بين أظهرهم أوقع الله بهم بأسه يوم بدر، فقتل صناديدهم وأسر أشرافهم . ثم أرشدهم ـ تعالى ـ إلى الاستغفار من الذنوب التي هم متلبسون بها من الشرك والفساد ليمنع عنهم العذاب . ثم بين أنهم يستحقون العذاب لأنهم يصدون عن المسجد الحرام، وهم ليسوا أولياء لله، ولا أولياء المسجد الحرام، وإنما أهله هم النبي ـ ﷺ ـ وأصحابه[3].

وإذا كان أبو جهل هو القائل : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارو من السماء أو ائتنا بعذاب أليم . فقد نسب القول إلى الجميع لأنهم وافقوه عليه[4].

---

(١) سورة الأنفال (٣٣ و ٣٤) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٢٦، كتاب : التفسير، باب : قوله ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، برقم (٤٦٤٨)، ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٥٤، كتاب : صفة القيامة والجنة والنار، باب : قوله ـ تعالى ـ : ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾، برقم (٢٧٩٦) .

(٣) انظر مفاتيح الغيب ١٥/ ٤٧٩، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٥٠ و ٥١، والمنار ٩/ ٥٤٥، والتحرير والتنوير ٩/ ٣٣٣ و ٣٣٤ .

(٤) انظر المحرر الوجيز ٢/ ٥٢٠، ومفاتيح الغيب ١٥/ ٤٧٩، والمنار ٩/ ٥٤٤ .

وإذا كان أبو جهل قد قال هذا في مكة بدليل قوله ـ تعالى ـ : ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ فلا يلزم منه أن تنزل الآية بمكة، فالحديث المذكور ليس سبب نزول الآية الكريمة، لوجود زمن طويل بين القصة والنزول، ولكنها نزلت بالمدينة بعد وقعة بدر حكاية عما مضى، فالآيات تذكِّر رسول الله ـ ﷺ ـ بما ناله من الكافرين، وبرحمة اللهَّ به وإحسانه إليه إذ أنجاه من المجرمين والحمد للهَّ رب العالمين[1].

ثم ذَكَّر الله رسوله والمؤمنين بموجب آخر من موجبات بُعْدِهم عن ولاية الله وولاية البيت مما يجعلهم مستحقين للعذاب، وهذا الموجب هو حالهم في أفضل ما بني البيت لأجله وهو الصلاة، هذه الصلاة عندهم ليست إلا ضرباً من اللهو والعبث، وذلك بالمكاء وهو الصفير، والتصدية وهو التصفيق[2]، فقال ـ تعالى ـ : ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾[3][4].

---

(١) انظر المحرر الوجيز ٢/ ٥٢١، والمحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة لخالد بن سليمان المزيني ١/ ٥٦٦ .

(٢) انظر جامع البيان ١٣/ ٥٢٣، والكشف والبيان ٤/ ٣٥٤، والنكت والعيون ٢/ ٣١٥، ومعالم التنزيل ٢/ ٢٩١، والجامع لأحكام القرآن ٧/ ٤٠٠ .

(٣) سورة الأنفال (٣٥) .

(٤) انظر مفاتيح الغيب ١٥/ ٤٨٠، والبحر المحيط ٥/ ٣١٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٥٢، ونظم الدرر ٨/ ٢٧٤، والمنار ٩/ ٥٤٨، والتحرير والتنوير ٩/ ٣٣٨، والتفسير الوسيط للطنطاوي ٦/ ٩٣ .

قال مقاتل بن سليمان ـ رحمه الله ـ :"وذلك أن النبي ـ ﷺ ـ كان إذا صلى في المسجد الحرام قام رجلان من المشركين عن يمين النبي ـ ﷺ ـ فيصفران كما يصفر المكاء ـ يعني به طيراً اسمه المكاء ـ، ورجلان عن يسار النبي ـ ﷺ ـ فيصفقان بأيديهما ليخلطا على النبي ـ ﷺ ـ صلاته وقراءته، فقتلهم الله ببدر هؤلاء الأربعة[1]":اهـ

قلت : ما قاله مقاتل ـ رحمه الله ـ لم أجده مسنداً في أي كتاب آخر، وهو يقضي أن فعلهم هذا كان بغرض إيذاء النبي ـ ﷺ ـ، ولكن ما جرى عليه المفسرون أن هذا كان لوناً من عبادتهم التي كانوا يفعلونها منذ الجاهلية[2].

قال ابن عطية ـ رحمه الله ـ :"الذي مر بي من أمر العرب أن المكاء والتصدية كان من فعل العرب قديماً قبل الإسلام على جهة التقرب به والتشرع، وعلى هذا يستقيم تعييرهم وتنقصهم بأن شرعهم وصلاتهم وعبادتهم لم تكن رهبة ولا رغبة، إنما كانت مكاء وتصدية من نوع

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ٢/ ١١٤، وانظر تفسير القرآن للسمعاني ٢/ ٢٦٣ .

(٢) انظر جامع البيان للطبري ١٣/ ٥٢١، وبحر العلوم ٢/ ٢٠، والبسيط للواحدي ١٠/ ١٤٠، ومعالم التنزيل ٢/ ٢٩١، ومفاتيح الغيب ١٥/ ٤٨١، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٢، والجامع لأحكام القرآن ٧/ ٤٠٠، والجواهر الحسان ٣/ ١٣١، ومحاسن التأويل ٥/ ٢٨٧، والمنار ٩/ ٥٤٨، والتفسير الوسيط للطنطاوي ٦/ ٩٣ .

اللعب، ولكنهم كانوا يتزيدون فيها وقت النبي ـ ﷺ ـ ليشغلوه وأمته عن القراءة والصلاة[١]":اهـ

والذي جرى عليه جمهور المفسرين ـ أيضاً ـ أن هذه الآية لم تنزل بمكة، بل نزلت في المدينة مذكرة ببعض ما كان عليه المشركون في مكة مما يجعلهم غير مستحقين لولاية الله ولا ولاية المسجد الحرام، مما يجعلهم مؤهلين لعذاب الله ـ عز وجل ـ، ولهذا ختم الله الآية بقوله : ﴿فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾، وهذا العذاب الذي هددهم الله به هو ما جرى لهم في غزوة بدر من القتل والأسر والهزيمة[٢].

قال ابن عطية ـ رحمه الله ـ :"قوله :﴿فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ إشارة إلى عذابهم ببدر بالسيف، فيلزم من هذا أن هذه الآية الأخيرة نزلت بعد بدر ولا بد . والأشبه أن الكل نزل بعد بدر، حكاية عما مضى، والله ولي التوفيق برحمته[٣]":اهـ

---

(١) المحرر الوجيز ٢/ ٥٢٤ و ٥٢٥، وانظر مفاتيح الغيب ١٥/ ٤٨١، والجامع لأحكام القرآن ٧/ ٤٠٠، والجواهر الحسان ٣/ ١٣١ .

(٢) انظر جامع البيان ١٣/ ٥٢٨، والبسيط للواحدي ١٠/ ١٤٢، ومفاتيح الغيب ١٥/ ٤٨١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٥٠، ومحاسن التأويل ٥/ ٢٨٨، والمنار ٩/ ٥٤٩ .

(٣) المحرر الوجيز ٢/ ٥٢٥، وانظر البحر المحيط ٥/ ٣١٦، والجواهر الحسان ٣/ ١٣١ .

ثم ختمت هذه الآيات السبع بما يؤكد أن السياق كله مدني، فلما انتهى من شرح أحوال هؤلاء الكفار في الطاعات البدنية، أتبعها بشرح أحوالهم في الطاعات المالية، فقال ـ تعالى ـ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾[(١)][(٢)].

وتكاد تتفق كلمة المفسرين على أن المقصود بهذه الآية أصالة ما فعله المشركون بعد هزيمتهم في بدر من جمع المال الكثير للتجهيز لغزو النبي ـ ﷺ ـ والمسلمين في أحد[(٣)].

قال مجاهد : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ «هُوَ نَفَقَةُ أَبِي سُفْيَانَ عَلَى الْكُفَّارِ يَوْمَ أُحُدٍ»[(٤)].

---

(١) سورة الأنفال (٣٦) .

(٢) انظر مفاتيح الغيب ١٥/ ٤٨١، ونظم الدرر ٨/ ٢٧٦، وفتح القدير للشوكاني ٢/ ٣٤٩، والتحرير والتنوير ٩/ ٣٤٠.

(٣) انظر جامع البيان ١٣/ ٥٢٩، وبحر العلوم ٢/ ٢٠، والكشف والبيان ٤/ ٣٥٤، والبسيط للواحدي ١٠/ ١٤٣، ومعالم التنزيل ٢/ ٢٩١، والمحرر الوجيز ٢/ ٥٢٥، ومفاتيح الغيب ١٥/ ٤٨١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٥٣، والمنار ٩/ ٥٤٩ .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣/ ٥٣٢ .

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فِي قَوْلِهِ :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، قَالَ: نَزَلَتْ فِي أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ، اسْتَأْجَرَ يَوْمَ أُحُدٍ أَلْفَيْنِ مِنَ الأَحَابِيشِ[١]، فَقَاتَلَ بِهِمُ النَّبِيَّ - ﷺ -[٢].

وعن قَتَادَةَ قَالَ: قَوْلُهُ:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ.....﴾ الْآيَةَ، لَمَّا قَدِمَ أَبُو سُفْيَانَ بِالْعِيرِ إِلَى مَكَّةَ، أَنْشَدَ النَّاسَ وَدَعَاهُمْ إِلَى الْقِتَالِ حَتَّى غَزَا نَبِيُّ اللهَّ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ، وَكَانَتْ بَدْرٌ فِي رَمَضَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ صَبِيحَةَ سَابِعَ عَشْرَةَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَكَانَتْ أُحُدٌ فِي شَوَّالٍ يَوْمَ السَّبْتِ لِإِحْدَى عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْهُ فِي الْعَامِ الْمُقْبِلِ[٣].

---

(١) الأحابيش : مجموعة من قبائل العرب تحالفوا مع قريش تحت جبل يسمى (حَبَشِياً)، فسموا الأحابيش . انظر العين ٣/ ٩٨، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١/ ٣٣٠ .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣/ ٥٣٠، وابن أبي حاتم في تفسيره ٥/ ١٦٩٧، برقم (٩٠٥٤) .

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣/ ٥٣١ .

وبنحو ما قال مجاهد وابن جبير وقتادة قال ابن أبزى، والحكم بن عتيبة، والسدي، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري، ومحمد بن يحيى بن حبان، وعاصم بن عمر بن قتادة، والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، وعطاء بن دينار . انظر الآثار عن هؤلاء في جامع البيان ١٣/ ٥٣٠ إلى ٥٣٣، وتفسير القرآن لابن أبي حاتم ٥/ ١٦٩٧ إلى ١٦٩٩ .

خلاصة القول : أن هذه الآيات السبع اسْتُثْنِيَت من مدنية سورة الأنفال فقيل : إنها مكية، لأنها تتحدث عن حوادث حدثت في مكة .

والصحيح الذي عليه جمهور العلماء أن هذه الآيات السبع مدنية كسورتها، فقد ثبت أن الآية الأولى منها نزلت بالمدينة لتكون هي وباقي الآيات السبع تتمة لسياقها المدني الذي يُذَكِّر النبيَّ ـ ﷺ ـ والمسلمين بنعمة الله عليهم، حيث أنجاهم وهم بمكة من كثير من مكر المشركين في ذات أنفسهم بالقتل، وفي دينهم بجحود القرآن والسخرية منه، وبجمع المال لحرب المسلمين، كل هذه الحوادث المكية ذَكَّر الله بها المسلمين بآيات نزلت بالمدينة بعد أن مَنَّ الله عليهم بالأمن والاستقرار فيها، ونصرهم على المشركين في بدر وما بعدها من غزوات .

المطلب الثاني

قال الله ـ تعالى ـ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٦٤﴾[1] .

ذكر بعض أهل العلم أن هذه الآية مستثناة من مدنية سورة الأنفال، فهي مكية[2].

ودليلهم على هذا الاستثناء وعلى مكية هذه الآية ما رُوِي أنها نزلت لما أسلم عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ[3].

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : أَسْلَمَ مَعَ النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ تِسْعَةٌ وَثَلَاثُونَ رَجُلًا وَامْرَأَةٌ، وَأَسْلَمَ عُمَرُ تَمَامَ الْأَرْبَعِينَ، فَأَنْزَلَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[4].

---

(١) سورة الأنفال (٦٤) .

(٢) انظر بحر العلوم للسمرقندي ٢/ ٣٠، والتفسير البسيط للواحدي ١٠/ ٢٣١، ودرج الدرر ٢/ ٨٢٥، وتفسير القرآن للسمعاني ٢/ ٢٧٧، وروح المعاني ٥/ ١٤٧، والناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم لابن العربي ٢/ ٢٢٤، والإتقان ١/ ٥٨، والزيادة والإحسان في علوم القرآن لمحمد بن أحمد الحنفي المكي المعروف بعقيلة ١/ ٢٢٥، ط مركز البحوث والدراسات بجامعة الشارقة ـ الإمارات ـ الأولى ١٤٢٧هـ .

(٣) انظر بحر العلوم للسمرقندي ٢/ ٣٠، والبسيط للواحدي ١٠/ ٢٣٠، وتفسير القرآن للسمعاني ٢/ ٢٧٧، روح المعاني ٥/ ١٤٧و ٢٢٦، والإتقان ١/ ٥٨، والزيادة والإحسان ١/ ٢٢٥ .

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٢/ ٦٠، والواحدي في التفسير الوسيط ٢/ ٤٦٩، وفي أسباب النزول ص ٢٤١، من طريق إسحاق بن بشر الكاهلي،

وفي لفظ آخر عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ قَالَ الْمُشْرِكُونَ: قَدِ انْتَصَفَ[1] الْقَوْمُ الْيَوْمَ مِنَّا، وَأَنْزَلَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[2].

ثنا خلف بن خليفة عن أبي هاشم الرماني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.....، وإسحاق بن بشر الكاهلي قال عنه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٢/ ٢١٤ :" كان يكذب، يحدث عن مالك وأبي معشر وغيرهما بأحاديث موضوعة":اهـ . وقال عنه ابن حبان في كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين ١/ ١٣٥ :" كان يضع الحديث على الثقات ويأتي بما لا أصل له عن الأثبات، لا يحل كتب حديثه إلا على جهة التعجب فقط":اهـ .

وذكر هذا الحديث الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٢٨، ثم قال :"رواه الطبراني، وفيه إسحاق بن بشر الكاهلي وهو كذاب":اهـ

أما خلف بن خليفة بن صاعد الواسطي فهو صدوق ولكنه يخطيء كثيراً كما في تاريخ بغداد ٩/ ٢٦٣، وتقريب التهذيب ص ١٩٤ .

(١) يقال : انتصف فلان من فلان، أي : أخذ منه حقه . انظر تهذيب اللغة ١٢/ ١٤٢، ولسان العرب ٩/ ٣٣١ .

(٢) أخرجه البزار كما في كشف الأستار عن زوائد البزار ٣/ ١٧٢، برقم (٢٤٩٥)، فقال : حدثنا عبدالرحمن بن الفضل بن الموفق ثنا الحِمَّانِي أبو يحيى ثنا النضر أبو عمر عن عكرمة عن ابن عباس.....، والحِمَّانِي أبو يحيى هو عبد الحميد بن عبدالرحمن الحماني أبو يحيى، وهو ضعيف كما في المغني في الضعفاء للذهبي ١/ ٣٧٠، والتقريب ص ٣٣٤ .

وقد نوقش هذا الاستثناء هو ودليله من وجهين :

الوجه الأول : ـ أن حديث ابن عباس الذي يدل على نزول الآية بسبب إسلام عمر حديث لا يصح سنداً ولا متناً، أما السند فقد ظهر ما فيه في تخريجه، وأما المتن فلأن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أسلم بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ إلى أرض الحبشة[1].

وكان جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين، سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم، أو ولدوا بها ثلاثة وثمانين رجلاً[2]. فما

والنضر أبو عمر هو النضر بن عبدالرحمن أبو عمر الخزاز، متروك، منكر الحديث كما في التاريخ الكبير للبخاري ٨/ ٩١، والمجروحين لابن حبان ٣/ ٤٩ .

وذكر الحديث الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٦٥، ثم قال :"رواه البزار والطبراني باختصار، وفيه النضر أبو عمر، وهو متروك":اهـ

وأخرجه أحمد بن حنبل في فضائل الصحابة ١/ ٢٤٨، برقم (٣٠٨)، والطبراني في المعجم الكبير ١١/ ٢٥٥، برقم (١١٦٥٩)، والآجري في الشريعة ٤/ ١٨٨١، برقم (١٣٤٨)، كلهم من طريق الحماني به دون ذكر نزول الآية .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٦٢، ثم قال :"رواه الطبراني، وفيه النضر بن عمر، وهو متروك":اهـ

(١) انظر السيرة والمغازي لمحمد بن إسحاق ص ١٨١، والسيرة النبوية لابن هشام ١/ ٣٤٢، ودلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٢٢١، والسيرة النبوية لابن كثير ٢/ ٣٢ .

(٢) انظر سيرة ابن إسحاق ص ٢٢٨، وسيرة ابن هشام ١/ ٣٣٠، والسيرة النبوية لابن كثير ٢/ ٩ .

تذكره الرواية من أنه أسلم قبله تسعة وثلاثون، وكمل به الأربعون غير صحيح[١].

الوجه الثاني : لو سلمنا أن الآية نزلت بسبب إسلام عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ لكان معناها : يا أيها النبي حسبك[٢]الله، أي : يكفيك الله من شر أعدائك، ويكفيك ـ أيضاً ـ مَنِ اتبعك من المؤمنين كعمر بن الخطاب . فـ(مَنِ اتبعك من المؤمنين) معطوفون على لفظ الجلالة، يشاركونه ـ تعالى ـ في الحسب والكفاية لرسول الله ـ ﷺ ـ[٣].

وعَنْ عَبْدِالله بْنِ مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : بَعَثَنَا رَسُولُ اللهَّ ـ ﷺ ـ إِلَى النَّجَاشِيِّ وَنَحْنُ نَحْوٌ مِنْ ثَمَانِينَ رَجُلًا، فَأَتَوُا النَّجَاشِيَّ.....إلى آخر الحديث الطويل في قصة هجرة الحبشة . وقد أخرجه أحمد في المسند ٧/ ٤٠٨، برقم (٤٤٠٠)، وصححه محققه شعيب الأرنؤوط، وسعيد بن منصور في سننه ٢/ ٢٢٧، برقم (٢٤٨١)، والبيهقي في السنن الكبرى ٢/ ٥٠٨، برقم (٣٩١٩)، وفي دلائل النبوة ٢/ ٢٩٧ .

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن ٨/ ٤٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٨٧، وتفسير المنار ١٠/ ٦٥ .

(٢) الحَسْب : الكفاية، فحسب الإنسان هو من يكفيه عن غيره، ولا يحتاج إلى غيره معه ليكفيه . انظر العين ٣/ ١٤٨، وتهذيب اللغة ٤/ ١٩٢، والمفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى ص ٢٣٣، ط دار القلم ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٢هـ .

(٣) ذكر هذا المعنى على ـ سبيل الاحتمال اللغوي في الآية ـ الطبري في جامع البيان ١٤/ ٥٠، والسمرقندي في بحر العلوم ٢/ ٣٠، والسمعاني في تفسير

وهذا المعنى غير صحيح ؛ لأن فيه تسوية بين الله وخلقه في شيء يختص الله به، مثل الحسب والكفاية، وقد صح عن النبي ـ ﷺ ـ أنه نهى أن يقال : ما شاء الله وشئت، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ـ ﷺ ـ : مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ . فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ـ ﷺ ـ : «أَجَعَلْتَنِي لله عَدْلًا[1]؟! بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ»[2][3].

ثم إن إسناد الحكم ـ وهو الحسب والكفاية ـ إلى الله وإلى غير الله يوهم أن حسب الله وكفايته وحده لا يكفي، وتعالى الله عن ذلك ؛ لأن من كان الله ناصره امتنع أن يزداد حاله أو ينقص بسبب نصرة غير الله[4].

القرآن ٢/ ٢٧٧، والبغوي في معالم التنزيل ٢/ ٣٠٨، وابن عطية في المحرر الوجيز ٢/ ٥٤٩ .

ولم أر من اختار هذا المعنى إلا يحيى بن زياد الفراء ـ رحمه الله ـ في كتابه معاني القرآن ١/ ٤١٧، ط دار المصرية للتأليف والترجمة ـ مصر ـ الأولى .

(١) عَدْلُ الشيء : مساويه ونظيره . انظر العين ٢/ ٣٨، وتهذيب اللغة ٢/ ١٢٣ .

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ص ٢٧٤، برقم (٧٨٣)، وابن ماجه في سننه ١/ ٦٨٤، كتاب : الكفارات، باب : النهي أن يقال : ما شاء الله وشئت، برقم (٢١١٧)، وصححه محققه الألباني، وأحمد في المسند ٣/ ٣٣٩، برقم (١٨٣٩)، وصححه محققه الأرنؤوط، و وابن أبي شيبة في مصنفه ٥/ ٣٤٠، برقم (٢٦٦٩١) .

(٣) انظر إعراب القرآن لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس٢/ ١٠٤، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤٢١هـ .

(٤) انظر مفاتيح الغيب ١٥/ ٥٠٣ .

فإن "الحسب"و"الكفاية" لله وحده، كالتوكل والتقوى والعبادة، قال الله ـ تعالى ـ : ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢[1]﴾. ففرق بين الحسب والتأييد، فجعل الحسب له وحده، وجعل التأييد له بنصره وبعباده .

وأثنى الله ـ سبحانه ـ على أهل التوحيد والتوكل من عباده حيث أفردوه بالحسب، فقال ـ تعالى ـ : ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣[2]﴾، ولم يقولو ا : حسبنا الله ورسوله . فإذا كان هذا قولهم، ومدح الرب ـ تعالى ـ لهم بذلك، فكيف يقول لرسوله: الله وأتباعك حسبك، وأتباعه قد أفردوا الرب ـ تعالى ـ بالحسب، ولم يشركوا بينه وبين رسوله فيه، فكيف يشرك بينهم وبينه في حسب رسوله؟! هذا من أمحل المحال وأبطل الباطل.

ونظير هذا قوله ـ تعالى ـ :﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ٥٩[3]﴾، حيث علمهم الله ـ تعالى ـ أن يسندوا الإعطاء من الصدقات إلى الله؛ لأنه المعطي الذي فرض الصدقات وأوجبها، وإلى رسوله؛ لأنه هو الذي يقسمها، وأن يسندوا كفاية الإحساب إلى الله وحده، فتأمل كيف جعل الإيتاء لله

---

(١) سورة الأنفال (٦٢) .

(٢) سورة النساء (١٧٣) .

(٣) سورة التوبة (٥٩) .

ولرسوله، وجعل الحسب له وحده، فلم يقل : وقالوا : حسبنا الله ورسوله، بل جعله الله خالص حقه، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾، ولم يقل : وإلى رسوله، بل جعل الرغبة إليه وحده، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝﴾[1]، فالرغبة والتوكل والإنابة والحسب والمشيئة لله وحده، كما أن العبادة والتقوى والسجود لله وحده.

ونظير هذا قوله ـ تعالى ـ : ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾[2] . إذ لا يكفي العباد إلا ربهم وخالقهم، ولا سيما الكفاية الكاملة التي يعبر عنها بحسبك، أي التي يقول فيها المَكْفِي : حسبي حسبي . فالحسب : هو الكافي، فأخبر ـ سبحانه وتعالى ـ أنه وحده كاف عبده .

فأنبياء الله ورسله أولى بهذا؛ لأنهم أكمل توحيداً وتوكلاً من غيرهم، فضلاً عن خاتمهم وأفضلهم ـ ﷺ ـ، لا سيما بعد وعد الله ـ تعالى ـ إياه بهذه الكفاية، فكيف يجعل أتباعه مع الله في هذه الكفاية؟![3].

---

(١) سورة الشرح (٧ و ٨) .

(٢) سورة الزمر (٣٦) .

(٣) انظر زاد المعاد في هدي خير العباد لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية ١/ ٣٨، ط مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ و مكتبة المنار الإسلامية ـ الكويت ـ السابعة والعشرون ١٤١٥هـ ١٩٩٤م، ومحاسن التأويل للقاسمي ٥/ ٣٢٠، والمنار في التفسير ١٠/ ٦٤، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ٢/ ١٠٤، ط دار الفكر

وعليه، فالمعنى الصحيح للآية : يا أيها النبي يكفيك الله وحده، والله وحده يكفي أتباعك من المؤمنين، فيما تواجهونه من كيد الكفار لكم ومحاربتهم إياكم[1].

خلاصة القول : أن الآية محل البحث اسْتُثْنِيَت من مدنية سورة الأنفال بناء على أنها نزلت بسبب إسلام عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ .

والصحيح أنها مدنية كسورتها، لأن حديث نزولها بسبب إسلام عمر لا يصح . ثم إن جعلَ إسلام عمر سبباً لنزول الآية يترتب عليه معنى غير صحيح، وهو أن الله حَسْبُ النبي ـ ﷺ ـ وكافيه، وكذلك المؤمنون هم حَسْبُ النبي وكافيه مع الله ـ عز وجل ـ .

وهذا المعنى لا يتفق مع صريح التوحيد لله ـ تعالى ـ ؛ لأن فيه تسوية بين الله وخلقه في شيء يختص الله به، ويوهم أن حسب الله وكفايته وحده لا يكفي، ثم إن الحسب والكفاية والمشيئة لله وحده، كالتوكل والتقوى والعبادة، كل ذلك لا يُسْنَد إلا لله ـ تعالى ـ .

للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ ١٤١٥هـ ١٩٩٥م، والتفسير الوسيط للطنطاوي ٦/ ١٥٠ .

(١) انظر تفسير القرآن لمقاتل بن سليمان ٢/ ١٢٤، وجامع البيان ١٤/ ٤٨ و ٤٩، وتأويلات أهل السنة ٥/ ٢٥٤، والكشف والبيان ٤/ ٣٧٠، وتفسير القرآن للسمعاني ٢/ ٢٧٧، ومعالم التنزيل ٢/ ٣٠٨، والمحرر الوجيز ٢/ ٥٤٩، وزاد المسير ٢/ ٢٢٢، ومفاتيح الغيب ١٥/ ٥٠٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٨٦، والمنار ١٠/ ٦٤، والتحرير والتنوير ١٠/ ٦٥، وأضواء البيان ٢/ ١٠٤، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٠٤ .

الفصل الرابع
سورة التوبة

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : نزول سورة التوبة .

المبحث الثاني : الآيات المستثناة من سورة التوبة .

المبحث الأول
نزول سورة التوبة

سورة التوبة سورة مدنية، نزلت على رسول الله ـ ﷺ ـ بعد الهجرة .

والروايات التسع التي ذكرتها في الجزء الأول من هذه الرسالة، في مبحث "الروايات التي عددت المكي والمدني" أجمعت على أن سورة التوبة مدنية[١].

ويدل على مدنية سورة التوبة أدلة :

الدليل الأول : ما صح من أسباب نزول كثير من آيات سورة التوبة واضح الدلالة على أن هذه الآيات نزلت بسبب أسئلة أو حوادث حدثت بالمدينة بعد هجرة النبي ـ ﷺ ـ[٢].

---

(١) انظر المكي والمدني في القرآن الكريم دراسة تأصيلية ودراسة نقدية لنزول السور والآيات المستثناة من كل سورة من أول سورة الفاتحة حتى آخر سورة المائدة، وهو بحث لي نُشِر في مجلة الدراية التي تصدرها كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق، العدد السابع عشر سنة ٢٠١٧م، المجلد الثالث ص ٥٢٣ ـ ٥٤٤.

(٢) انظر أسباب نزول كثير من آيات سورة التوبة في أسباب نزول القرآن للواحدي ص ٢٤٣ ـ ٢٦٣، ولباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ص

الدليل الثاني : ـ إجماع العلماء على أن سورة التوبة مدنية نزلت بعد الهجرة، ولم يخالف في هذا أحد[١].

بل صرح جمع من أهل العلم أن سورة التوبة هي آخر سورة نزلت على رسول الله ـ ﷺ ـ[٢].

---

١٠٢ ـ ١١٤، والصحيح المسند من أسباب النزول لمقبل بن هادي الوادعي ص ١٠٦ ـ ١١٧.

(١) كل ما بحثت فيه من كتب التفسير وكتب علوم القرآن نصت على مدنية سورة التوبة . انظر ـ على سبيل المثال ـ تفسير مقاتل بن سليمان ٢/ ١٥٣، وبحر العلوم ٢/ ٣٧، والكشف والبيان ٥/ ٥، والوسيط للواحدي ٢/ ٤٧٥، ودرج الدرر ٢/ ٨٥٧، وتفسير القرآن للسمعاني ٢/ ٢٨٤، ومعالم التنزيل ٢/ ٣١٣، والمحرر الوجيز ٣/ ٣، وأنوار التنزيل للبيضاوي ٣/ ٧٠، ومدارك التنزيل للنسفي ١/ ٦٦١، والبحر المحيط ٥/ ٣٦٥، والجواهر الحسان ٣/ ١٦١، وإرشاد العقل السليم ٤/ ٣٩، والبيان في عد آي القرآن ص ١٦٠، والبرهان في علوم القرآن ١/ ١٩٤.

وانظر نَقْلَ الإجماع على أن سورة التوبة مدنية في : زاد المسير ٢/ ٢٣٠، وتفسير القرآن للعز بن عبدالسلام ٢/ ٥، والجامع لأحكام القرآن ٨/ ٦١، وعناية القاضي وكفاية الراضي (حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي) ٤/ ٢٩٤، وفتح القدير للشوكاني ٢/ ٣٧٨، ومحاسن التأويل ٥/ ٣٤٢، والمنار ١٠/ ١٣١، والتحرير والتنوير ١٠/ ٩٧.

(٢) انظر التفسير الوسيط للواحدي ٢/ ٤٧٥، وتفسير القرآن للسمعاني ٢/ ٢٨٤، وأنوار التنزيل للبيضاوي ٣/ ٧٠، وتفسير القرآن العظيم لابن

قال الطاهر بن عاشور :"هذه السورة ـ يعني سورة التوبة ـ آخر السور نزولاً عند الجميع، فهي السورة الرابعة عشرة بعد المائة في عداد نزول سور القرآن[1]":اهـ

قلت : ويدل على هذا حديث البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ:"آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ بَرَاءَةٌ[2].

كثير ٤/ ١٠١، والتفسير الوسيط للطنطاوي ٦/ ١٧٨، والتفسير المنير للزحيلي ١٠/ ٩٣، والناسخ والمنسوخ للنحاس ص ٤٧٧، والبرهان في علوم القرآن ١/ ١٩٤.

(١) التحرير والتنوير ١٠/ ٩٧ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٥/ ١٦٧، كتاب : المغازي، باب : حج أبي بكر بالناس في سنة تسع، برقم (٤٣٦٤)، ومسلم في صحيحه ٣/ ١٢٣٧، كتاب: الفرائض، باب : آخر آية نزلت آية الكلالة، برقم (١٦١٨)، وأحمد في المسند ٣٠/ ٥٩٥، برقم (١٨٦٣٨) .

وقد جاء في آخر ما نزل من السور حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ أَنَّ آخِرَ سُورَةٍ نَزَلَتْ سُورَةُ الْمَائِدَةِ .

أخرجه الترمذي في سننه ٥/ ٢٦١، كتاب : تفسير القرآن، باب : ومن سورة المائدة، برقم (٣٠٦٣)، والحاكم في المستدرك ٢/ ٣٤٠، برقم (٣٢١١)، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٧/ ٢٧٨، برقم (١٣٩٧٩) .

وحديث عُبَيْدِ الله بْنِ عَبْدِ الله بْنِ عُتْبَةَ قَالَ : قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ : تَعْلَمُ آخِرَ سُورَةٍ نَزَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ، نَزَلَتْ جَمِيعًا؟ قُلْتُ : «نَعَمْ، : ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١.....﴾ سورة النصر . قَالَ : صَدَقْتَ .

أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٣١٨، كتاب : التفسير، برقم (٣٠٢٤)، وابن أبي شيبة في المصنف ٧/ ٢٦٠، برقم (٣٥٨٨٣) .

ولا تناقض بين هذه الأحاديث، حيث دلت جميعها على أن سورة المائدة، والتوبة، والنصر آخر ما نزل من السور .

فسورة النصر هي آخر سورة نزلت كاملة، كما صرح بذلك حديث ابن عباس : تَعْلَمُ آخِرَ سُورَةٍ نَزَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ، نَزَلَتْ جَمِيعًا؟.....

أما سورة المائدة وسورة التوبة فالآخرية ليست بالنظر إلى السورة بتمامها، حيث نزلت كلتاهما في مناسبات متعددة، وبهذا يتعين أن المراد بالآخرية الجزء الأكبر الذي تم نزول كل منهما به، وأن معظم كل واحدة منهما من أواخر القرآن نزولاً .

فسورة التوبة نزل أولها في سنة تسع عقب فتح مكة لأن رسول الله ـ ﷺ ـ بعث علياً ـ رضي الله عنه ـ بسورة التوبة في الحجة التي حجها أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ بالناس قبل حجة الوداع، فقرأها على الناس حتى ختمها، ونزل كثير من آياتها في غزوة تبوك في السنة التاسعة من الهجرة .

وبعض آيات سورة المائدة نزلت في السنين الأولى بعد الهجرة، ومعظمها نزل متأخراً، وآية ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ سورة المائدة (٣) نزلت في حجة الوداع سنة عشر .

الدليل الثالث : ـ القضايا التي تحدثت عنها سورة التوبة هي قضايا خصائص السور المدنية، فمحور السورة يدور على أمرين : **الأول** : أحكام جهاد المشركين وأهل الكتاب . **والثاني** : تمييز المؤمنين عن المنافقين بصدد غزوة تبوك .

أما أحكام الجهاد فقد مهد لها القرآن الكريم في هذه السورة بنبذ العهود والأمان بالنسبة للمشركين، وإنهاء المعاهدات التي كانت قائمة بين المسلمين وأهل الكتاب ؛ لأن كلاً من المشركين والكتابيين نقضوا العهود، وتواطأت طوائف اليهود مع المشركين على محاربة المسلمين ومحاولة القضاء عليهم .

وتحدثت نحو من عشرين آية عن أحقاد اليهود ودسائسهم ومؤامراتهم، وخبثهم وكيدهم، فلا عهد ولا أمان، ولا سلم ولا مصالحة بعد انتهاء أمد الأمان، ونقض العهود من غير المسلمين .

انظر شرح مشكل الآثار لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي ٦/ ٣٠٥، ط مؤسسة الرسالة الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٤م، و الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ٣٥٨، وجمال القراء وكمال الإقراء ١/ ١١٦، وفتح الباري للحافظ ابن حجر ٨/ ٣١٦، و ٨/ ٧٣٤، ومناهل العرفان ١/ ٩٩، والمدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبة ص ١٢٣ .

وأما الأمر الثاني فكان بسبب استنفار المسلمين لغزو الروم في غزوة تبوك، وقد أوضحت الآيات في القسم الأعظم من هذه السورة نفسيات المسلمين، وظهور عوارض التثاقل والتخلف والتثبيط، ومراوغة المنافقين، ودسائسهم الماكرة، وتعريتهم بشكل فاضح، حتى سميت السورة (الفاضحة) لأنها فضحت المنافقين، ولم تدع لهم ستراً إلا هتكته .

والخلاصة : أن هذه السور كانت سورة الحسم الكامل لأوضاع غير المسلمين، وربما كانت أخطر سورة حشدت جيش الإيمان وأعدته للمعركة الفاصلة النهائية بين المسلمين وغيرهم، سواء في داخل الدولة بتصفية جذور النفاق، والقضاء على مكر اليهود، أو في خارج الدولة بالتصدي لغطرسة الروم في غزوة تبوك التي أرهبتهم، وجَمَّدت كلَّ تحركاتهم المشبوهة للقضاء على الإسلام والمسلمين.

وكان لهذه التصفية الأثر الأكبر في استقرار دولة الإسلام، والحفاظ على كيانها بين الدول، وإظهار هيبتها ومنعة وجودها، بعد انتقال مؤسسها وقائدها النبي ـ ﷺ ـ إلى الرفيق الأعلى[1].

خلاصة القول : أن سورة التوبة مدنية، بدليل ما صح من أسباب نزول كثير من آياتها أنها نزلت بسبب أسئلة أو حوادث حدثت بالمدينة

---

(١) انظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٨/ ٣٦١، وتفسير المنار ١٠/ ١٣٢، والتحرير والتنوير ١٠/ ٩٩، والتفسير المنير للزحيلي ١٠/ ٩٤ .

بعد هجرة النبي ـ ﷺ ـ، وقد أجمع أهل العلم على مدنيتها، وهي من آخر القرآن نزولاً، ثم إن القضايا التي تحدثت عنها السورة هي قضايا القرآن المدني، حيث قررت أحكام جهاد المشركين وأهل الكتاب، ومواقف المسلمين والمنافقين في أثناء غزوة تبوك وقبلها وبعدها .

المبحث الثاني
الآيات المستثناة من سورة التوبة
المطلب الأول

قال الله ـ تعالى ـ : ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾[1]﴾.

لم أر من العلماء من استثنى هذه الآية من مدنية سورة التوبة، أو حكم بأنها مكية، إلا ما نقله السيوطي ـ رحمه الله ـ عن بعضهم فقال :"استثنى بعضهم:﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ.....﴾ الآية؛ لما ورد أنها نزلت في قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ لأبي طالب : لأستغفرن لك ما لم أُنه عنك[2]":اهـ

والسيوطي ومن نقل عنهم ـ رحمهم الله ـ يشيرون إلى حديثين :

الحديث الأول : ـ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: أَخْبَرْتُ رَسُولَ اللهَّ ـ ﷺ ـ بِمَوْتِ أَبِي طَالِبٍ فَبَكَى ثُمَّ قَالَ: اذْهَبْ فَاغْسِلْهُ وَكَفِّنْهُ وَوَارِهِ[3]،غَفَرَ اللهُّ لَهُ وَرَحِمَهُ. قَالَ: فَفَعَلْتُ مَا قَالَ. وَجَعَلَ رَسُولُ اللهَّ ـ ﷺ ـ يَسْتَغْفِرُ لَهُ أَيَّامًا، وَلا يَخْرُجُ من بيته حتى نزل عليه جبريل بِهَذِهِ الآيَةِ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ﴾[4].

---

(١) سورة التوبة (١١٣).

(٢) الإتقان ١/ ٥٨، ونقل كلام السيوطي القاسمي في محاسن التأويل ٥/ ٣٤٢، ورشيد رضا في المنار ١٠/ ١٣١، والطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير ١٠/ ٩٧.

(٣) وَارِه : ادفنه. انظر العين ٨/ ٣٠٠.

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ١/ ٩٩، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٦/ ٣٣٦، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٠١، ولم يعزه

قال الآلوسي ـ رحمه الله ـ بعد أن ذكر هذا الحديث :"إنه ظاهر في أن النزول قبل الهجرة؛ لأن عدم الخروج من البيت فيه مغيًا به، اللهم إلا أن يقال بضعف الحديث، لكن لم نر من تعرض له[1]":اهـ

قلت : القول بضعف الحديث ـ بل ببطلانه ـ حتم لازم؛ لوجود الواقدي في سنده، وقد ظهر في تخريجه ما فيه من مطاعن.

الحديث الثاني : ـ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ

لغيرهما. قال ابن سعد :"أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ قَالَ: حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْ عَلِيٍّ.....":اهـ ومحمد بن عمر هو الواقدي صاحب السيرة. قال عنه ابن حبان : كان يروي عن الثقات المقلوبات، وعن الأثبات المعضلات، حتى ربما سبق إلى القلب أنه كان المتعمد لذلك، وكان أحمد بن حنبل يكذبه. وسئل عنه أبو زرعة الرازي فقال : ترك الناس حديثه. وقال عنه ابن حجر : متروك مع سعة علمه. انظر المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين لابن حبان ٢/ ٢٩٠، وتاريخ دمشق لابن عساكر ٥٤/ ٤٥٨، والتقريب ص ٤٩٨. وانظر كتاب نزهة الألباب في قول الترمذي «وفي الباب» لأبي الفضل الحسن بن محمد بن حيدر الوائلي الصنعاني ٣/ ١٦٠٨، ط دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع ـ المملكة العربية السعودية ـ الأولى ١٤٢٦هـ حيث قال المؤلف :"الراوي عن معاوية هو الواقدي، كذاب كما قال أحمد وغيره":اهـ

(١) روح المعاني ٦/ ٣٢.

فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ وَعَبْدَ اللهَّ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، قَالَ رَسُولُ اللهَّ ـ ﷺ ـ لِأَبِي طَالِبٍ:"يَا عَمِّ، قُلْ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُّ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهَّ"فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللهَّ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهَّ ـ ﷺ ـ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيَعُودَانِ بِتِلْكَ الْمَقَالَةِ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ـ ﷺ ـ : «أَمَا وَاللهَّ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ» فَأَنْزَلَ اللهُّ ـ تَعَالَى ـ فِيهِ:﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ.....﴾الآيَةَ، ونزلت:﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ.....(١)﴾(٢).

وهذا الحديث في أعلى درجات الصحة، لكن المحققين من العلماء ردوا على الاستدلال به على مكية الآية محل البحث من وجهين :

---

(١) ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ سورة القصص (٥٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٢/ ٩٥، كتاب : الجنائز، باب : إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله، برقم (١٣٦٠)، والنسائي في سننه ٤/ ٩٠، كتاب : الجنائز، باب : النهي عن الاستغفار للمشركين، برقم (٢٠٣٥)، وأحمد في المسند ٣٩/ ٧٨، برقم (٢٣٦٧٤)، والحاكم في المستدرك ٢/ ٣٦٦، برقم (٣٢٩١).

الوجه الأول : سورة التوبة من آخر ما نزل من القرآن، ومات أبو طالب في عنفوان الإسلام والنبي ـ ﷺ ـ بمكة، ففي الحديث إشكال[١].

وجواب هذا الإشكال أنه لما مات أبوطالب استمر النبي ـ ﷺ ـ في الدعاء له حتى زار قبر أمه بعد غزوة تبوك بعد الهجرة، فقال: إنى استأذنت ربى في زيارة قبر أمي فأذن لي، واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي، فنزلت هذه الآية، فترك رسول الله ـ ﷺ ـ الاستغفار لأبي طالب، فالآية متأخرة في النزول، ولم تنزل بعد وفاة أبي طالب مباشرة[٢].

قال صاحب المنار :"أكثر ما رُوِي في أسباب النزول كان يراد به أن الآية نزلت في حكم كذا. أعني أن الرواة كانوا يذكرونها كثيراً في مقام الاستدلال، وهذا لا يدل على نزولها وحدها، ولا على كون النزول كان عند حدوث ما استدل بها عليه، كما قلنا آنفاً[٣]في احتمال نزول آية

---

(١) انظر الكشف والبيان ٥/ ٩٩، والبسيط للواحدي ١١/ ٧٤، وفتح الباري ٨/ ٥٠٨.

(٢) انظر درج الدرر في تفسير الآي والسور لعبدالقاهر الجرجاني ٢/ ٩٢٥، والكشاف ٢/ ٣١٥، والمحرر الوجيز ٣/ ٩٠، ومفاتيح الغيب ١٦/ ١٥٧، والتسهيل لعلوم التنزيل ١/ ٣٤٩، ولباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ٢/ ٤١١، والبحر المحيط ٥/ ٥١٢، والجواهر الحسان للثعالبي ٣/ ٢٢١.

(٣) قال هذا وقرره عند تفسير آية سورة الأنعام (٧٤) :﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾ . انظر تفسير المنار ٧/ ٤٥٣.

استنكار الاستغفار للمشركين في المدينة، وإن كان ما ذكروه من سببها حدث بمكة قبل الهجرة[١]":اهـ

ويدل على تأخر نزولها حديث عَبْدِ اللهَّ بْنِ مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ ـ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهَّ ـ ﷺ ـ يَنْظُرُ فِي الْمَقَابِرِ، وَخَرَجْنَا مَعَهُ، فَأَمَرَنَا فَجَلَسْنَا، ثُمَّ تَخَطَّا الْقُبُورَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَبْرٍ مِنْهَا فَنَاجَاهُ طَوِيلًا، ثُمَّ ارْتَفَعَ نَحِيبُ رَسُولِ اللهَّ ـ ﷺ ـ بَاكِيًا، فَبَكَيْنَا لِبُكَائِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَيْنَا فَتَلَقَّاهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهَّ، مَا الَّذِي أَبْكَاكَ فَقَدْ أَبْكَانَا، وَأَفْزَعَنَا، فَجَاءَ فَجَلَسَ إِلَيْنَا فَقَالَ:«أَفْزَعَكُمْ بُكَائِي؟» فَقُلْنَا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهَّ. فَقَالَ:"إِنَّ الْقَبْرَ الَّذِي رَأَيْتُمُونِي أُنَاجِي فِيهِ، قَبْرُ أُمِّي آمِنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ وَإِنِّي اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي زِيَارَتِهَا، فَأَذِنَ لِي فِيهِ، فَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي الِاسْتِغْفَارِ لَهَا، فَلَمْ يَأْذَنْ لِي فِيهِ، وَنَزَلَ عَلَيَّ:﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ.....﴾ حَتَّى خَتَمَ الْآيَةَ ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ.....[٢]﴾، فَأَخَذَنِي مَا يَأْخُذُ الْوَلَدَ لِوَالِدِهِ مِنَ الرِّقَةِ فَذَلِكَ الَّذِي أَبْكَانِي[٣].

---

(١) المنار١٠/ ١٣١، ونقله عنه الإمام الأكبر محمد سيد طنطاوي في التفسير الوسيط ٦/ ١٧٨، وانظر فتح الباري ٨/ ٥٩١.

(٢) سورة التوبة (١١٤).

(٣) أخرجه عبدالرزاق الصنعاني في مصنفه ٣/ ٥٧٢، برقم (٦٧١٤)، وابن حبان في صحيحه ٣/ ٢٦١، كتاب : الرقائق، باب : ذكر ما يستحب للمرء أن يترك الاستغفار لقرابته المشركين أصلاً، برقم (٩٨١)، والحاكم في

ويشهد لهذا الحديثِ، ويدل على أن هذه الواقعة ونزول هذه الآية فيها كان بعد غزوة تبوك بعد الهجرة حديثُ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ الله ـ ﷺ ـ لَمَّا أَقْبَلَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكٍ وَاعْتَمَرَ، فَلَمَّا هَبَطَ مِنْ ثَنِيَّةِ عُسْفَانَ أَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَسْتَنِدُوا إِلَى الْعَقَبَةِ(١) حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكُمْ، فَذَهَبَ فَنَزَلَ عَلَى قَبْرِ أُمِّهِ فَنَاجَى رَبَّهُ طَوِيلًا، ثُمَّ إِنَّهُ بَكَى فَاشْتَدَّ بُكَاؤُهُ، وَبَكَى هَؤُلَاءِ لِبُكَائِهِ وَقَالُوا: مَا بَكَى رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ بِهَذَا الْمَكَانِ إِلَّا وَقَدْ أَحْدَثَ فِي أُمَّتِهِ شَيْئًا لَا يُطِيقُهُ، فَلَمَّا بَكَى هَؤُلَاءِ قَامَ فَرَجَعَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: «مَا يُبْكِيكُمْ؟» قَالُوا: يَا نَبِيَّ الله بَكَيْنا لِبُكائِكَ، قُلْنَا: لَعَلَّهُ أَحْدَثَ فِي أُمَّتِكَ شَيْئًا لَا يُطِيقُهُ قَالَ:"لَا، وَلَكِنْ نَزَلْتُ عَلَى قَبْرِ أُمِّي فَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ

المستدرك ٢/ ٣٦٦، برقم (٣٢٩٢) وقال «صحيح على شرطهما ولم يخرجاه هكذا بهذه السياقة»، و والبيهقي في دلائل النبوة ١/ ١٨٩، وابن أبي حاتم في تفسيره ٦/ ١٨٩٣، برقم (١٠٠٥١). كلهم من طريق أيوب بن هانيء، وهو صدوق فيه لين كما قال ابن حجر في تقريب التهذيب ص ١١٩.

(١) العَقَبَة : الجبل المرتفع وحوله منخفض من كل النواحي. انظر العين ١/ ١٧٨.

والثَّنِيَّة : أعلى ميل في رأس جبل يُرَى من بعيد فيعرف، وكل عقبة في جبل أو طريق عال فيه تسمى ثنية. انظر العين ٨/ ٢٤١، وفتح الباري لابن حجر ٣/ ٤٣٧.

وعُسْفَان : وادي على الطريق بين مكة والمدينة. انظر معجم البلدان لياقوت ٤/ ١٢١.

يَأْذَنَ لِي فِي شفاعَتِها يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَبَى اللهُ أَنْ يَأْذَنَ لِي، فَرَحِمْتُهَا وَهِيَ أُمِّي فَبَكَيْتُ، ثُمَّ جَاءَنِي جِبْرِيلُ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ فَقَالَ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾، فَتَبَرَّأَ أَنْتَ مِنْ أُمِّكَ كَمَا تَبَرَّأَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ أَبِيهِ، فَرَحِمْتُهَا وَهِيَ أُمِّي[1].

:"فهذا يعارض أنها نزلت بمكة، ولا يمكن الجمع بتعداد النزول؛ لكونه يبعد للنبي ـ ﷺ ـ بعد أن يُنْهَى في قضية أبي طالب يسأل[2]":

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١١/ ٣٧٤، برقم (١٢٠٤٩)، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة ١٢/ ١٢٦، وفي سنده إسحاق بن عبدالله بن كيسان، ضعيف كما في المجروحين لابن حبان ١/ ١٣١، وتهذيب الكمال ٢/ ٤٤٦. وهذا الحديث والذي قبله كل منهما يشهد للآخر، ويجعله صالحاً للاحتجاج، كما فعل ذلك الحافظ ابن حجر حيث قال :"قد ثبت أن النبي ـ ﷺ ـ أتى قبر أمه لما اعتمر فاستأذن ربه أن يستغفر لها فنزلت هذه الآية": يعني الآية محل البحث. ثم ذكر عدة روايات لنزول النبي ـ ﷺ ـ على قبر أمه لما اعتمر بعد تبوك فاستأذن ربه أن يستغفر لها فنزلت الآية، ثم قال :"فهذه طرق يعضد بعضها بعضاً، وفيها دلالة على تأخير نزول الآية عن وفاة أبي طالب":اهـ فتح الباري ٨/ ٥٠٨.

(٢) الزيادة والإحسان في علوم القرآن لمحمد بن أحمد الحنفي المكي المعروف بعقيلة١/ ٢٢٧.

قال ابن حجر :"الترجيح أن نزولها كان متراخياً عن قصة أبي طالب جداً، وأن الذي نزل في قصته:﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[١]":اهـ

وقال في موضع آخر:"يحتمل أن يكون نزول الآية تأخر وإن كان سببها تقدم، ويكون لنزولها سببان : متقدم وهو أمر أبي طالب، ومتأخر وهو أمر آمنة[٢]."":اهـ

وقال الآلوسي :"لا يراد بقوله:"فنزلت" في الخبر[٣]أن النزول كان عقيب القول، بل يراد أن ذلك سبب النزول، فالفاء فيه للسببية لا للتعقيب. واعتمد على هذا التوجيه كثير من جلة العلماء، وهو توجيه وجيه[٤]":اهـ[٥].

---

(١) فتح الباري ٨/ ٣٣٩.

(٢) فتح الباري ٨/ ٥٠٨.

(٣) يعني : في حديث البخاري وغيره عن سعيد بن المسيب عن أبيه في قصة موت أبي طالب وامتناعه عن قول: لا إله إلا الله.

(٤) روح المعاني ٦/ ٣٢، وانظر التفسير الوسيط للطنطاوي ٦/ ٤١٥.

(٥) قلت : قد دلت بعض الآثار على أن هذه طريقة من طرق المفسرين من سلف الأمة، ففي تفسير قول الله ـ تعالى ـ :﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ.....﴾ سورة البقرة (٥٩) أخرج الطبري وابن أبي حاتم عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ :"﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ سورة البقرة (٥٨) قَالُوا: حِنْطَةٌ حَمْرَاءُ فِيهَا شَعِيرَةٌ. فَأَنْزَلَ اللهُّ:﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾. أخرجه بهذا اللفظ ابن جرير الطبري في

وقد قرر بعض أهل العلم أن الذي نزل بسبب أبي طالب هو آية سور القصص، وهي قول الله ـ تعالى ـ : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾(١).

ويوضح هذا الرواية الأخرى لقصة وفاة أبي طالب من حديث الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ، جَاءَهُ رَسُولُ اللهِّ ـ ﷺ ـ فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ، وَعَبْدَ اللهِّ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ.....إلى أَن قال : قَالَ رَسُولُ اللهِّ ـ ﷺ ـ «وَاللهِّ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ» فَأَنْزَلَ اللهُّ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ﴾،وَأَنْزَلَ اللهُّ فِي أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللهِّ ـ ﷺ ـ : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾(٢).

تفسيره ٢/ ١١٣، وابن أبي حاتم في تفسيره ٥/ ١٥٩٦، برقم (٨٤٣٣). ومعلوم أنه كان بين تبديل بني إسرائيل للقول الذي أُمِروا به وبين نزول الآية في القرآن زمن طويل، ومع هذا قال ابن مسعود :..... فَأَنْزَلَ اللهُّ: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾. والله أعلم.

(١) انظر لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ٢/ ٤١١.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ البخاري في صحيحه ٦/ ١١٢، كتاب : تفسير القرآن، باب : قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾، برقم (٤٧٧٢)، ومسلم في صحيحه ١/ ٥٤، كتاب : الإيمان، باب : أول الإيمان قول : لا إله إلا الله، برقم (٩٣)، وأبوعوانة في مستخرجه ١/ ٢٤، برقم

قال ابن حجر ما خلاصته : إن هذا الحديث يدل على أن آية : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ نزلت بسبب قصة أبي طالب، أما آية :﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ فقد نزلت بعد أبي طالب بمدة، وهي عامة في حقه وفي حق غيره. ثم استدل على هذا بحديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ ـ ﷺ ـ لِعَمِّهِ:«قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُّ. أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يَوْمَ القِيَامَةِ» فَقَالَ: لَوْلَا أَنَّ تُعَيِّرَنِي بِهَا قُرَيْشٌ أَنَّ مَا يَحْمِلُهُ عَلَيْهِ الْجَزَعُ[1] لَأَقْرَرْتُ بِهَا عَيْنَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُّ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ :﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾[2][3].

الوجه الثاني : ـ وهو تتمة للوجه الأول ومبني عليه، وخلاصته أنه يوجد أكثر من سبب لنزول الآية : فنزلت بعد مدة طويلة من استغفار النبي ـ ﷺ ـ لعمه أبي طالب، وبسبب طلب الإذن من النبي ـ ﷺ ـ

---

(٢٢)، والطحاوي في مشكل الآثار ٦/ ٢٨٣، برقم (٢٤٨٤)، والبغوي في شرح السنة ٥/ ٥٥، برقم (١٢٧٤).

(١) الجَزَع : نقيض الصبر. انظر العين ١/ ٢١٧.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٥٥، كتاب : الإيمان، باب : أول الإيمان قول : لا إله إلا الله، برقم (٤٢)، والترمذي في سننه ٥/ ٣٤١، كتاب : تفسير القرآن، باب : ومن سورة القصص، برقم (٣١٨٨)، وأحمد في المسند ١٥/ ٣٧٤، برقم (٩٦١٠).

(٣) انظر فتح الباري ٧/ ١٩٥، و٨/ ٣٣٩، و٨/ ٥٠٨.

للاستغفار لأمه، وبسبب استغفار بعض المسلمين لآبائهم المشركين فنهوا عن هذا[١].

أما نزولها بسبب أبي طالب، وبسبب طلب الإذن من النبي ـ ﷺ ـ للاستغفار لأمه فقد تقدم ما يدل عليه، وأما نزولها بسبب استغفار بعض المسلمين لآبائهم المشركين فيدل عليه حديث عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ:"سَمِعْتُ رَجُلًا يَسْتَغْفِرُ لِأَبَوَيْهِ وَهُمَا مُشْرِكَانِ، فَقُلْتُ لَهُ: أَتَسْتَغْفِرُ لِأَبَوَيْكَ وَهُمَا مُشْرِكَانِ؟! فَقَالَ: أَوَلَيْسَ اسْتَغْفَرَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَهُوَ مُشْرِكٌ. فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ـ ﷺ ـ فَنَزَلَتْ :﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ﴾[٢].

---

(١) انظر الوجيز للواحدي ص ٤٨٣، ومحاسن التأويل ٥/ ٥١٥، والمنار ١١/ ٤٧، والناسخ والمنسوخ للنحاس ص ٥٥٠.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ٥/ ٢٨١، كتاب : تفسير القرآن، باب : ومن سورة التوبة، برقم (٣١٠١)، وحسنه محققه أحمد محمد شاكر، والنسائي في سننه ٤/ ٩١، كتاب : الجنائز، باب : النهي عن الاستغفار للمشركين، برقم (٢٠٣٦)، وأحمد في المسند ٢/ ١٦٢، برقم (٧٧١)، وحسنه محققه شعيب الأرنؤوط، والحاكم في المستدرك ٢/ ٣٦٥، برقم (٣٢٨٩)، وقال :" «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» وقال الذهبي : صحيح. وأبو يعلى الموصلي في مسنده ١/ ٤٥٧، برقم (٦١٩) وحسنه محققه حسين سليم أسد. وقال البوصيري :"رواه أبو يعلى الموصلي بسند صحيح":اهـ إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن

فلا مانع ـ إذاً ـ من أن يكون لنزول الآية عدة أسباب : متقدم، وهو أمر أبي طالب، ومتأخر، وهو أمر آمنة، وقصة علي مع الرجل المستغفر لأبيه المشرك[١].

قال الطحاوي[٢]ـ رحمه الله ـ :"الله أعلم بالسبب الذي كان فيه نزول ما قد تلونا، غير أنه قد يجوز أن يكون نزول ما قد تلونا بعد أن كان جميع ما ذكرنا من سبب أبي طالب، ومن سبب علي ـ رضي الله عنه ـ فيما كان سمعه من المستغفر لأبويه، ومن زيارة النبي ـ ﷺ ـ قبر أمه، ومن سؤال ربه ـ عز وجل ـ عند ذلك الإذن له في الاستغفار لها، فكان نزول ما تلونا جواباً عن ذلك كله[٣]":اهـ

فإن قيل : أليس مضمون الآية ـ وهو النهي عن الاستغفار للمشركين ولو كانوا أولي قربى ـ يُعَد قرينة على أن الآية مكية؟

إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري ٧/ ٤٢٥، ط دار الوطن للنشر ـ الرياض ـ الأولى ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

(١) انظر فتح الباري ٨/ ٥٠٨، والتفسير المنير لوهبة الزحيلي ١١/ ٥٩.

(٢) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبدالملك بن سلمة المصري، فقيه انتهت إليه رياسة الحنفية بمصر. ولد ونشأ في (طحا) من صعيد مصر، وتفقه على مذهب الشافعي، ثم تحول حنفياً. توفي بالقاهرة سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة من الهجرة . من كتبه : شرح مشكل الآثار، وأحكام القرآن . انظر وفيات الأعيان ١/ ٧١، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٣٦١.

(٣) شرح مشكل الآثار ٦/ ٢٨٦.

قلت : بل الآية جاءت متممة لسياقها المدني الذي بدأ من أول السورة، حيث إنه لما بَيَّن الله ـ تعالى ـ في أول السورة وما بعده: أن البراءة من المشركين والمنافقين واجبة، بَيَّن ـ سبحانه ـ هنا ما يزيد ذلك تأكيداً، وصرح بأن ذلك متحتم، ولو كانوا أولي قربى، وأن القرابة في مثل هذا الحكم لا تأثير لها.

ثم ذكر ـ تعالى ـ أن السبب في استغفار إبراهيم لأبيه، أنه كان لأجل وعد تقدم منه له، وأنه كان قبل أن يتحقق إصراره على الشرك، فلما تبين له ذلك تبرأ منه بالكلية، فضلاً عن الاستغفار له[1].

خلاصة القول : أن الآية محل البحث ذُكِر أنها اسْتُثْنِيَت من مدنية سورة التوبة؛ بحجة أنها نزلت بمكة عقب وفاة أبي طالب، وقول الرسول ـ ﷺ ـ له : لأستغفرن لك ما لم أُنه عنك.

والحق أن الحديث الذي يصرح بهذا حديث غير صحيح، أما الحديث الذي صح في قصة وفاة أبي طالب فليس بصريح في أن الآية نزلت بعد وفاته مباشرة، بل ثبت أن الآية نزلت بعد مدة في رجوع النبي ـ ﷺ ـ من غزوة تبوك وزيارة قبر أمه واستئذانه في الاستغفار لها، ولو نزلت الآية قبل هذا في مكة لما سأل رسول الله ـ ﷺ ـ الاستغفار لأمه .

ونزلت ـ أيضاً ـ بسبب استغفار بعض المسلمين لآبائهم المشركين، فثبت أن لنزول الآية عدة أسباب : متقدم، وهو أمر أبي طالب، ومتأخر، وهو أمر آمنة، وقصة الرجل المستغفر لأبيه المشرك.

المطلب الثاني

---

(١) انظر مفاتيح الغيب ١٦/ ١٥٧، وفتح القدير للشوكاني ٢/ ٤٦٧، ومحاسن التأويل ٥/ ٥١٥.

قال الله ـ تعالى ـ : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾[1].

للعلماء في مكية أو مدنية هاتين الآتين قولان :

القول الأول : أنهما نزلتا في مكة قبل هجرة النبي ـ ﷺ ـ، وأول من صرح بهذا هو الإمام مقاتل بن سليمان ـ رحمه الله ـ، ثم تبعه على هذا بعض أهل العلم[2].

ولهذا القول حجة واحدة : هي أن مضمون الآيتين وفحوى خطابهما يقتضي أن الخطاب فيهما موجه إلى المشركين من أهل مكة، فالمعنى : لقد جاءكم يا أهل مكة رسول من أنفسكم تعرفونه ولا تنكرونه، فهو من نسبكم، عربي قرشي مثلكم[3].

---

(١) سورة التوبة (١٢٨ و ١٢٩).

(٢) انظر تفسير القرآن لمقاتل بن سليمان ٢/ ١٥٣، و٢/ ٢٠٥، والكشاف ٢/ ٢٤١، والمحرر الوجيز ٣/ ٣، وزاد المسير ٢/ ٢٣٠، ومفاتيح الغيب ١٥/ ٥٢١، والتسهيل لعلوم التنزيل ١/ ٣٣١، والجواهر الحسان ٣/ ١٦١، والمنار ١١/ ٧٣.

وطُبِعَت بعض المصاحف ونُص فيها على مكية هاتين الآيتين واستثنائهما من مدنية سورة التوبة، كالمصحف المطبوع في شركة الشمرلي للطبع والنشر ـ مصر ـ بتصريح من مشيخة الأزهر رقم (٥٤٩) في ١٢/ ١٢/ ١٩٨٨م .

(٣) انظر تفسير القرآن لمقاتل بن سليمان ٢/ ٢٠٥، والكشاف ٢/ ٣٢٥، والمحرر الوجيز ٣/ ١٠٠، وإرشاد العقل السليم ٤/ ١١٤.

قال محمد رشيد رضا ـ رحمه الله ـ :"إن معنى هاتين الآيتين لا يظهر إلا في دعوته ـ ﷺ ـ إلى الإسلام بمكة في أول زمن البعثة[١]":اهـ

القول الثاني : ـ أن هاتين الآيتين مدنيتان كسورتهما المدنية، وتُرَدُّ دعوى مكيتهما؛ إذ لا يوجد دليل صحيح صريح يثبت مكيتهما، بل الدليل على خلاف القول الأول ـ على ما يأتي لاحقاً[٢].

وهذا القول هو الصحيح من وجهين :

الوجه الأول : ـ ما صح عن أُبَي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ أن هاتين الآيتين هما آخر ما نزل من القرآن على رسول الله ـ ﷺ ـ[٣]، فعَنِ ابْنِ

---

(١) المنار ١١/ ٧٣ و ٧٤.

(٢) انظر تفسير القرآن العزيز لمحمد بن عبدالله بن عيسى المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي ٢/ ١٩١، ط دار الفاروق الحديثة ـ القاهرة ـ الأولى ١٤٢٣ه٢٠٠٢م، والتفسير الوسيط للواحدي ٢/ ٤٧٥، ودرج الدرر في تفسير الآي والسور ٢/ ٨٥٧، وتفسير القرآن للسمعاني ٢/ ٢٨٤، والجامع لأحكام القرآن ٨/ ٣٠٣، ومحاسن التأويل ٥/ ٣٤٢، والتحرير والتنوير ١٠/ ٩٧، والإتقان ١/ ٥٨.

(٣) انظر الكشف والبيان للثعلبي ٥/ ١١٥، والنكت والعيون ٢/ ٤١٩، ودرج الدرر ٢/ ٩٣٤، وتفسير القرآن للسمعاني ٢/ ٣٦٣، ومعالم التنزيل للبغوي ٢/ ٤٠٨، والمحرر الوجيز ٣/ ١٠٠، وزاد المسير ٢/ ٣١٣، والجامع لأحكام القرآن ٨/ ٣٠١، والتحرير والتنوير ١١/ ٧٤، والتفسير الوسيط للطنطاوي ٦/ ١٧٨.

عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: «آخِرُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ :﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ.....﴾الآيتين»[1].

---

(١) أخرجه عبدالله بن أحمد بن حنبل في زوائده على مسند أبيه ٣٥/ ٤٢، برقم (٢١١١٣)، وقال محققه شعيب الأرنؤوط :"أثر حسن، وهذا إسناد ضعيف":اهـ . والشاشي في مسنده ٣/ ٣١٠، برقم (١٤١٤)، و٣/ ٣١١، برقم (١٤١٦)، والطبراني في المعجم الكبير ١/ ١٩٩، برقم (٥٣٣)، والحاكم في المستدرك ٢/ ٣٦٨، برقم (٣٢٩٦)، والبيهقي في دلائل النبوة ٧/ ١٣٩. وحسن إسناده الحافظ ابن حجر في المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ١٤/ ٦٨١، برقم (٣٦١٧)، ط دار العاصمة للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٣٦، وقال :"رواه عبد الله بن أحمد والطبراني، وفيه علي بن زيد بن جدعان، وهو ثقة، سيء الحفظ، وبقية رجاله ثقات":اهـ

قلت : نعم، علي بن زيد بن جدعان ثقة في نفسه، لكنه سيء الحفظ، فهو ضعيف، كما في الجرح والتعديل ٦/ ١٨٦، وتقريب التهذيب ص ٤٠١.

ولكن الحديث في أعلى درجات الصحة من وجهين :

الوجه الأول : أن الإمام الحاكم أخرج هذا الحديث في مستدركه ٢/ ٣٦٨، برقم (٣٢٩٦) فقال :"حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ، ثنا بَكَّارُ بْنُ قُتَيْبَةَ الْقَاضِي، ثنا أَبُو عَامِرٍ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ عَمْرٍو الْعَقَدِيُّ، ثنا شُعْبَةُ، عَنْ يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ، وَعَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ يُوسُفَ بْنِ مِهْرَانَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: «آخِرُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ :﴿لَقَدْ

جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾»":اهـ

فقد تابع عليَّ بنَ زيد يونسُ بنُ عبيد، وهو : يونس بن عبيد بن دينار العبدي أبو عبيد البصري، ثقة ثبت فاضل ورع، روى له الجماعة، كما في التقريب ص ٦١٣. ولهذا قال الحاكم بعده :"حديث شعبة عن يونس بن عبيد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه":اهـ وقال الذهبي في تعليقه عليه :"على شرط البخاري ومسلم":اهـ

الوجه الثاني : ـ أن له شاهدين آخرين يقويانه :

الشاهد الأول : ـ من طريق عَبْدِ اللهَّ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ الرَّازِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الرَّبِيعِ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ"أَنَّهُمْ جَمَعُوا الْقُرْآنَ، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ التوبة (١٢٧)،فَظُنُّوا أَنَّهَا آخِرُ بَرَاءَةَ، فَقَالَ لَهُمْ أُبَيٌّ بْنُ كَعْبٍ: إِنَّ النَّبِيَّ ـ ﷺ ـ أَقْرَأَنِي بَعْدَ هَذَا آيَتَيْنِ:﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾، قَالَ: فَهَذَا آخِرُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ، فَخُتِمَ الْأَمْرُ بِمَا فَتَحَ بِهِ، بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُّ، يَقُولُ اللهُّ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ :﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾. سورة الأنبياء (٢٥)". أخرجه عبدالله بن أحمد بن حنبل في زوائده على مسند أبيه ٣٥/ ١٤٩، برقم (٢١٢٢٦) وابن أبي داود في المصاحف ص ٥٦ و ص ١١٢، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة ٣/ ٣٦١، برقم (١١٥٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره ٦/ ١٩١٩، برقم (١٠١٧٢).

ووجه الاستدلال من هذا الحديث أن أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ من أعلم أصحاب النبي ـ ﷺ ـ بكتاب الله[1]، ولو نزلت هاتان الآيتان

قال شعيب الأرنؤوط محقق مسند الإمام أحمد في التعليق على هذا الحديث:"قوله:فختم بما فتح به بـ"الله الذي لا إله إلا هو" يعني : أن الله ـ تعالى ـ افتتح الدِّين بالتوحيد، واستدلَّ على ذلك بقوله ـ تعالى ـ : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾، وختم الدين بالتوحيد ـ أيضاً ـ فقال في آخر آية مِن سورة براءة: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾":اهـ.

الشاهد الثاني : ـ عَن قَتَادَة عَن الْحسن عَن أبي بن كَعْب قَالَ : آخر مَا نزل من الْقُرْآن هَاتَانِ الْآيَتَانِ فِي سُورَة بَرَاءَة : ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ.....﴾ إِلَى آخر السُّورَةِ . أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن ص ٧٣، برقم (١٢٤)، وأبوعمرو الداني قي البيان في عد آي القرآن ص ٢٦.

(١) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِّ ـ ﷺ ـ قَالَ: «أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي دِينِ اللهِّ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَقْضَاهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَأَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِّ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ»

أخرجه الترمذي في سننه ٥/ ٦٦٥، كتاب : المناقب، باب : مناقب معاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبي، وأبي عبيدة بن الجراح ـ رضي الله عنهم ـ، برقم

بمكة لكان أُبَي من أعلم الناس بهذا، فلما قرر أنهما آخر ما نزل من القرآن كان هذا أدل الدليل على أنهما كما قال، أو من آخر ما نزل، وهذا يقطع بأنهما مدنيتان.

قال الإمام البيهقي ـ رحمه الله ـ بعد أن ذكر جملة من الأحاديث عن الصحابة في آخر ما نزل من القرآن، وذكر منها حديث أُبَي السابق :"هذا الاختلاف يرجع ـ والله أعلم ـ إلى أن كل واحد منهم أخبر بما عنده من العلم، أو أراد أن ما ذكر من أواخر الآيات التي نزلت. والله أعلم[1]."اهـ

والوجه الثاني : ـ إذا ثبت أن هاتين الآيتين من آخر ما نزل من القرآن بالمدينة فالأصح أن الخطاب فيهما ليس موجهاً إلى كفار مكة على وجه الخصوص، بل حمله على العموم أولى، فيكون المعنى : لقد جاءكم أيها الناس رسول من أنفسكم، يعني من جنسكم، بشر مثلكم، إذ لو كان

(٣٧٩١)، وقال : هذا حديث حسن صحيح . وابن ماجه في سننه ١/ ١٠٧، كتاب : السُّنَّة، باب : في فضائل أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ، برقم (١٥٤)، وصححه محققه شعيب الأرنؤوط، وأحمد في المسند ٢١/ ٤٠٥، برقم (١٣٩٩٠)، وقال محققه شعيب الأرنؤوط :"إسناده صحيح على شرط الشيخين":اهـ

(١) دلائل النبوة للبيهقي ٧/ ١٣٩ .

وانظر تفصيل القول في مسألة آخر ما نزل من القرآن في البرهان في علوم القرآن ١/ ٢٠٩، والإتقان ١/ ١٠١، ومناهل العرفان ١/ ٩٦ .

من الملائكة لضعفت قوى البشر عن سماع كلامه والأخذ عنه، لما في ذلك من التنافر بين الأجناس.

ولما كان الخطاب عاماً لبني آدم جاء الخطاب عاماً بقوله : ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾، أي : على هدايتكم حتى لا يخرج أحد عن اتباعه فيهلك، ولما كانت الرأفة والرحمة خاصة جاء متعلقها خاصاً وهو قوله : ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، فيكون بمعنى ما جاء في أول سورة يونس التالية لسورة التوبة : ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[1][2].

قال في التحرير والتنوير :" كانت هذه السورة سورة شدة وغلظة على المشركين، وأهل الكتاب، والمنافقين من أهل المدينة ومن الأعراب، وأمراً للمؤمنين بالجهاد، وإنحاء[3]على المقصرين في شأنه.

---

(١) سورة يونس (٢) .

(٢) انظر بحر العلوم للسمرقندي ٢/ ١٠٠، والوجيز للواحدي ص ٤٨٨، ولباب التأويل للخازن ٢/ ٤٢٥، والبحر المحيط ٥/ ٥٣٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٢٤١، وتفسير القرآن للإمام محمد بن محمد بن عرفة التونسي ٢/ ٣٣٢، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م، وروح المعاني ٦/ ٥٣.

(٣) يقال : أَنْحَى فلان على فلان . أي : لامه واعترض عليه . انظر تهذيب اللغة للأزهري ٥/ ١٦٤ .

وتخلل ذلك تنويه بالمتصفين بضد ذلك من المؤمنين الذين هاجروا والذين نصروا واتبعوا الرسول في ساعة العسرة.

فجاءت خاتمة هذه السورة آيتين بتذكيرهم بالمنة ببعثة محمد ـ ﷺ ـ والتنويه بصفاته الجامعة للكمال، ومن أخصها حرصه على هداهم، ورغبته في إيمانهم ودخولهم في جامعة الإسلام لكونه رؤوفاً رحيماً بهم، ليعلموا أن ما لقيه المعرضون عن الإسلام من الإغلاظ عليهم بالقول والفعل ما هو إلا استصلاح لحالهم . وهذا من مظاهر الرحمة التي جعلها الله ـ تعالى ـ مقارنة لبعثة رسوله ـ ﷺ ـ بقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾[1]، بحيث جاء في هاتين الآيتين بما شأنه أن يزيل الحرج من قلوب الفرق التي نزلت فيهم آيات الشدة وعوملوا بالغلظة تعقيباً للشدة بالرفق وللغلظة بالرحمة، وكذلك عادة القرآن.

فقد انفتح بهاتين الآيتين باب حظيرة الإيمان والتوبة ليدخلها من وفقه الله إليها.

فالجملة مستأنفة استئنافاً ابتدائياً. وفي وقوعها آخر السورة ما يكسبها معنى التذييل والخلاصة.

فالخطاب بقوله:﴿جَآءَكُمۡ﴾وما تبعه من الخطاب موجه إلى جميع الأمة المدعوة للإسلام[2]":اهـ

---

(١) سورة الأنبياء (١٠٧) .

(٢) التحرير والتنوير ١١/ ٧٠ .

خلاصة القول : أن الآيتين الأخيرتين من سورة التوبة استثناهما بعض العلماء من مدنية السورة، وحكموا بأنهما مكيتان بحجة أن الخطاب فيهما للمشركين من أهل مكة.

والصحيح أنهما مدنيتان كسورتهما المدنية ؛ بدليل ما صح عن أُبَي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ أنهما آخر القرآن نزولاً، فالأصح أن الخطاب فيهما ليس موجهاً إلى كفار مكة على وجه الخصوص، بل حمله على العموم أولى .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ـ ﷺ ـ وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد...

فبحمد الله ونعمته تم هذا البحث الذي حاولت فيه دراسة مكان وزمان نزول كل سورة من السور محل البحث، وإذا كانت هناك آيات اسْتُثْنِيَت من السورة قمت بدراسة كل آية من هذه الآيات، ونتج عن هذا كله نتائج متعددة، بعض هذه النتائج ليس بجديد، بل تقرر منذ زمن بعيد على أيدي كثير من العلماء، ولكن كان لابد من تقريرها في هذا البحث لتكون أسساً وقواعد يُبْنَى عليها بقية مسائل البحث ونتائجه . وهذه النتائج هي :

١ ـ سورة الأنعام سورة مكية باتفاق العلماء، بدليل عدة أحاديث نصت على أنها مكية نزلت في مكة قبل الهجرة، وما صح من أسباب نزول كثير من آيات سورة الأنعام واضح الدلالة على أن هذه الآيات نزلت بسبب أسئلة أو حوادث حدثت بمكة قبل هجرة النبي ـ ﷺ ـ، والقضايا التي تحدثت عنها سورة الأنعام هي قضايا خصائص السور المكية، ففي السورة : الأدلة على وحدانية الله وقدرته، والأدلة على صدق النبي ـ ﷺ ـ في دعوته، والأدلة على أن يوم القيامة حق، وتفنيد الشبهات التي أثارها المشركون حول هذه الأمور الثلاثة .

والصحيح أن سورة الأنعام نزلت بمكة جملة واحدة دون استثناء أي آية منها، بدليل الأحاديث التي جاءت من عدة طرق وصرحت بهذا.

٢ ـ اسْتُثْنِي من مكية سورة الأنعام عشر آيات :

أ ـ الآية الأولى : ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾، فقيل : إنها مدنية بحجة أنها تتحدث عن أهل الكتاب، وأن لها نظيراً في سورة البقرة المدنية .

والصحيح أن الآية مكية كسورتها، فكم من آيات مكية ـ باتفاق العلماء ـ ولها نظير من آيات أخرى مدنية، ولا مانع أبداً أن يأتي في القرآن المكي حديث عن أهل الكتاب، وقد ذُكِر أهل الكتاب في هذه الآية للاستدلال بما عندهم من العلم، وأن ما جاء به النبي ـ ﷺ ـ موافق لما عندهم .

ويؤكد كونها مكية ـ أيضاً ـ سياق الآيات قبلها، : ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ وهذه شهادة من الله لنبيه ـ ﷺ ـ بأنه صادق فيما يبلغه عن ربه، والآية التي معنا فيها شهادة من أهل الكتاب بأنهم يعرفون صدق النبي ـ ﷺ ـ كما يعرفون أبناءهم، ومن المعروف أن أهل مكة كانوا يسألون أهل الكتاب عن النبي ـ ﷺ ـ، وفضلاً عن ذلك لم يرد نص صحيح يثبت أن هذه الآية الكريمة قد نزلت بالمدينة .

ب ـ الآية الثانية : ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾، حيث صرح غير واحد من المفسرين باستثناء هذه الآية من مكية سورة

الأنعام، وهذا يقضي بأنها آية مدنية، ولم أر ما يمكن أن يُسْتَدَل به على مدنية هذه الآية إلا أثر رُوِي عن الضحاك عن ابن عباس يقضي بأنها نزلت قي المنافقين.

والصحيح أنها مكية حيث لا يوجد حديث ولا أثر صحيح يؤيد القول بمدنية الآية محل البحث، وهي متصلة اتصالاً تاماً بسياق الآيات التي قبلها وبعدها وبموضوعها، حتى إن الآيات الثلاث تبدو وحدة تامة، مما يسوغ الشك في أثر الضحاك عن ابن عباس بقوة، بل ينفيه، لا سيما وقد صح عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن الآية ليست في المنافقين بل في أهل الشرك من العرب وأهل مكة.

ج ـ الآية الثالثة : ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾، فقد رُوِي عن خباب بن الأرت ـ رضي الله عنه ـ أن هذه الآية نزلت بسبب طلب الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن طرد الضعفاء من المؤمنين، وهذا يقضي بأن الآية نزلت بالمدينة بعد الهجرة؛ لأن الأقرع وعيينة لم يلتقيا بالنبي ـ ﷺ ـ إلا بعد الهجرة، وهذا ما جعل الإمام السمعاني ـ رحمه الله ـ يقرر أن القول بمدنية هذه الآية أحد القولين المحتملين فيها، وجعل ـ أيضاً ـ الإمام ابن عطية ـ رحمه الله ـ يتشكك في مدنية الآية.

والصحيح أن حديث خباب القاضي بأن الآية نزلت بالمدينة بسبب طلب الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن طرد ضعفاء المؤمنين حديث في سنده أربع علل، وفي متنه نكارة، فلا يصح أن يكون دليلاً على سبب نزول الآية، ولم يبق إلا الحديث الذي صح عن سعد بن أبي وقاص، والحديث الذي صح عن ابن مسعود السالمان من المعارضة في إسناديهما ومتنيهما، فالإسنادان صحيحان، والمتنان صريحان في السببية، يتفقان مع ظاهر السياق القرآني الذي يتحدث من أوله إلى آخره عن المشركين من أهل مكة ومن على شاكلتهم.

د ـ الآية الرابعة : ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾، فقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن هذه الآية مدنية بدليل ما رُوِي أن جماعة من اليهود هم الذين قالوا : ما أنزل الله على بشر من شيء . فنزلت فيهم هذه الآية للرد عليهم، فأُلْزِمُوا بما لا بد لهم من الإقرار به من إنزال التوراة على موسى، وهذا الاحتجاج إنما يقوم على اليهود دون مشركي العرب الذين خوطبوا بسائر السورة، وبدليل قراءة جمهور القراء : ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ بالتاء في الأفعال الثلاثة : (تجعلونه، تبدونها، تخفون)، على أن الكلام كله خطاب لليهود، والخطاب يكون للحاضرين، وهذا يعني حضورهم وقت نزول الآية مما يقضي بأنها نزلت في المدينة.

وذهب آخرون إلى أنها مكية كسورتها، وفيها خبر من الله ـ تعالى ـ عن مشركي قريش أنهم قالوا : ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾، استناداً إلى الأدلة الكثيرة التي دلت على أن هذه السورة مكية، وأنها أنزلت دفعة واحدة، وهذا القول الذي ذكرته الآية وهو : ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ ليس مما تدين به اليهود، فهم لا ينكرون إنزال الكتب من السماء، وسياق الآية من أول السورة إنما هو في الخبر عن مشركي قريش ومحاجاتهم، فلأن تكون الآية محل البحث خبرًا عنهم أشبهُ من أن تكون خبرًا عن اليهود الذين لم يأت لهم ذكر يكون هذا متصلاً به.

وقد تبين من البحث أن كل دليل استدل به من قال بمدنية الآية يوجد دليل مثله أو أقوى منه عند من يقول بمكيتها، ثم إن الذين قرروا مكية الآية ردوا بردود أوجه ما تكون على أدلة الفريق الأول، ولما كان وجود آيات مدنية في سورة مكية أو آيات مكية في سورة مدنية خلاف الأصل فالمختار عدم قبول القول به إلا إذا ثبت برواية صحيحة السند، صريحة المتن، سالمة من المعارضة والاحتمال.

هـ ـ الآية الخامسة : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾، لا يصح الحكم على هذه الآية بأنها مدنية بناء على أنها نزلت بسبب مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة في آخر أيام النبي ـ ﷺ ـ، أو نزلت بسبب عبدالله بن سعد بن أبي سرح لما

ارتد ورجع من المدينة إلى مكة وزعم أنه سينزل مثل ما أنزل الله، لأن كل الآثار التي روت هذا ضعيفة، لكن الآية تشملهما وتشمل كل من صدر منه افتراء الكذب، وادعاء النبوة، وادعاء نزول الوحي عليه، ثم إن سياق الآية سياق مكي، ولما كان وجود آيات مدنية في سورة مكية أو آيات مكية في سورة مدنية خلاف الأصل فالمختار عدم قبول القول به إلا إذا ثبت برواية صحيحة السند، صريحة المتن، سالمة من المعارضة والاحتمال.

و ـ الآية السادسة : ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾﴾، ذكِر أنها آية مدنية لنفس الحجة التي قيلت في الآية الأولى، فإنهم لما وجدوا الحديث في هذه الآية عن أهل الكتاب، ومن المعروف أن صلة الإسلام بأهل الكتاب إنما كانت بعد الهجرة وفي المدينة دون مكة، لما وجدوا هذا قرروا أن الآية مدنية، فالمسألة ليست إلا اجتهاداً وليست حسب رواية مسندة .

والصحيح أنه لا مانع أبداً أن يأتي في القرآن المكي حديث عن أهل الكتاب، وقد ذُكِر أهل الكتاب في هذه الآية للاستدلال بما عندهم من العلم،فالآية فيها تقرير لكون القرآن منزلاً من عند الله ببيان أن الذين وثق بهم المشركون من علماء أهل الكتاب عالمون بحقيقته ونزوله من عنده ـ تعالى ـ، ومن المعروف أن أهل مكة كانوا يسألون أهل الكتاب

عن النبي ـ ﷺ ـ،ثم إنه لم يرد نص صحيح يثبت أن هذه الآية الكريمة قد نزلت بالمدينة.

ز ـ الآية السابعة : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾، لم أر أحداً من العلماء حكم بمدنية هذه الآية أو استثناها من مكية سورة الأنعام . لكن جاء ما يوهم أنها نزلت بالمدينة بشأن مجادلة اليهود للنبي ـ ﷺ ـ في شأن أكل الميتة.

والصحيح أن الحديث الذي يدل على أن الآية نزلت في مخاصمة اليهود للنبي ـ ﷺ ـ في شأن أكل الميتة حديث ضعيف منكر، فَذِكْرُ اليهود فيه إنما هو من خطأ وتخليط بعض رواته الضعفاء، ثم إن اليهود لا يرون إباحة الميتة، بل يحرمونها ولا يأكلونها، فلا يعقل أن يجادلوا النبي ـ ﷺ ـ في تحريمها، وقد ثبت أن الآية مكية نزلت في مجادلة المشركين من أهل الأوثان الذين لا يرون تحريم الميتة ويأكلونها ويقولون : أتأكلون مما قتلتم ولا تأكلون مما قتل الله؟!

ح ـ الآية الثامنة : ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۚ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ۖ وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾، قيل : إنها مدنية، بحجة أنها نزلت بسبب ثابت بن قيس الأنصاري لما تصدق بحصاد

نخله كله في يوم واحد، وبحجة أن الحق الذي أمر الله بإيتائه يوم الحصاد هو الزكاة المفروضة، وقالوا : إن الزكاة لم تُفْرَض إلا في المدينة .

والصحيح أن الآية ليست مدنية؛ لأن أثر نزولها بسبب ثابت بن قيس ضعيف، ثم إن الزكاة فُرِضَت في مكة قبل الهجرة دون تحديد للأنصبة والمقادير الواجبة، بدليل اقترانها بالصلاة في كثير من الآيات المكية، وتصريح بعض الصحابة بفرضيتها عليهم في المرحلة المكية، كما قال جعفر بن أبي طالب للنجاشي أول ما وصل من مكة إلى الحبشة . ثم لما هاجر النبي ـ ﷺ ـ إلى المدينة تحددت أنصبة الزكاة ومقاديرها .

ط ـ الآية التاسعة : ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾، قرر الإمام ابن العربي ـ رحمه الله ـ أن هذه الآية مدنية؛ لينصر مذهبه المالكي الذي يقضي بأنه لا يحرم إلا هذه الأشياء الأربعة المذكورة في الآية، أما غير هذا من الطيور والحيوانات فليس محرماً بل مكروه، أو نُسِخ تحريمه بهذه الآية فهو حلال، ولكي يتم له هذا زعم أنها من آخر ما نزل من القرآن حيث نزلت يوم عرفة .

والصحيح أن الآية مكية كسورة الأنعام، وهي لم تأت بغرض حصر المحرمات فيما ذكر فيها، إنما وردت في الكفار الذين يحلون الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به، فكأن الغرض من الآية إبانة حالهم

وأنهم يضادون الحق، فكأنه قيل ـ مبالغة في الرد عليهم ـ : لا حرام إلا ما حللتموه . ثم إنه لا يوجد أي دليل يدل على أنها نزلت يوم عرفة كما زعم ابن العربي ـ رحمه الله ـ .

ي ـ الآية العاشرة : ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾، هذه الآيات الثلاث قيل بمدنيتها استناداً على ما رُوِي عن ابن عباس أنها مدنية، ثم هي مشتملة على كثير من الأحكام التشريعية العملية، واشتمال الآيات على أحكام تشريعية عملية قرينة من قرائن مدنيتها .

لكن الصحيح أنها آيات مكية لأنه قد ثبت أنها نزلت على النبي ـ ﷺ ـ في مكة قبل الهجرة، وقرأها على بعض القبائل في موسم الحج في بداية سنوات الدعوة بمكة، وسياقها سياق مكي بامتياز، وما فيها من أحكام ليست مختصة بالقرآن المدني فقط، بل القرآن المكي فيه منها الكثير، وحديث ابن عباس القاضي بمدنيتها حديث ضعيف، ولما كان وجود آيات مدنية في سورة مكية، أو آيات مكية في سورة مدنية خلاف الأصل

فالمختار عدم قبول القول به إلا إذا ثبت برواية صحيحة السند صريحة المتن سالمة من المعارضة والاحتمال .

٣ ـ سورة الأعراف مكية، بدليل ما صح من أسباب نزول كثير من آياتها، وهو واضح الدلالة على أن هذه الآيات نزلت بسبب أسئلة أو حوادث حدثت بمكة قبل هجرة النبي ـ ﷺ ـ، وقد أجمع العلماء على أنها مكية، ولم يخالف في هذا أحد، ثم إن القضايا التي تحدثت عنها سورة الأعراف هي قضايا خصائص السور المكية، فقد نزلت هذه السورة لتفصيل قصص الأنبياء وبيان أصول العقيدة، وهي كسورة الأنعام بل كالبيان لها، لإثبات توحيد الله ـ عز وجل ـ، وتقرير البعث والجزاء، وإثبات الوحي والرسالة، ولا سيما عموم بعثة النبي ـ ﷺ ـ .

٤ ـ في سورة الأعراف موضعان : موضع فيه جملة من الآيات المتتالية التي استثناها بعض أهل العلم، وموضع فيه آية لم أر من استثناها، ولكن جاء ما يوهم أنها آية مدنية :

الموضع الأول ـ قول الله ـ تعالى ـ : ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾.....﴾ إلى آخر الآيات الثلاث بعد هذه الآية، حيث ذهب بعض أهل العلم إلى أن هذه الآيات الأربع مدنية، وقيل : المستثنى خمس آيات، وقيل : ثمان، وقيل : تسع؛ بحجة أنها تبدأ بخطاب موجه إلى النبي ـ ﷺ ـ يأمره بسؤال أهل الكتاب، وهذا

السؤال غير ممكن إلا بعد هجرة النبي ـ ﷺ ـ إلى المدينة ومجاورة اليهود فيها .

ولكن كثيراً من العلماء لم يستثنوا شيئاً من آيات سورة الأعراف، وحكموا على السورة كلها بأنها مكية .

وهذا هو الراجح؛ لأن توجيه الخطاب إلى النبي ـ ﷺ ـ بأمره بسؤال أهل الكتاب عن تلك القصة لا يستلزم لقاءه بهم وقت نزول الآية، لأنه لم يأمره بالسؤال حقيقة، بل هو على التمثيل، كأنه قال : لو سألتهم لأجابوا بما فيه الحجة لك عليهم وعلى كفار قريش . ويحتمل أن السؤال نُقِل إلى اليهود بواسطة كفار قريش الذين كانوا يتعاملون مع اليهود في التصدي للنبي ـ ﷺ ـ .

ثم إن الآيات السابقة للآيات محل البحث، وكذلك الآيات اللاحقة لها تتحدث عن أهل الكتاب، فإما أن نحكم على كل آية تتحدث عنهم أنها مدنية، وإما نجعل الآيات محل البحث مكية كسائر آيات السورة . وفضلاً عن ذلك لم يرد نص صحيح يثبت أن هذه الآيات قد نزلت بالمدينة.

الموضع الثاني ـ آية : ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾، لم يصرح أحد من العلماء أن هذه الآية مدنية، لكن ورد ما يوهم مدنيتها، من مثل أنها نزلت للأمر بالإنصات للإمام إذا قرأ القرآن في

خطبة الجمعة، أو العيدين، أو نزلت في فتى من الأنصار كان يقرأ في الصلاة والنبي ـ ﷺ ـ يقرأ .

والحق أنها مكية كسورتها لأن الآثار التي توهم أنها مدنية آثار ضعيفة ليست فيها حجة، ولو ثبتت لم تكن صريحة في السببية، بل الغرض منها أن الآية تشتمل على هذا الحكم لدخوله في عمومها . ثم إن الثابت أن الآية نزلت لتحرم الكلام في الصلاة الذي كان مباحاً، وقد ثبت أن تحريم الكلام في الصلاة كان في مكة، فيثبت بهذا أن الآية مكية .

٥ ـ سورة الأنفال مدنية بالإجماع، بدليل ما صح من أسباب نزول كثير من آياتها، وهي تتحدث في جلها عن غزوة بدر، وبعض أحكام الجهاد، والمعاهدات بين المسلمين وغير المسلمين، وأمثال هذه الأغراض إنما هي من قضايا خصائص السور المدنية .

٦ ـ وقد اسْتُثْنِي من مدنية سورة الأنفال جملة آيات فقيل : إنها آيات مكية :

أ ـ الآية الأولى : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾، حيث ذهب بعض أهل العلم إلى أن هذه الآية ـ وحدها ـ مكية، وذهب فريق آخر من أهل العلم إلى أن هذه الآية والآيات الست بعدها نزلت بمكة؛ لأنها تتحدث عن حوادث حدثت في مكة .

والصحيح الذي عليه جمهور العلماء أن هذه الآيات السبع مدنية كسورتها، فقد ثبت أن الآية الأولى منها نزلت بالمدينة لتكون هي وباقي الآيات السبع تتمة لسياقها المدني الذي يُذَكِّر النبيَّ ـ ﷺ ـ والمسلمين بنعمة الله عليهم، حيث أنجاهم وهم بمكة من كثير من مكر المشركين في ذات أنفسهم بالقتل، وفي دينهم بجحود القرآن والسخرية منه، وبجمع المال لحرب المسلمين، كل هذه الحوادث المكية ذَكَّر الله بها المسلمين بآيات نزلت بالمدينة بعد أن مَنَّ الله عليهم بالأمن والاستقرار فيها، ونصرهم على المشركين في بدر وما بعدها من غزوات .

ب ـ الآية الثانية : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٤﴾، فقد ذكر بعض أهل العلم أن هذه الآية مستثناة من مدنية سورة الأنفال، فهي مكية بناء على أنها نزلت بسبب إسلام عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ .

والصحيح أنها مدنية كسورتها، لأن حديث نزولها بسبب إسلام عمر لا يصح . ثم إن جعلَ إسلام عمر سبباً لنزول الآية يترتب عليه معنى غير صحيح، وهو أن الله حَسْبُ النبي ـ ﷺ ـ وكافيه، وكذلك المؤمنون هم حَسْبُ النبي وكافيه مع الله ـ عز وجل ـ .

وهذا المعنى لا يتفق مع صريح التوحيد لله ـ تعالى ـ ؛ لأن فيه تسوية بين الله وخلقه في شيء يختص الله به، ويوهم أن حسب الله وكفايته

وحده لا يكفي، ثم إن الحسب والكفاية والمشيئة لله وحده، كالتوكل والتقوى والعبادة، كل ذلك لا يُسْنَد إلا لله ـ تعالى ـ .

٧ ـ سورة التوبة مدنية، بدليل ما صح من أسباب نزول كثير من آياتها أنها نزلت بسبب أسئلة أو حوادث حدثت بالمدينة بعد هجرة النبي ـ ﷺ ـ، وقد أجمع أهل العلم على مدنيتها، وهي من آخر القرآن نزولاً، ثم إن القضايا التي تحدثت عنها السورة هي قضايا القرآن المدني، حيث قررت أحكام جهاد المشركين وأهل الكتاب، ومواقف المسلمين والمنافقين في أثناء غزوة تبوك وقبلها وبعدها .

٨ ـ هناك آيات في موضعين من سورة التوبة اسْتُثْنِيَت من مدنيتها وحكموا بأنها مكية :

أ ـ الموضع الأول : ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾.....﴾، فلم أر من العلماء من استثنى هذه الآية من مدنية سورة التوبة، أو حكم بأنها مكية، إلا ما نقله السيوطي ـ رحمه الله ـ عن بعضهم فقال :"استثنى بعضهم:﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ.....﴾ الآية؛ لما ورد أنها نزلت في قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ لأبي طالب : لأستغفرن لك ما لم أُنه عنك":اهـ

والحق أن الحديث الذي يصرح بهذا حديث غير صحيح، أما الحديث الذي صح في قصة وفاة أبي طالب فليس بصريح في أن الآية نزلت بعد وفاته مباشرة، بل ثبت أن الآية نزلت بعد مدة في رجوع النبي

ـ ﷺ ـ من غزوة تبوك وزيارة قبر أمه واستئذانه في الاستغفار لها، ولو نزلت الآية قبل هذا في مكة لما سأل رسول الله ـ ﷺ ـ الاستغفار لأمه .

ونزلت ـ أيضاً ـ بسبب استغفار بعض المسلمين لآبائهم المشركين، فثبت أن لنزول الآية عدة أسباب : متقدم، وهو أمر أبي طالب، ومتأخر، وهو أمر آمنة، وقصة الرجل المستغفر لأبيه المشرك.

ب ـ الموضع الثاني : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾، فقد استثنى بعض العلماء هاتين الآيتين الأخيرتين من سورة التوبة من مدنية السورة، وحكموا بأنهما مكيتان بحجة أن الخطاب فيهما للمشركين من أهل مكة.

والصحيح أنهما مدنيتان كسورتهما المدنية ؛ بدليل ما صح عن أُبَي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ أنهما آخر القرآن نزولاً، وهو من أعلم أصحاب النبي ـ ﷺ ـ بكتاب الله، ولو نزلت هاتان الآيتان بمكة لكان أُبَي من أعلم الناس بهذا، فلما قرر أنهما آخر ما نزل من القرآن كان هذا أدل الدليل على أنهما كما قال، أو من آخر ما نزل، وهذا يقطع بأنهما مدنيتان.

فالأصح أن الخطاب فيهما ليس موجهاً إلى كفار مكة على وجه الخصوص، بل حمله على العموم أولى .

٩ ـ الأصل في السورة المكية أن تكون كل آياتها مكية، والأصل في السورة المدنية أن تكون كل آياتها مدنية، ومن ثم فلا يُقْبَل استثناء آيات من سورها دون دليل صحيح يدل على ذلك الاستثناء، لأن الاستثناء خلاف الأصل، ولما كان وجود آيات مدنية في سورة مكية أو آيات مكية في سورة مدنية خلاف الأصل فالمختار عدم قبول القول به إلا إذا ثبت برواية صحيحة السند صريحة المتن سالمة من المعارضة والاحتمال .

المراجع والمصادر

القرآن الكريم .

كتب التفسير وعلوم القرآن

١- الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م، بتحقيق / محمد أبوالفضل إبراهيم .

٢- أحكام القرآن للقاضي أبي بكر محمد بن عبدالله بن العربي، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الثالثة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م .

٣- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ .

٤- أسباب نزول القرآن لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، ط دار الإصلاح ـ الدمام ـ الثانية ١٤١٢هـ ١٩٩٢م .

٥- الاستيعاب في بيان الأسباب لسليم بن عيد الهلالي و محمد بن موسى آل نصر، ط دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع ـ السعودية ـ الأولى ١٤٢٥هـ .

٦- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ ١٤١٥هـ ١٩٩٥م .

٧- إعراب القرآن لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤٢١هـ .

٨- أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٨هـ .

٩- الإيضاح في القراءات لأحمد بن أبي عمر الأَنْدَرَابِيّ دراسة وتحقيق، وهي أطروحة نالت بها الباحثة : منى عدنان غني درجة الدكتوراة في كلية التربية للبنات في جامعة تكريت ـ العراق ـ بإشراف الأُستاذ الدكتور : غانم قدُّوري حمد ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م .

١٠- الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه لمكي بن أبي طالب حَمُّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، ط دار المنارة ـ جدة ـ الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م .

١١- بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٣م .

١٢- البحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي، ط دار الفكر ـ بيروت ـ ١٤٢٠هـ .

١٣- البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي، ط دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه

(ثم صورته دار المعرفة ـ بيروت ـ وبنفس ترقيم الصفحات) الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م، بتحقيق : محمد أبوالفضل إبراهيم .

١٤- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ القاهرة ـ .

١٥- البيان في عد آي القرآن لأبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر الداني، ط مركز المخطوطات والتراث ـ الكويت ـ الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٤م .

١٦- تأويلات أهل السنة للإمام أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م .

١٧- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد(التحرير والتنوير) لمحمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي، ط الدار التونسية للنشر ـ تونس ـ ١٩٨٤م .

١٨- التفسير الحديث لمحمد عزت دروزة، ط دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة ـ ١٣٨٣هـ .

١٩- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) لمحمد رشيد رضا، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م .

٢٠- تفسير القرآن العزيز للإمام عبدالرزاق بن همام الصنعاني، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٩هـ.

٢١- تفسير القرآن العزيز لمحمد بن عبدالله بن عيسى المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي، ط دار الفاروق الحديثة ـ القاهرة ـ الأولى ١٤٢٣هـ٢٠٠٢م.

٢٢- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم عبدالرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، ط مكتبة نزار مصطفى الباز ـ السعودية ـ الثالثة ١٤١٩هـ بتحقيق/ أسعد محمد الطيب .

٢٣- تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ط دار طيبة للنشر والتوزيع، الثانية ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م، بتحقيق : سامي محمد سلامة .

٢٤- تفسير القرآن لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى، ط دار إحياء التراث ـ بيروت ـ الأولى ١٤٢٣هـ .

٢٥- تفسير القرآن لأبي المظفر منصور بن محمد السمعاني، ط دار الوطن ـ الرياض ـ الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٧م .

٢٦- تفسير القرآن لعز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام، ط دار ابن حزم ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م .

٢٧- تفسير القرآن للإمام سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

٢٨- تفسير القرآن للإمام محمد بن محمد بن عرفة التونسي، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

٢٩- التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم يونس الخطيب، ط دار الفكر العربي ـ القاهرة ـ .
٣٠- تفسير المراغي للشيخ أحمد مصطفى المراغي، ط شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الأولى ١٣٦٥هـ ١٩٤٦م .
٣١- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للدكتور : وهبة مصطفى الزحيلي، ط دار الفكر المعاصر ـ دمشق ـ الثانية ١٤١٨هـ .
٣٢- التفسير الوسيط للقرآن الكريم للإمام الأكبر محمد سيد طنطاوي، ط دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ الأولى ١٩٩٧م .
٣٣- تنزيل القرآن وعدد آياته واختلاف الناس فيه لأبي زرعة عبدالرحمن بن محمد بن زَنْجَلَة، ط مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية ـ العراق ـ .
٣٤- جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، ط مؤسسة الرسالة الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م، بتحقيق/ أحمد محمد شاكر .
٣٥- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، ط دار الكتب المصرية ـ القاهرة ـ الثانية ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م .

٣٦- جمال القراء وكمال الإقراء لأبي الحسن علي بن محمد بن عبدالصمد السخاوي، ط مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.

٣٧- الجواهر الحسان في تفسير القرآن لعبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٨هـ.

٣٨- الحجة في القراءات السبع للحسين بن أحمد بن خالويه، ط دار الشرق ـ بيروت ـ الرابعة ١٤٠١هـ.

٣٩- الدر المنثور في التفسير بالمأثور لعبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط دار الفكر ـ بيروت ـ.

٤٠- درج الدرر في تفسير الآي والسور لعبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجاني، ط سلسلة إصدارات مجلة الحكمة ـ بريطانيا ـ الأولى ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

٤١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٥هـ.

٤٢- زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ط دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ الأولى ١٤٢٢هـ.

٤٣- زهرة التفاسير لمحمد بن أحمد بن مصطفى المعروف بأبي زهرة، ط دار الفكر العربي .
٤٤- الزيادة والإحسان في علوم القرآن لمحمد بن أحمد الحنفي المكي المعروف بعقيلة، ط مركز البحوث والدراسات بجامعة الشارقة ـ الإمارات ـ الأولى ١٤٢٧هـ .
٤٥- السبعة في القراءات لأبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد، ط دار المعارف (مصر) ١٤٠٠هـ .
٤٦- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير لمحمد بن أحمد الخطيب الشربيني، ط مطبعة بولاق الأميرية ـ القاهرة ـ ١٣٨٥هـ .
٤٧- الصحيح المسند من أسباب النزول لمقبل بن هادي الوادعي، ط مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة ـ الرابعة ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م .
٤٨- عناية القاضي وكفاية الراضي وهي حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي، ط دار صادر ـ بيروت ـ .
٤٩- غرائب القرآن ورغائب الفرقان للحسن بن محمد النيسابوري، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٦هـ.

٥٠- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، ط دار ابن كثير ـ دمشق ـ الأولى ١٤١٤هـ .

٥١- فضائل القرآن لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي، ط دار ابن كثير ـ دمشق ـ الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

٥٢- فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة للإمام محمد بن أيوب بن يحيى بن الضريس، ط دار الفكر ـ دمشق ـ الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م.

٥٣- فهم القرآن ومعانيه لأبي عبدالله الحارث بن أسد المحاسبي، ط دار الكندي ، ودار الفكر ـ بيروت ـ الثانية ١٣٩٨هـ .

٥٤- كتاب المصاحف لأبي بكر عبدالله بن سليمان بن أبي داود، ط مكتبة الفاروق الحديثة ـ القاهرة ـ الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

٥٥- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لمحمود بن عمرو الزمخشري، ط دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ الثالثة ١٤٠٧هـ .

٥٦- الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ الأولى ١٤٢٢هـ ـ٢٠٠٢م .

٥٧- لباب التأويل في معاني التنزيل لعلي بن محمد بن عمر الشيحي المعروف بالخازن، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٥هـ .

٥٨- لباب النقول في أسباب النزول لعبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ .
٥٩- اللباب في علوم الكتاب لسراج الدين عمر بن علي بن عادل، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م .
٦٠- مباحث في علوم القرآن لمناع بن خليل القطان، ط مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الثالثة ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م .
٦١- المبسوط في القراءات العشر لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني، ط مجمع اللغة العربية ـ دمشق ـ ١٩٨١م .
٦٢- محاسن التأويل لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد القاسمي، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٨هـ .
٦٣- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤٢٢هـ .
٦٤- المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة لخالد بن سليمان المزيني، ط دار ابن الجوزي ـ الدمام، السعودية ـ الأولى ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م .
٦٥- مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات عبدالله بن أحمد النسفي، ط دار الكلم الطيب ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م .

٦٦- المدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد بن سويلم أبو شُهبة، ط مكتبة السنة ـ القاهرة ـ الثانية ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م .

٦٧- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور لإبراهيم بن عمر البقاعي، ط مكتبة المعارف ـ الرياض ـ الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م .

٦٨- المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، ط مؤسسة الرسالة الثالثة ١٤١٨هـ ١٩٩٨م .

٦٩- معالم التنزيل في تفسير القرآن للحسين بن مسعود بن محمد البغوي، ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ الأولى ١٤٢٠هـ .

٧٠- معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، ط دار المصرية للتأليف والترجمة ـ مصر ـ الأولى .

٧١- معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، ط عالم الكتب ـ بيروت ـ الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م .

٧٢- مفاتيح الغيب وهو التفسير الكبير لأبي عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي فخر الدين الرازي، ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ الثالثة ١٤٢٠هـ .

٧٣- المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، ط دار القلم ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٢هـ .

٧٤- مقدمة في أصول التفسير لأبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، ط دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ ١٤٩٠هـ ١٩٨٠م .
٧٥- المكي والمدني في القرآن الكريم دراسة تأصيلية ودراسة نقدية لنزول السور والآيات المستثناة من كل سورة من أول سورة الفاتحة حتى آخر سورة المائدة، وهو بحث ترقية للدكتور: محمد حسن محمد حسن أبوالنجا نُشِر في مجلة الدراية التي تصدرها كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق، العدد السابع عشر سنة ٢٠١٧م.
٧٦- مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبدالعظيم الزرقاني، ط مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة .
٧٧- الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن لأبي عُبيد القاسم بن سلاَّم بن عبد الله الهروي البغدادي، ط مكتبة الرشد ـ الرياض ـ الثانية ـ ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.
٧٨- الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم للقاضي أبي بكر محمد بن عبدالله بن العربي المعافري، ط مكتبة الثقافة الدينية، الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٢م .
٧٩- الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس النحاس، ط مكتبة الفلاح ـ الكويت ـ الأولى ١٤٠٨هـ .
٨٠- نظرات في القرآن للشيخ محمد الغزالي، ط دار الكتب الحديثة ـ القاهرة ـ الرابعة ١٣٨٣هـ ١٩٦٣م .

٨١- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي، ط دار الكتاب الإسلامي ـ القاهرة ـ .

٨٢- النكت والعيون لعلي بن محمد بن حبيب، الشهير بالماوردي، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ .

٨٣- الوسيط في تفسير القرآن المجيد لعلي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٤م .

كتب الحديث وعلومه

٨٤- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري، ط دار الوطن للنشر ـ الرياض ـ الأولى ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

٨٥- الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما لأبي عبدالله محمد بن عبدالواحد بن أحمد الحنبلي المشهور بالضياء المقدسي، ط دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ .

٨٦- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان للإمام محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ أبي حاتم البُستي، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، ط مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط .

٨٧- الأدب المفرد للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، ط دار البشائر الإسلامية ـ بيروت ـ الثالثة ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

٨٨- الأسماء والصفات للإمام أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، ط مكتبة السوادي ـ جدة ـ الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.
٨٩- الإفصاح عن معاني الصحاح لأبي المظفر يحيى بن هُبَيْرَة بن محمد الذهلي الشيباني، ط دار الوطن ـ الرياض ـ الأولى، ١٤١٧هـ .
٩٠- البحر الزخار (مسند البزار) لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، ط مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة النبوية ـ الأولى ٢٠٩م .
٩١- البدر التمام شرح بلوغ المرام للحسين بن محمد المغربي، ط دار هجر الأولى ١٤٢٤هـ .
٩٢- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط دار طيبة .
٩٣- تغليق التعليق على صحيح البخاري لأحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ط المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ ودار عمار ـ عمان الأردن ـ الأولى ١٤٠٥هـ .
٩٤- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لأبي عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر، ط وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ المغرب ـ ١٣٨٧هـ .

٩٥- التوحيد ومعرفة أسماء الله ـ عز وجل ـ وصفاته للإمام محمد بن إسحاق بن محمد بن مَنْدَه، ط مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة النبوية ـ الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

٩٦- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ـ ﷺ ـ وسننه وأيامه (صحيح البخاري) لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، ط دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٩٧- الروض الداني (المعجم الصغير) للإمام سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، ط المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

٩٨- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها لأبي عبدالرحمن محمد ناصر الدين الألباني، ط مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م.

٩٩- السنن الصغير للإمام أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، ط جامعة الدراسات الإسلامية، ـ كراتشي، باكستان ـ الأولى ١٤١٠هـ ١٩٨٩م.

١٠٠- السنن الكبرى للإمام أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الثالثة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

١٠١- السنن لأبي عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخرساني، ط الدار السلفية ـ الهند ـ الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٢م.
١٠٢- السنن للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السِّجِسْتاني، ط دار الرسالة العلمية، الأولى ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م، بتحقيق/ شعيب الأرنؤوط .
١٠٣- السنن للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى الترمذي، ط شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة ـ الثانية ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م، بتحقيق/ أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي .
١٠٤- السنن للإمام محمد بن يزيد بن ماجة القزويني، ط دار الرسالة العالمية، الأولى ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م، بتحقيق : شعيب الأرنؤوط .
١٠٥- شرح السنة لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، ط المكتب الإسلامي ـ دمشق، بيروت ـ الثانية ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .
١٠٦- شرح مشكل الآثار لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي، ط مؤسسة الرسالة الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٤م .
١٠٧- الشريعة لأبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ، ط دار الوطن ـ الرياض ـ الثانية ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م .

١٠٨- شعب الإيمان للإمام أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، ط مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.

١٠٩- الصحيح لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري، ط المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ .

١١٠- العظمة للإمام عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني، ط دار العاصمة ـ الرياض ـ الأولى ١٤٠٨هـ.

١١١- فتح الباري شرح صحيح البخاري لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط دار المعرفة ـ بيروت ـ ١٣٧٩هـ .

١١٢- فضائل الصحابة لأحمد بن محمد بن حنبل، ط مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .

١١٣- القراءة خلف الإمام للإمام أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٠٤هـ .

١١٤- الكاشف عن حقائق السنن لشرف الدين الحسين بن عبدالله الطيبي، ط مكتبة نزار مصطفى الباز ـ مكة ـ الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م .

١١٥- كشف الأستار عن زوائد البزار لنور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، ط مؤسسة الرسالة - بيروت - الأولى ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
١١٦- المجتبى من السنن (السنن الصغرى) للإمام أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي، ط مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب - الثانية ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
١١٧- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لأبي الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، ط مكتبة القدسي - القاهرة - ١٤١٤هـ ١٩٩٤م .
١١٨- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لأبي الحسن نور الدين علي بن محمد الملا الهروي القاري، ط دار الفكر - بيروت - الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م .
١١٩- المستخرج لأبي عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم النيسابوري، ط دار المعرفة - بيروت - الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
١٢٠- المستدرك على الصحيحين لأبي عبدالله الحاكم محمد بن عبدالله بن محمد بن الحكم النيسابوري، ط دار الكتب العلمية - بيروت - الأولى ١٤١١هـ ١٩٩٠م.
١٢١- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله - ﷺ - (صحيح مسلم) لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ط دار إحياء التراث العربي - بيروت -.

١٢٢- المسند لأبي بكر بن أبي شيبة عبد الله بن محمد بن إبراهيم العبسي، ط دار الوطن ـ الرياض ـ الأولى ١٩٩٧م.
١٢٣- المسند لأبي سعيد الهيثم بن كليب الشاشي، ط مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة ـ الأولى ١٤١٠هـ.
١٢٤- المسند لأبي يعلى أحمد بن علي بن المُثنى الموصلي، ط دار المأمون للتراث ـ دمشق ـ الأولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.
١٢٥- المسند للإمام أبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، ط مؤسسة الرسالة، الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠١م، بتحقيق/ شعيب الأرنؤوط .
١٢٦- المسند للإمام إسحاق بن إبراهيم بن مخلد المعروف بـ ابن راهويه، ط مكتبة الإيمان ـ المدينة النبوية ـ الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩١م.
١٢٧- المصنف في الأحاديث والآثار لأبي بكر عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن أبي شيبة، ط مكتبة الرشد ـ الرياض ـ الأولى ١٤٠٩هـ.
١٢٨- المصنف لأبي بكر عبدالرزاق بن همام بن نافع الصنعاني، ط المجلس العلمي ـ الهند ـ الثانية ١٤٠٣هـ .
١٢٩- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط دار العاصمة للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م .

١٣٠- المعجم الأوسط لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، ط دار الحرمين ـ القاهرة ـ .
١٣١- المعجم الكبير لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، ط مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة ـ الثانية .
١٣٢- المعجم في أسامي شيوخ أبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، ط مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة ـ الأولى ١٤١٠هـ .
١٣٣- مقدمة في أصول الحديث لعبدالحق بن سيف الدين الحنفي، ط دار البشائر الإسلامية ـ بيروت ـ الثانية ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م .
١٣٤- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ليحيى بن شرف النووي، ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ الثانية ١٣٩٢هـ .
١٣٥- نزهة الألباب في قول الترمذي «وفي الباب» لأبي الفضل الحسن بن محمد بن حيدر الوائلي الصنعاني، ط دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع ـ المملكة العربية السعودية ـ الأولى ١٤٢٦ه.
١٣٦- نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط مطبعة سفير ـ الرياض ـ الأولى ١٤٢٢هـ .

كتب العقيدة

١٣٧- إعلام الموقعين عن رب العالمين لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤١١هـ ١٩٩١م .

١٣٨- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، ط دار القلم (جدة، السعودية) الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م .

كتب الفقه وأصوله

١٣٩- الأم للإمام محمد بن إدريس الشافعي، ط دار المعرفة ـ بيروت ـ ١٤١٠هـ ١٩٩٠م .

١٤٠- البحر الرائق شرح كنز الدقائق لزين الدين بن إبراهيم بن محمد المعروف بابن نجيم المصري، ط دار الكتاب الإسلامي، الثانية .

١٤١- البرهان في أصول الفقه لعبدالملك بن عبدالله بن يوسف أبي المعالي الجويني الملقب بإمام الحرمين، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٧م .

١٤٢- الجامع لمسائل المدونة لأبي بكر محمد بن عبدالله بن يونس الصقلي المالكي، ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ الأولى ١٤٣٤هـ ٢٠١٣م .

١٤٣- الذخيرة لأبي العباس أحمد بن إدريس المالكي الشهير بالقرافي، ط دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ الأولى ١٩٩٤م .

١٤٤- شرح التلقين لمحمد بن علي المازري المالكي، ط دار الغرب الإسلامي، الأولى ٢٠٠٨م .

١٤٥- فتاوى ابن الصلاح عثمان بن عبد الرحمن(صلاح الدين) بن عثمان بن موسى بن أبي النصر، ط مكتبة العلوم والحكم ـ بيروت ـ الأولى ١٤٠٧هـ .
١٤٦- الفقه على المذاهب الأربعة لعبدالرحمن بن محمد عوض الجزيري، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الثانية ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م .
١٤٧- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي لمحمد بن الحسن بن العربي الفاسي، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٥م .
١٤٨- كفاية النبيه في شرح التنبيه لأحمد بن محمد بن الرفعة، ط دار الكتب العلمية، الأولى ٢٠٠٩م .
١٤٩- مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ـ المدينة النبوية ـ ١٤١٦هـ ١٩٩٥م .
١٥٠- المعونة على مذهب عالم المدينة «الإمام مالك بن أنس» لأبي محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي البغدادي المالكي، ط المكتبة التجارية (مصطفى أحمد الباز) ـ مكة المكرمة ـ .

كتب السيرة والتاريخ

١٥١- الجامع الصحيح للسيرة النبوية للدكتور سعد المرصفي، ط مكتبة ابن كثير ـ الكويت ـ الأولى ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م .

١٥٢- دلائل النبوة لأبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني، ط دار طيبة ـ الرياض ـ الأولى ١٤٠٩هـ.
١٥٣- دلائل النبوة لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، ط دار الكتب العلمية، الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م .
١٥٤- دلائل النبوة لأبي نعيم أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني، ط دار النفائس ـ بيروت ـ الثانية ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
١٥٥- زاد المعاد في هدي خير العباد لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، ط مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ و مكتبة المنار الإسلامية ـ الكويت ـ السابعة والعشرون ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.
١٥٦- السير والمغازي لمحمد بن إسحاق بن يسار، ط دار الفكر ـ بيروت ـ الأولى ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م .
١٥٧- السيرة النبوية الصحيحة للدكتور أكرم ضياء العمري، ط مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة ـ السادسة ١٤١٥هـ ١٩٩٤م .
١٥٨- السيرة النبوية لإسماعيل بن عمر بن كثير، ط دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ ١٣٩٥هـ ١٩٧٦م .
١٥٩- السيرة النبوية لعبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، ط شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الثانية ١٣٧٥هـ ١٩٥٥م .

١٦٠- السيرة النبوية وأخبار الخلفاء لأبي حاتم محمد بن أحمد بن حبان، ط الكتب الثقافية ـ بيروت ـ الثالثة ١٤١٧هـ .
١٦١- الصحيح من أحاديث السيرة النبوية لمحمد بن حمد الصوياني، ط دار الوطن للنشر ـ الرياض ـ الأولى ١٤٣٢هـ ٢٠١١م .

كتب المعاجم والغريب

١٦٢- تهذيب اللغة لمحمد بن أحمد الأزهري، ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ الأولى ٢٠٠١م .
١٦٣- العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، ط دار ومكتبة الهلال .
١٦٤- غريب الحديث لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م .
١٦٥- غريب الحديث لأحمد بن محمد الخطابي، ط دار الفكر ـ دمشق ـ ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م .
١٦٦- القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، ط مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ الثامنة١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م .
١٦٧- لسان العرب لأبي الفضل محمد بن مكرم بن على بن منظور، ط دار صادر ـ بيروت ـ الثالثة ١٤١٤هـ .
١٦٨- النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين المبارك بن محمد بن الأثير، ط المكتبة العلمية ـ بيروت ـ ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م .

كتب تراجم الأعلام ورجال الحديث

١٦٩- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ليوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، ط دار الجيل - بيروت - الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م .

١٧٠- أسد الغابة في معرفة الصحابة لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم، المعروف بابن الأثير، ط دار الكتب العلمية، الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٤م .

١٧١- الإصابة في تمييز الصحابة لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط دار الكتب العلمية - بيروت - الأولى ١٤١٥هـ .

١٧٢- الأعلام لخير الدين محمود بن محمد الزركلي، ط دار العلم للملايين، الخامسة عشر ٢٠٠٢م .

١٧٣- إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال لعلاء الدين مغلطاي بن قليج بن عبد الله المصري الحنفي، ط دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

١٧٤- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، ط دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى ٢٠٠٣م .

١٧٥- التاريخ الأوسط للإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، ط دار الوعي - القاهرة - الأولى ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م.

١٧٦- التاريخ الكبير لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، ط دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد (الهند) - .

١٧٧- تاريخ بغداد للخطيب أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، ط دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م .
١٧٨- تاريخ علماء الأندلس لأبي الوليد عبدالله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي، المعروف بابن الفرضي، ط مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ الثانية ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م .
١٧٩- التاريخ لأبي زكريا يحيى بن معين المري، ط مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ـ مكة المكرمة ـ الأولى ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
١٨٠- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها للإمام أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر، ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٨م.
١٨١- تقريب التهذيب لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ، ط دار الرشيد ـ سوريا ـ الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م .
١٨٢- تكملة معجم المؤلفين لمحمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف، ط دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٨ هـ ١٩٩٧م .
١٨٣- التكميل في الجرح والتعديل ومعرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ط مركز النعمان

للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة ـ اليمن ـ الأولى ١٤٣٢هـ ٢٠١١م .

١٨٤- تهذيب الكمال في أسماء الرجال ليوسف بن عبدالرحمن بن يوسف المزي، ط مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ الأولى ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م .

١٨٥- الثقات للإمام محمد بن حبان البستي، ط دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ـ الهند ـ الأولى ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م.

١٨٦- الجرح والتعديل لأبي محمد عبدالرحمن بن محمد بن إدريس بن أبي حاتم الرازي، ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ الأولى ١٢٧١هـ ١٩٥٢م.

١٨٧- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني، ط مكتبة السعادة ـ القاهرة ـ ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م.

١٨٨- سير أعلام النبلاء لشمس الدين محمد بن أحمد بن قايماز الذهبي، ط دار الحديث ـ القاهرة ـ ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م .

١٨٩- الضعفاء والمتروكون لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤٠٦هـ.

١٩٠- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر السخاوي، ط دار ومكتبة الحياة ـ بيروت ـ .

١٩١- الطبقات الكبرى لأبي عبدالله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٠هـ ١٩٩٠م .
١٩٢- طبقات المفسرين لأحمد بن محمد الأدنوي، ط مكتبة العلوم والحكم ـ السعودية ـ الأولى١٤١٧هـ ١٩٩٧م .
١٩٣- طبقات المفسرين لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ الأولى ١٣٩٦هـ .
١٩٤- طبقات المفسرين لشمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ .
١٩٥- غاية النهاية في طبقات القراء لمحمد بن يوسف بن الجزري، ط مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة ـ الأولى ١٣٥١هـ .
١٩٦- الفرائد على مجمع الزوائد «ترجمة الرواة الذين لم يعرفهم الحافظ الهيثمي» لخليل بن محمد العربي، ط دار الإمام البخاري ـ الدوحة، قطر ـ .
١٩٧- الفهرست لأبي الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم، ط دار المعرفة ـ بيروت ـ الثانية ١٤١٧هـ ١٩٩٧م .
١٩٨- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة لمحمد بن أحمد الذهبي ١/ ٢٩٦، ط دار القبلة للثقافة الإسلامية ـ جدة ـ الأولى ١٩٩٢م.

١٩٩- الكامل في ضعفاء الرجال لأبي أحمد بن عدي الجرجاني، ط المكتبة العلمية ـ بيروت ـ الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.
٢٠٠- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين للإمام محمد بن حبان بن أحمد البُستي، ط دار الوعي ـ حلب ـ الأولى ١٣٩٦هـ .
٢٠١- مصباح الأريب في تقريب الرواة الذين ليسوا في تقريب التهذيب لأبي عبد الله محمد بن أحمد المصنعي العنسي، ط مكتبة صنعاء الأثرية ـ اليمن ـ والفاروق الحديثة للطباعة والنشر ـ مصر ـ الأولى ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م .
٢٠٢- معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ .
٢٠٣- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ط دار الكتب العلمية، الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م .
٢٠٤- المغني في الضعفاء لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ط دار الفكر ١٩٦٢م.
٢٠٥- ميزان الاعتدال في نقد الرجال لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ط دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت ـ الأولى١٣٨٢هـ١٩٦٣م .

٢٠٦- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لشمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان، ط دار صادر ـ بيروت ـ الأولى ١٩٧١م .

محتويات البحث

الموضـــــــــــوع	رقم الصفحة
المقدمة	١٠٢
الفصل الأول : ـ سورة الأنعام .	١١٢
المبحث الأول : نزول سورة الأنعام .	١١٢
المبحث الثاني : الآيات المستثناة من سورة الأنعام .	١٣٣
الفصل الثاني : ـ سورة الأعراف .	٢٢٤
المبحث الأول : ـ نزول سورة الأعراف .	٢٢٤
المبحث الثاني : الآيات المستثناة من سورة الأعراف .	٢٣٢
الفصل الثالث : ـ سورة الأنفال .	٢٥١
المبحث الأول : ـ نزول سورة الأنفال .	٢٥١
المبحث الثاني : الآيات المستثناة من سورة الأنفال .	٢٥٦
الفصل الرابع : ـ سورة التوبة .	٢٨١
المبحث الأول : ـ نزول سورة التوبة .	٢٨١
المبحث الثاني : ـ الآيات المستثناة من سورة التوبة .	٢٨٨
الخاتمة	٣١٠
المراجع والمصادر	٣٢٥
محتويات البحث	٣٥٤